مذكرات غدائي

زركلي

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

یوسف زرکار

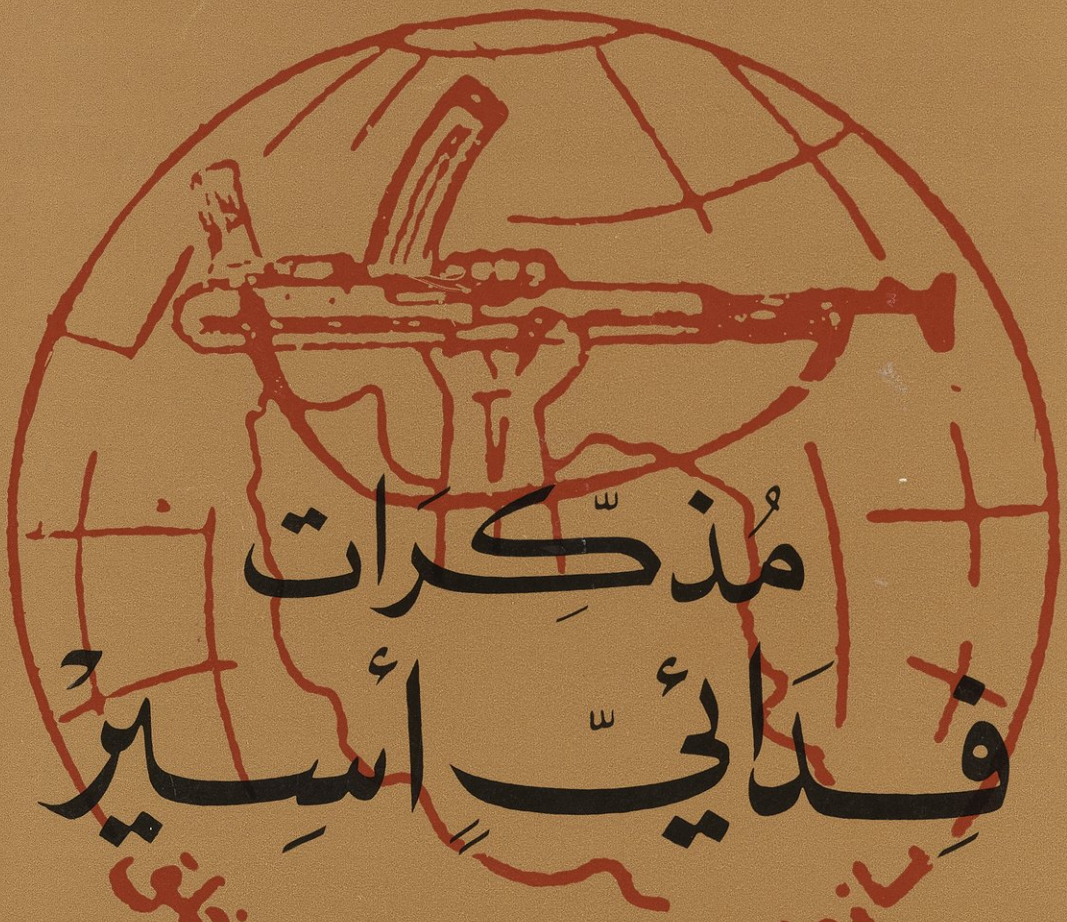

مذکرات فدائی اسیر

از ملل جریکهای فدائی خلق

مذكرات فدائي أسير

مُذكّرات فِدائيٍّ أسِيرٍ

يوسُف زركار

OFF-SITE
DS
316.9
.Z375
A3
1970z

شيء حول المؤلف

ولد الرفيق يوسف زركار ، مؤلف كتاب « فدائي اسير » في سنة ١٩٥٣ من عائلة عمالية ولم يكن قد تخطى التاسعة من العمر حتى توفي والده ، فاضطر منذ سني طفولته الاولى ان ينخرط في العمل لتأمين لقمة العيش لعائلته ، وهناك في المعمل تجسد امام عينيه واقع الاستغلال بشكله الحقيقي اذ كان يرى بناظريه الحياة الصعبة التي لا تطاق لابناء طبقته من جهة ، والارباح الخيالية التي تصب في جيوب الاثرياء من أصحاب الاعمال ، من جهة اخرى ، ولقد انعكست هذه العلاقات اللامتكافئة في ذهنه في صورة غامضة في البداية ، الى ان نشأت بينه وبين بعض العمال الواعيين في معامل السكك ، حيث كان يشتغل ، بعض العلاقات ، فتقولب وعيه بتأثير منهم وتحولت آماله الى ايمان والصورة الغامضة عن العلاقات الاجتماعية الى صورة واضحة للاستغلال الطبقي ، ولذلك فانه بعد ان اطلقت اولى رصاصة من اسلحة منظمة « فدائي الشعب » في احراش سياهكل ، عام ١٩٧١ ايذانا بالثورة على النظام الرجعي ، تلك الانتفاضة التي احدثت تغييرا نوعيا وكميا في نضالات شعبنا ، اختار الرفيق يوسف زركار ، الذي كان قد اكتسب خبرة جيدة في النضال المهني ، اختار الكفاح المسلح ، فكان من اوائل الملتحقين بهذه الحركة على رغم حداثة سنه .

وبعد فترة من النشاط الثوري ، اعتقل الرفيق يوسف ، في ظروف ارهابية بالغة الشدة ، من قبل منظمة البوليس السري الايرانية (ساواك) ، الا انه تظاهر ابان التحقيق بأنه ليس سوى انسان سياسي ساذج ، واحتفظ خلال مدة الاعتقال التي اقترنت بأفظع انواع التعذيب البربري بايمانه القوي

وبأفكاره الثورية وبكرهه للعدو . واستطاع بمهارة وبراعة ان يغوي العدو ، فأطلق سراحه بعد ان قضى ما يقارب السنة رهن الاعتقال ، ولما خرج من السجن التحق مرة اخرى بمنظمته « منظمة فدائي الشعب » وهو أشد عزما وأقوى ايمانا ، وتفرغ بشكل تام الى التنظيم الثوري والنشاط المسلح، وفي ٦ شباط ١٩٧٤ اشتبك مع العدو في صدام مسلح في شارع جهار باغ بمدينة اصفهان فقاتل بضراوة ، وبعد ان صرع احد المرتزقة وجرح واحدا آخر ، اصيب هو برصاصات عندما ضيق الحصار عليه من قبل قوة كبيرة ، فوقع شهيدا في ساحة المعركة .

فكرة موجزة عن منظمة فدائي

الشعب الايراني

تشكلت منظمة فدائي الشعب قبل ما يقارب اربع سنوات من عناصر واعية ومثقفين ثوريين وفي ظروف الارهاب والتعسف الشديدين من قبل أجهزة الشاه المرتزق ، ولقد انطوت تحت لوائها اواسط واسعة اخرى من العمال والمثقفين الثوريين ...

بدأت هذه المجموعة عملها الثوري بدراسة تاريخ الحركة الوطنية الايرانية والنضالات التي خاضها هذا الشعب في سبيل حريته وضد الاستعمار ودراسة اوضاع المجتمع الايراني ومميزاته الراهنة ...

وبعد تحليل دقيق لهذه المعطيات توصلوا الى استنتاج مفاده : ان مهمة جميع المنظمات والمجموعات والفئات الثورية في ايران تنحصر في الشروع الفوري بالنضال المسلح . ولقد حددت القاعدة الاساسية لهذه الاستراتيجية بصورة دقيقة وواضحة للغاية وشخصتها بحرب الانصار في داخل المدن وحرب الانصار في الارياف على ان يكون حرب الانصار في المدن جزءا مكملا لحرب الانصار في الارياف . وتوضيحا أكثر وأعمق للاوضاع التي يعيشها المجتمع الايراني والاسباب الداعية الى الشروع بالكفاح المسلح في ايران ، عكست المنظمة وجهات نظرها بشكل مفصل في كتب وكراريس مثل : الكفاح المسلح ـ الاستراتيجية والتكتيك ـ وضرورة الكفاح المسلح ودحض نظرية البقاء ، ومقالة حول الاهداف والسلوك ، وهكذا حدت فكرة الشروع بالنضال المسلح في المدن والارياف ، حدت بمنظمة فدائي الشعب

الى تشكيل نواة كتيبة الانصار المسلحة في أحراش شمالي ايران بقيادة «الرفيق علي اكبر صفائي فراهاني» (ابو عباس) الذي اشترك في نضالات فلسطين ايضا ، وخلال العمل الثوري في المنظمة وصل فراهاني بسبب روحه الثورية الوثابة الى مرتبة قيادة مجموعة فدائية في الجبهة الشمالية لفلسطين ، وكانت هذه النوات في مرحلة تمرين على أساليب الحرب (حرب الانصار) عندما فوجئت وبوغتت من قبل قوة عسكرية كبيرة من الجيش المرتزق التابع للشاه فاضطر مناضلوها الى الانسحاب امام هجوم الطائرات الحربية وطائرات الهليكوبتر الى المنطقة المسماة « سياهكل » حيث شددت هذه القوات الحصار عليهم ، استشهد في المجابهة اللامتكافئة جميع أفراد المجموعة وقتل عدد من افراد الجيش المرتزق ...

وبالرغم من ان الهزيمة حاقت بهذه النواة المسلحة بسبب عدم التصدي والتحرك اللازمين وحداثة عهد المناضلين بالاعمال الثورية الواقية واهمال مبدأ اليقظة وعدم الاعتماد المطلق ، فان هذه الهزيمة لم تكن سوى هزيمة تكتيكية بحتة اذ ان نشوء هذه المنظمة او المجموعة والملحمة البطولية التي صنعها اعضائها على رغم قصر عمرها وعدم وجود التكافؤ الكمي والسلاحي بين الطرفين ترك أثرا عميقا لدى الجماهير الشعبية ولدى العناصر الثورية واحدثت تخلخلا جادا في صفوف الفئات السياسية مما أكسب فكرة الكفاح المسلح زخما اكبر وبسرعة اعظم نحو الامام وفي سبيل التكامل بحيث غدا الكفاح المسلح الذي تدور احداثه حاليا في وطننا ، استمرارا لحركة سياهكل هذه بالذات ..

وخلال هذه السنوات القليلة فان المنظمة من خلال العمل السياسي والعسكري في الداخل . استطاعت كسب تأييد المجموعات والمنظمات الثورية سواء في داخل البلاد او خارجها بل استطاعت ان تجلب انتباه سائر الثوريين الآخرين والقوى التقدمية في الدول الاخرى نحو نفسها وتحظى بعطفهم وتأييدهم ..

ونورد ادناه أهم العمليات الثورية التي اضطلعت بها منظمة فدائي الشعب ، خلال الفترة المنصرمة من الكفاح :

١ ــ التحقيق العلمي لفكرة الكفاح المسلح في ايران وخاصة في احراش شمالي ايران بحركة « سياهكل » بقيادة (ابو عباس) في شباط ١٩٧١ وقد قتل في هذا الاشتباك اكثر من ٦٠ ضابطا وجنديا . واستشهد جميع مناضلي الحركة ضمن الاشتباك وتحت التعذيب الوحشي الشاهنشاهي .

٢ ــ بتاريخ « ٥ نيسان ١٩٧١ » تم تنفيذ حكم الاعدام في الفريق

« فرسيو » المدعي العام العسكري المعادي للشعب في محاكم الشاه الصورية ، عقابا له على دوره الاساسي في اعدام الرفاق المشتركين في حركة سياهكل رميا بالرصاص . وقد عادت المجموعة الى قواعدها سالمة .

٣ ـ بمناسبة ما يسمى بمرور « ٢٥٠٠ » سنة على تأسيس الملكية في ايران تم تنفيذ سلسلة من الانفجارات تحت تماثيل الشاه والطغمة في المدن الايرانية . دليلا على السخط العارم الذي يكنه الشعب الايراني نحو الشاه والطغمة الحاكمة في ايران ، في اكتوبر ١٩٧١ ...

٤ ـ مصادرة موجودات عدة بنوك لصالح الثورة للصرف على احتياجاتها وما من شأنه تعزيزها . جرت العمليات بتواريخ : ٨ كانون الثاني ١٩٧١ ، و ٣ شباط ١٩٧١ : و ١٥ ايار ١٩٧١ . وقتل نتيجة هذه العمليات احد رؤساء البنوك ، وعادت المجموعات الى قواعدها سالمة ...

٥ ـ بتاريخ « ١٦ اكتوبر ١٩٧١ » تم تفجير عدة قنابل في ابراج ومحطات انتقال الطاقة الكهربائية خلال اقامة الاحتفالات بمناسبة ما يسمى بمرور الفين وخمسمائة سنة على تأسيس الملكية في ايران ...

٦ ـ اقتحام مراكز الشرطة في طهران بتاريخ « ٣ نيسان ١٩٧١ » وفي تبريز بتاريخ « آذار ١٩٧١ » بهدف مصادرة الاسلحة الموجودة فيها لصالح الثورة . وعادت المجموعة الى قواعدها سالمة ...

٧ ـ تفجير القنابل في مراكز الشرطة خلال اقامة احتفالات ما يسمى بالثورة البيضاء الشاهنشاهية . في « ٢٦ كانون الثاني ١٩٧١ » ونفذت نفس العملية في سنة « ١٩٧٢ » وبنفس التاريخ ...

٨ ـ ابان زيارة نيكسون لطهران في « ٢٩ ايار ١٩٧٢ » تم تفجير مراكز المصالح الامبريالية والصهيونية في ايران تضامنا مع القوى الثورية الاخرى. وقد انفجرت العبوات في كل من (شركة اسو لاستخراج البترول) ، (شركة جنرال موتور) (شركة مارين بترول) (شركة بيبسي كولا) (ومكاتب شركات البترولية الامريكية المختلفة) . وبتاريخ « ٣١ ايار ١٩٧٢ » وضعت عبوات ناسفة في سيارتين تابعتين لمستشارين امريكيين مقابل فندق انترناشيونال ، وقد دمرت السيارتان تدميرا كاملا . وعندما كان نيكسون يقوم بتفقد بعض المنشئات ألقيت عدة قنابل على سيارته ولكنها انفجرت متأخرة واحدثت بعض الاضرار بالسيارات المرافقة ...

٩ ـ بتاريخ « ٢٥ مارس ١٩٧٣ » تمكنت المناضلة أشرف دهقاني من عناصر منظمة فدائي الشعب الهروب من سجون الشاه العميل ، والتحقت بصفوف رفاقها الثوار .

١٠ ـ بتاريخ « ٢٤ آب ١٩٧٣ » اشتبك اثنان من عناصر منظمة فدائي الشعب مع القوات الايرانية وقد اعترفت السلطة العملية بوقوع ٣٢ اصابة ما بين قتيل وجريح من أفراد الشرطة . واستشهد الرفيق البطل « ايرج سبهري » (ابو سعيد) وتمكن الرفيق الآخر من الفرار ...

١١ ـ بمناسبة الذكرى الرابعة لبدء الكفاح المسلح في ايران ، قامت مجموعة من عناصر منظمة فدائي الشعب بوضع عبوات ناسفة في المقر الرئيسي لقوات الدرك في طهران بتاريخ « ٩ شباط ١٩٧٤ » ونتيجة لهذه العملية عزل الشاه رئيس قوات الدرك وثلاثة من الضباط الكبار ...

١٢ ـ ابان زيارة سلطان عمان المجرم « قابوس » لايران في مارس ١٩٧٤ ، اهتزت سفارة عمان في طهران بشدة أثر انفجار قنبلة بداخلها على رغم الحراسة الشديدة من جانب الشرطة ...

١٣ ـ تهدم في نفس التاريخ « مارس ١٩٧٤ » مقر شركة الطيران البريطانية في طهران نتيجة انفجار قنبلة في داخلها وكانت العملية تعبيرا عن الاستنكار حول السياسة الخيانية التي تتبعها الحكومة البريطانية في حرب ظفار وتدخلاتها المباشرة وغير المباشرة في الحرب التحررية التي يخوضها الشعب العماني ...

١٤ ـ وقع انفجار في نفس التاريخ كذلك امام مقر شركة « شل » التي تملك اكبر اسهم النفط في عمان ، هز الانفجار البناية هزا وكان ذلك استنكارا لتدخل الاحتكارات النفطية في حرب عمان ومن المعلوم ان هذه الشركة تتحمل توسيع نطاق عمليات الثورة المضادة في عمان ...

١٥ ـ بتاريخ « ١١ آب ١٩٧٤ » نفذ ثوار منظمة فدائي الشعب حكم الاعدام بحق احد العملاء وهو العميل محمد صادق فاتح يزدي ، صاحب مصنع (جهان للغزل والنسيج) وقد جاءت هذه العملية ردا على الجريمة البشعة التي ارتكبتها سلطات الشاه العميل بحق عمال المصنع الذين اعلنوا الاضراب مطالبين بتحسين ظروف العمل وزيادة الاجور وقاموا بمظاهرة في طهران تصدت لها قوات النظام العميل بالنار فسقط زهاء عشرين قتيلا وجرح عدد كبير من العمال . واشتباكات متعددة وعمليات ثورية اخرى اسير اليها بالتفصيل في كتاب « شيء من تجارب حرب الانصار داخل المدن في ايران » وفي خضم هذه العمليات الثورية النضالية ، تكدس لدى المنظمة خزين من التجارب الثورية وضعت تحت تصرف المكافحين الايرانيين بهدف اغناء التجربة الثورية على نطاق البلاد . ونذكر هنا قسطا من المطبوعات (كتب ومقالات وغيرها) المنشورة من قبل منظمة فدائي الشعب الايراني .

١ ـ الكفاح المسلح ـ الاستراتيجية والتكتيك ـ .
٢ ـ ضرورة الكفاح المسلح ودحض نظرية البقاء .
٣ ـ مقال حول الاهداف والسلوك .
٤ ـ مذكرات فدائي أسير .
٥ ـ ملحمة المقاومة .
٦ ـ شيء من تجارب حرب الانصار داخل المدن في ايران .
٧ ـ دليل النصير العامل داخل ايران .
٨ ـ موجة تجارب الانصار في الادغال .
٩ ـ دليل القضايا التكتيكية لحرب الانصار .
١٠ ـ ذكرى الشهداء .
١١ ـ تجارب من التحقيق والتعذيب .
١٢ ـ مقال حول « دور الامبريالية في المنطقة وضرورة تحالف القوى الثورية ومقالات ومنشورات اخرى ألفت خلال عملية الكفاح المسلح » .

تمكنت المنظمة منذ بزوغ فكرة الكفاح المسلح ونقلها الى حيز التطبيق العملي والى يومنا هذا من الوقوف بوجه الهجوم الوحشي للسلطة في المعارك غير المتكافئة والبقاء صامدا في الميدان بالرغم من ظروف الارهاب الشديد وتحكم الحكم العسكري المطلق وبالرغم من آلاف المؤامرات والحيل التي يلجأ اليها النظام المعادي لاماني الشعب ، بل ان رقعة الكفاح المسلح قد شملت مناطق أوسع واوسع من بلادنا وانزلت أفكار المنظمة وبطولاتها بأناس آخرين الى الميدان ولم يصب المرتزقة التابعين للسلطة الشاهنشاهية العاملين يدا بيد مع منظمة الاستخبارات الامريكية (سيا) وتحت توجيه واشراف « هلمز » سفير امريكا في ايران غير الخذلان والهزيمة في جميع العمليات التي دبروها ضد المناضلين بهدف ابادتهم والقضاء على فكرة الكفاح المسلح ، الامر الذي اعترف به الشاه بصراحة في مؤتمراته الصحفية لاكثر من مرة ، فلقد قال في احداها ما نصه : ان المخربين موجودون في ايران فعلا كما هم موجودون في أي مكان آخر من العالم وهم يواصلون اعمالهم التخريبية ...

واليوم فان منظمة « فدائي الشعب » قد تجاوزت مرحلة التشكيل من خلال التجارب الفنية التي حصلت عليها خلال الفترة القصيرة المنصرمة وانتقلت الى مرحلة جديدة خطت فيها خطوات موفقة واستطاعت ان تصل الى مستوى رفيع في التعبئة الثورية في النواحي الكمية والكيفية على السواء ..

ان كاتب هذه المذكرات هو احد الرفاق العمال الشباب ، وقع في الاسر في مستهل نشاطه الثوري في المنظمة الفدائية ؛ لعدم مراعاته بعض المبادىء والاصول الثورية لكنه وقف بوجه العدو بمعنوية ثورية كأي بروليتاري صادق وبوعي يجدر بالانصار ، وقاوم بثبات ورباطة جأش شتى صنوف التعذيب التي تعرض لها على يد سفاكي ساواك (١) .

لقد كان الحس الطبقي الذاتي وجوهر السلطة المعادي للعمال الذي رآه هذا الرفيق بأم عينيه ولمسه بكل حواسه خلال حياته اليومية كبروليتاري ، العامل الاساسي الذي دفعه الى اللحاق بركب النضال المسلح الذي رفعت لواءه منظمته الثورية ، وكان تقززه من العدو شديدا بحيث كان جسمه يرتعش غضبا وتغلي الدماء في عروقه كلما تصور الخيانة لرفاقه والاستسلام للعدو ويقاسي من ألم نفسي أشد وأقسى بعشرات المرات من آلام التعذيب الجسدي الذي يمارسه العدو ضد المناضلين ، ولقد عمل رفيقنا بدقة ووعي خلال عمليات الاستجواب الطويلة والمجابهة مع المحققين وفرسان التعذيب القساة للتعرف الدقيق على شخصيات هؤلاء وسبر أغوار مشاعرهم ونفسياتهم واكتشاف نقاط الضعف فيهم وفي أساليبهم ، ولحسن الحظ لم تكن جزئيات نشاطه الثوري وعلاقاته داخل المنظمة الفدائية معروفة لدى العدو لذا فانه لعب دور انسان ساذج وبسيط وعلى نحو مدروس ومبرمج ، بحيث قدر على اغواء مأموري الساواك ، وخلال قيامه بتمثيل هذا الدور ظل محتفظا بوعيه الكامل ونقائه الثوري ، بحيث ان لحظات اللجوء الى بعض الاساليب للتمويه على العدو وممارسة ما يستلزم ذلك لم ينالا من حقده المقدس على السلطة الفاشمة ولم يحدا من نفوره منها او يثبطا من مقومات المقاومة في ذاته : الارادة الفولاذية ، الايمان،

(١) منظمة الامن الايرانية (سازمان امنيت واطلاعات كل كشور) .

الروح النضالية ... الخ ، متجنبا بذلك جميع الآثار السلبية التي قد يتركها هذا الموقف المؤقت في نفسه ، منطلقا من حقيقة ان النجاح في تنفيذ مخطط ما يستلزم اتخاذ موقف متحفظ من اجل اغواء العدو ، لا يمكن ان يتحقق دون وجود محرك ذاتي عميق غير قابل للخلل .

وهكذا فان التربص الواعي والحاذق من جانب رفيقنا ، أدى بمأموري العدو ذوي الحنكة العدوانية ان يتصوروا انه ليس سوى ما يظهر لهم ، لذا خفت رغبتهم في الاستمرار في تعذيبه ، ودون ان يحصلوا منه على كلمة واحدة تضر الحركة ، اقلعوا عن التحقيق معه البتة . وهكذا ظل رفيقنا وفيا للعهد الذي قطعه على نفسه امام شعبه ورفاقه ، وخرج عالي الجبين من أحد اعسر الامتحانات النضالية كما يجدر بأي نصير فدائي للشعب .

في هذه المذكرات ، يسلط رفيقنا الضوء على خصائص ونفسيات مأموري العدو ويعكس الوجه الحقيقي لهؤلاء المرتزقة ، ويبين نقاطا حساسة دقيقة في المجابهة مع العدو قد يؤثر اهمال احداها على مصير المناضل الاسير ، وفي اعتقادنا فان هذه السطور تساهم في تسليط الضوء على واقع العدو واساليبه ونفسيات أفراده واظهار وجهه الحقيقي بشكل واضح وجلي لكثير من المناضلين الذين لم يخبروا بعد ، دروب النضال المختلفة ليستطيعوا من خلال التعرف عليه كسب الاستعداد الكامل لمجابهة احابيله واساليبه واحتلال المواقع الصحيحة في النضال وتعريف الرفاق الآخرين به .

مقدمة

يرجع النمو التكتيكي والتكنيكي للنضال المسلح في بحر السنتين الاخيرتين الى التجارب الغزيرة التي اكتسبها المناضلون في خضم النضال العملي ، لقد اغنى الثوريون الذين شهدوا الاشتباكات المتلاحقة مع الشرطة وصبغت دماؤهم أديم وطننا ، والشهداء الذين كتبوا بدمائهم دروس النضال لنا والرفاق الاسرى الذين يرزحون الآن تحت طائلة العذاب في زنزانات الامبريالية وصنيعتها السلطة الحاكمة في طهران ، اغنوا خلال هذه الفترة القصيرة حركتنا الثورية بخزين هائل من الدروس والعبر النضالية القيمة ، وفي ظروف نضالية كالتي نعيشها حاليا ، فان هذه التجارب سواء أكانت تاكتيكات اصولية ام تكتيكات دقيقة وطريفة في آن واحد ، فقد وضعت في متناول يد النصير المدني (٢) ودفع ثمنها دما او فترات طويلة من السجن والعذاب المتواصل ، الامر الذي يستلزم دراستها والاستفادة منها بوعي وثبات من قبل جميع الرفاق الانصار والمناضلين الذين يواجهون يوميا مختلف أساليب أجهزة السلطة والتقيد بها ومراعاتها بدقة ... ان سنوات طويلة من العمل السياسي الصرف المفتقر الى اصغر عمل دعائي في صفوف الجماهير الكادحة قد وضعت النضال الوطني في بلادنا امام معضلة كبرى .

لقد كانت واقعة سياهكل العظمى نقطة انعطاف كبرى في الوقائع السياسية التي تتابعت في ايران خلال السنوات الاخيرة ، وكسرت الى الابد الاطواق والمآزق التي عانت منها الحركات الثورية في بلادنا وفتحت

(٢) المقصود هو النصير الساكن في مراكز المدن .

دربا جديدا أمام المناضلين الايرانيين ، ولم يؤد بزوغ فكرة النضال المسلح وتنفيذها الى انهاء الاعتكاف داخل الغرف الموصدة باحكام والانغمار بين امهات الكتب فحسب بل افرغ من محتواه زعيق تلك الفئة من المثقفين العاطلين الذين كانوا يتباكون على انماء الوعي السياسي للشعب .

ان النار التي اندلعت في بقعة من شمالي ايران امتد لهيبها الى بيادر المستبدين واعداء الشعب فالتهمتها ألسنتها وغدت نارا هيهات ان تنطفيء ابدا مهما حاولت اجهزة الدكتاتورية ، نارا وضعت مسألة الحياة والموت بشكلها الحقيقي امام سلطة الشاه المقيتة وامتدت ألسنتها الى جميع مدن ايران ودقت بعنف اجراس الموت لدكتاتورية الشاه الطاغية ، وبديهي ان المثقفين الواقعيين والثوريين الايرانيين الذين طالما تغنوا ببطولات هذا الشعب وتضحياته لن يترددوا في اذكاء النار وتأمين أسباب ديمومتها وسوف يضعون جميع امكانياتهم وقابلياتهم في خدمة مهمة تقوية النضال المسلح ، واذا كانت مساعيهم متجهة في الماضي الى تحليل المجتمع وتعيين سبل النضال الصحيحة ، فانه في الظروف الجديدة هذه لم يبق امامهم الا التفكير في ايجاد الطرق التحريضية العملية المؤدية الى زج اكبر عدد من المناضلين في خدمة النضال المسلح وساحة المعركة والمجابهة مع اجهزة الشرطة التابعة للسلطة الدكتاتورية الباغية . ان عليهم ، ان يتوجهوا حاليا الى تقوية الصراع لصالح الشعب والتصدي للمشاكل التي تعترض سبيل العملية النضالية واذلالها ، ومن الواضح جدا ان اظهار العطف ، مهما كان شديدا ، نحو النضال التحرري للجماهير الشعبية وابراز الشوق والتلهف لم يكن ، ولم يغدُ قادرا على تقديم الاجوبة الشافية للاسئلة التي تطرح نفسها بالحاح في العملية النضالية الكبرى حيث المجابهة المباشرة مع مختلف المؤسسات البوليسية المجهزة تجهيزا مثاليا ... لقد كان النضال المسلح، عندما شرعت به طلائع الثوريين من ابناء شعبنا ، قد طرح نفسه بالحاح وكان ابناء شعبنا هؤلاء قد تحملوا مسؤولية خطيرة وعظيمة دون تجارب ثورية سابقة ترشدهم ... ومع ان بعض العمليات الثورية كانت قد انجزت بنجاح تام ، لكن الاطار التنظيمي السياسي لم يكن قد اكتمل بعد خصوصا داخل المدن ، لذا فلقد كان النضال المسلح بالذات لما يزل بعد سوى شجرة فتية لم يصلب عودها وكان مكتوبا عليه ان ينمو ويكبر في ظروف صعبة وقاسية للغاية وتحت الضربات القاتلة الموجهة من الردة وعناصرة الثورة المضادة ولقد أتت اولى الضربات ، بالضبط ، عندما كان العمل جاريا في اكتساب التجارب الضرورية للمجابهة مع الثورة المضادة ، وكان خزيننا شحيحا للغاية

ولم نكن قد تعرفنا بعد حتى على القليل من مستلزمات النضال . ولقد كانت احدى اسباب ثقل هذه الضربة قلة التجربة في النضال المسلح وضعف بعض الرفاق من النواحي التطبيقية . لست ادري لماذا لا تتكافأ خمسون ساعة من الكلام عن النضال وطرق الحسم لصالح الشعب مع ساعة واحدة من العمل الفعلي النشط وجل ما اعرفه بهذا الصدد هو ان الفرد الذي لا يملك القدرة على خوض حلبة المجابهة الفعلية مع المشاكل العملية لا يستطيع التصدي لحسم هذه المشكلات لصالح الشعب مهما اوتي من قوة الكلام وفنون التعبير ، وواضح ان قصدي من « الكلام عن النضال وطرح الحسم لصالح الشعب » انما هو ذلك الذي لا يقترن بالمبادرة العملية ، اذ لا يمكن قط الاستغناء عن المناقشة وتبادل وجهات النظر حول المسائل العملية وحلها وتوقع المشاكل التي قد تظهر عند تحليل هذه المسائل ...

خلال العمل وحده ، يتعرف الانسان على حلاوة الحياة ومرارتها بالمعنى الحقيقي ، في العمل يفهم المرء انه من اجل احراز النصر لا بد من الكفاح والسعي الحثيث ، نتعلم الا نكون بسطاء سذجا ، سهلي التصديق . يعلمنا العمل عدم الاعتقاد بالملذات والمسرات المحرزة من دون عناء وعدم الوقوع ضحايا للسطحية ولألاعيب العدو ، حقا ان العمل لشيء عجيب وخلاق ، فالانسان العامل لا يفقد الامل ابدا وان حاقت به الهزائم صغرت أم كبرت .

رفيق

٣٥١/١٠/١٠

البداية

عرفني زميل قديم كانت لي معه علاقات صداقة وثيقة في المعمل الذي كنت اعمل فيه سابقا ، بشخص آخر اسميه « زيدا » كان يشارك زميلي المشار اليه السكنى في الدار التي يسكنها هو ، حدث هذا في وقت لم أكن قد وضعت اقداما ثابتة في ساحة العمل التنظيمي ، وكنت اناقش ما ارتشفه من بطون الكتب الماركسية مع البعض من زملائي العمال الذين كانوا يظهرون ولعا خاصا بالمطالعة والبحث ، وكانت هذه المناقشات تساعدني كثيرا على هضم واستيعاب ما اقرأه وتشكل لي نوعا من التجربة في العمل السياسي في صفوف البروليتاريا .

كانت لقاءاتي مع الزميل المذكور اعلاه لا تقتصر على مواقع العمل وانما كنا نلتقي في ساعات الراحة وبعد مغادرة المعمل ونقضي جل اوقاتنا ، اما بسرد النكت والنوادر ، او نتبادل الكتب المختلفة ونتمحص في دراسة ما بين دفتيها ، ثم نتناول محتوياتها بالنقاش والبحث ، وكان منزل هذا الزميل مسرحا لاكثر لقاءاتنا . فقد كان هو ينتمي الى ذلك الضرب من الناس الذين يشغفون بالمطالعة للتثقيف الذاتي فقط دون نقل ما استوعبوه او قرأوه الى الآخرين تحاشيا لما قد ينجم عن ذلك من مشاكل هم في غنى عنها !... فلقد كان ولعه بدراسة المتون الماركسية يفتر كلما لاح في الافق خطر الشرطة او السجن !!. وكان كثيرا ما يردد بأنه يجب تحديد رقعة النضال تحديدا شديدا بحيث لا ينتبه العدو اليها ويتصدى لضربها ، وكان يظهر توده الى الافكار الماركسية لمن كان يثق بهم فقط ويأمن من ان اقواله لن تصل بأي شكل من الاشكال الى آذان مؤسسات الدكتاتورية الآريامهرية .

على أي حال ، لا أرى ثمة حاجة ملحة في الاسترسال في وصف هـذا الشخص ، اذ ما يهمني هو ان هذه العلاقة اتاحت لي ان اتعرف على زيد ذلك الانسان الذي لا انساه قط مادمت حيا ، وكان زميلي العامل قد وصف لي زيدا من الناحية الفكرية وولعه بالقضايا السياسية ، اهدافـه السياسية ، عفته وسمو ثقافته السياسية والعامة ، واكد علي اكثر من مرة الا افرط به واحرص على مواصلة زمالتي معه ، وبين لي بصراحة بأنه لا يجد وجها للمقايسة بين نفسه وبين زيد وبأنه ، ان لم يتعمد مخادعة نفسه ، لا يستطيع ان يسمي نفسه بحق رجل العمل الفعلي وانه يجد نفسه عاجزا عن القيام بأي عمل تنظيمي او سياسي بين الجماهير ، على العكس من زيد الذي يملك قدرة وقابلية خارقتين في هذا المضمار ... واصبح القليل من الصداقة التي تشكلت بيني وبين زيد اضافة الى التشجيع الذي لاقيته من زميلي العامل ،عاملين دفعاني الى ان أقدم زيدا الى المجموعة كنصير لنا . اذ كنت قد قبلت عضوا في المجموعة الثورية وكنت أعمل في حالة اختفاء تقريبا واحتمل نوعا من المسؤولية ، الامر الذي كان لا يلزمني بشدة كسائر الاعضاء بالتحري عن كسب الاصدقاء والانصار فحسب ، بل وكمـا سنرى كان من شأنه ان يجلب علي الضرر ..

فاتحت زيدا ذات مرة بالامر ، واعطيته كتبا للمطالعة ، وهنا ارتكبت خطأ تنظيميا يعتبر ضربا من الليبرالية وهو انني لم اطلع الرفيق الـذي يربطني بالمجموعة والذي نسميه « خسرو » ، وبطبيعة الحال كنت اعطي نفسي مبررات مقنعة على رغم تفاهتها وسخافتها الواقعية ، ومن جملة هذه المبررات ، وجوب التعرف الجيد على شخصية زيد والاطمئنان الكامل على نقائه والوقوف على امكان تحوله الى فرد مفيد للمجموعة ولقضية النضال في سبيل تحقيق اهدافها ، قبل تعريفه على خسرو او اعلام خسرو به ، ومرد هذا هو عدم قدرتي على ادراك ان الفردية في العمل ، في حالة انكشاف فشلها ولقبها للخطر ، قد تهدد رفاقا آخرين غيري من الذين لا لا علاقة تنظيمية لي بهم ، وكان هذا ، كما هو معلوم ، خرقا لاصول العمل التنظيمي الصحيح (١) ولقد غدا هذا العمل الفردي والارتباط الذي نشأ

---

(١) كان هناك في نفس الوقت سبب آخر يقف وراء هذا التصرف الخاطىء ، الا وهو فشل محاولاتي مع عدد آخر من الافراد ، تحملت كثيرا من المتاعب والمشاق في سبيل كسبهم ، وكنت قد كسبت فعلا عددا منهم بعد جهود ومناقشات طويلة ، لكنهم جميعا تراجعوا ولقد ساورني نوع من القلق والشعور بالتقصير نتيجة لبعض التحليلات والاستنتاجات السطحية ، وكنت أشعر من جراء ذلك بخجل مزمن أمام الرفيق خسرو . وفي الواقع فلقد كانت جميع محاولاتي المتسمة بالعجالة والمفتقرة الى المعرفة الدقيقة والتشخيص الكامل والشامل ، والدقـة

عنه ، خصوصا بعدما استغرق وقتا طويلا ومضى عليه شيء من الزمن ، غدا عبئا ثقيلا على شعوري بالصدق الثوري ، وكنت اشعر ، كلما سلمت بعضا من الادبيات الثورية والكتب الى زيد للاطلاع عليها دون علم مسبق من خسرو ، بأنني ارتكب اخطاء جديدة وبأني لا اتصرف تصرف الانسان الصادق ... لكن كان هناك شيء واحد يعزيني في هذه الازمة النفسية ويخفف من وطأتها علي الا وهو « الثمرة » التي قد احصل عليها من وراء هذا الارتباط : تقديم عضو ، ناضج ، ذي قابلية جيدة جدا الى المجموعة الامر الذي سيسر جميع رفاقي ... واعترف بأنه كان هناك ثمة سبب آخر وراء الاخفاء ، وهو سبب مهم واساسي اكثر من غيره ، وهذا السبب هو التخوف من الانتقاد والافتقار الى الصراحة والشجاعة الثوريتين ، شجاعة الافصاح عن كل ما نفذته ، الصالح منه والطالح ، سواء أكان ذلك الذي يأتي علي بالاستحسان والتشجيع من لدن الرفاق ، أم ذلك الذي قد يؤدي الى توجيه الانتقادات او العقوبات التنظيمية الي من قبلهم ، كما وأقر بأن هذا التخوف من الانتقاد لم يكن وليد هذه اللحظات ، بل انه بقايا الصفات السيئة للفرد البرجوازي الصغير ، صفات الانانية والاثرة ... في الواقع لم أكن قادرا على ان أفهم نفسي وادراك ذاتي كما يجب ، ولم أكن قد جسدت في مخيلتي صورة كاملة وواضحة لمهمتي ، وواجباتي وانا عضو عامل في منظمة ذات نشاطات وخصال ثورية ، صحيح اني كنت قد اقتنعت تماما بعدالة الحركة وقبلتها لكنني يجب ان أقر بأن روح الاندفاع والعاطفة كان طاغيا علي ولم تزل افكاري حينئذ فجة وسطحية . ولقد ثبت خلال التجارب المريرة ، ان الاتصال الارتجالي بالاشخاص الذين لا نملك عنهم معلومات كافية ومتعددة الجوانب ، يحمل في طياته اخطارا جسيمة قد ندفع ثمنها غاليا ، وكم من ضربات دموية سددت الى الحركة الثورية نتيجة اهمال جانب بسيط من الاتصال ، ذلك لان الاتصال يعتبر من أهم حلقات توسيع العمل التنظيمي وأكثرها حيوية في الوقت الحاضر [تبرز أهمية هذه المسألة في الاعتقالات الواسعة التي جرت في صيف ١٣٥٠ (١٩٧١)] وقد يغدو اهمال جانب ولو بسيط جدا من هذه المسألة منفذا لتسرب احد العناصر المزروعة من قبل منظمة الامن (ساداك) ، ومن المفيد هنا ان نذكر ان اهمال هذا المبدأ وقف كعامل اساسي وسبب رئيسي وراء كشف واعتقال مجموعة « بيرن جرني » ومجموعة « مجاهدي الشعب » .

والتروي ، في قضايا أخرى أيضا تغطية لفشلي المذكور ، وهكذا قبلت زيدا للعمل بناء على توصية من زميلي العامل فحسب !!

كما ان تحديد المواعيد التي تسبق اللقاءات بوقت طويل حيث لا يمكن اجراء الاتصال المباشر ، يعتبر هو الآخر خطأ جسيما في عمليات الاتصال (٢) وتقضي المباديء التنظيمية الصحيحة ان يكون الافراد الذين يربطهم نوع من العلاقة التنظيمية على علم وثيق ودائم بأوضاع بعضهم البعض والتطورات التي تستجد كالاعتقالات او الحوادث الطارئة ليتمكنوا من اتخاذ التدابير اللازمة عند الحاجة لمواجهة مثل هذه التطورات ولنفس هذا السبب فان ضرب المواعيد التي تتخللها فواصل زمنية قصيرة يعتبر امرا ذا اهمية خاصة وضروريا الى حد كبير ، ذلك لان مثل هذه المواعيد واللقاءات تؤدي الى ان يكون هناك نوع من المعرفة المتبادلة بين الرفاق بالتطورات وتشكل ضمانا جيدا بتفادي اخطار الانكشاف والاعتقال المفاجيء ، وعلى سبيل المثال ، اذكر حادثة حدثت لي شخصيا : بعد الاتصال الفردي بزيد . الذي جرى كما بينت آنفا من دون علم مسبق لمسؤولي ، كنت أطرح معه نقاطا وقضايا بهدف استنتاج طبيعة تصرفاته وعلاقاته ، ومن ثم معرفة ما اذا كانت احدى هذه الوقائع من شأنها ان تصبح مصدرا للخطر علينا . كنت ألقي عليه اسئلة مثل :

١ ــ هل انه متصل حاليا بأي فرد او بعدد من الافراد ؟
٢ ــ هل سبق له وان شارك في التظاهرات الطلابية ؟
٣ ــ هل ان الشرطة تملك نوعا من الحساسية تجاهه ؟
٤ ــ هل سبق له وان قام بأعمال اثارت سوء ظن من حوله به ؟
٥ ــ هل ان الذين يختلط بهم هم من العناصر التي لا يشك بنزاهتها ؟

وفي الواقع ، فاني لم اكن أعرف شيئا عن ماضيه ، لاني ادركت واقعه فيما بعد واصطدمت بزيف ادعاءاته بهذا الخصوص الامر الذي اثبت عكس الصورة التي كنت قد كونتها له في ذهني (ومصدر الخطأ هنا هو عدم معرفتي اياه بشكل كاف) ، وادى تصوري الخاطيء بأنه « مرتبط بي حاليا ولا يملك مصدرا للاتصال غيري انا ، وليس مرتبطا بأية من الاوساط السياسية الاخرى سواء في الجامعة او في خارجها » ، اضافة الى اسباب اخرى غير تلك التي ذكرتها ، أدى كل ذلك الى ان اضرب معه مواعيد طويلة الامد ...

والآن ، لنرجع قليلا الى الوراء لنقف على جوانب اكثر وضوحا من

---

(٢) كان رحيم كيازر مشتبها به لدى العدو واتخذت السلطة بعض التدابير للقبض عليه ، لكن مناف فلكي الذي كان يعلم بهذه العلاقة ، كان يضرب مع رحيم مواعيد طويلة الامد ، وأدى هذا الخطأ الى وقوعه بالذات في قبضة العدو .

هذا الارتباط : بعد ظهر احد ايام شهر خرواو (مايو) كنا انا والرفيق خسرو جالسين سوية في البيت ، طلب مني كتاب « والفولاذ سقيناه » ، وكنت قد اعرت زيدا هذا الكتاب لمطالعته ، وكان خسرو قد طلب مني الكتاب قبل ذلك عدة مرات ، وكنت قد اجبته بأن الكتاب لم يعد بحوزتي وانه سبق لي ان اعدته اليه . طبعا لم اتعمد الكذب مع خسرو بأي حال من الاحوال فلقد كنت قد نسيت بأني كنت قد اعرت زيدا هذا الكتاب ، وكنت اتصور في قرارة نفسي بأن خسرو قد استرجع كتابه وانه ربما نسي ذلك، لكن اصرار خسرو بهذا الصدد جعلني أفكر بجدية في أمر الكتاب وبدأت الشكوك تساورني فيما كنت قد ذهبت اليه الى ان تذكرت بأن الكتاب في حوزة زيد، ويظهر ان الرفيق خسرو لم يستطع ابعاد الشك عن ذهنه حول هذا الاهتداء المفاجيء الى مصير الكتاب ، ولذلك اهتدى الى استنتاج منطقي بأن اصراري على استرداده للكتاب يرجع الى كسبي لصديق جديد دون الرجوع اليه والى رأيه والى المنظمة ، وحيث ان المسألة الاساسية هي التصرف الفردي الذي قمت به والذي كان يجب حله وتوضيحه ، لذا لم نتطرق الى مسألة : أكنت قد نسيت حقا اعارة الكتاب أم كنت أنوي امرار الوقت فحسب ؟

ولنعد الى قصة ارتباطي بزيد : ـ

الفصل صيف ، ولقد تجاوزت لقاءاتنا عدة جلسات كنا خلالها نتجاذب اطراف الحديث متناولين مسائل جديدة وجديدة في كل مرة ، وتواعدنا على ان يكون لقاؤنا القادم عشية أحد اواخر ايام شهرتير (يونيو) في شارع شهباز، والتقينا في الزمان والمكان المعينين ، وكنا قبل ذلك قد تباحثنا في موضوع سفر زيد الى شهد واستعداده لارجاء السفر اذا كان ذلك ضروريا ، وبين لي بأن القرار النهائي هو لي ، اما حجته للسفر فكان التداوي في مستشفى سبق له ان عولج فيه وترك فيه رقوق الاشعة التي صورت له وكذلك اضبارته اضافة الى وجوب زيارة اقاربه واصدقائه بالرغم من قلة اهمية المبرر الاخير !! وبين لي ، بأنه على رغم ذلك ، يترك امر القرار لي أيذهب أم لا ؟!! قلت له : ـ

ـ ... نعم ، ليس هناك ما يحول دون سفرك الى مشهد حاليا ، والموضوع الاهم الذي أؤكد عليه هو ضمان المطالعة ، حسنا سيجري تأمين ذلك ايضا وسأضع في متناول يديك بعضا من المواد وعند ذلك يتوقف الامر عليك وحدك ، وسيكون في وسعك الاستفادة من وقتك هناك في مطالعة « تأريخ الحكم الدستوري » وغيره من الكتب التأريخية !! نعم كنت انا الذي يتخذ القرار بشأن سفره ، ولقد ارسلته فعلا الى مشهد ليعتقل هنا

(كما يقول المثل) ، ويبيض وجهنا !! لا ليوم او يومين ، او لاسبوع او اسبوعين ، بل لشهر كامل ونصفه من الزمان .

حقا لقد ارتكبت خطأ كبيرا ، عند سماحي له بالسفر الى مشهد . كان مصيري مرتبطا بالمجموعة ، ومن هنا كان من شأنه ان يأخذ مسارا معينا ، وكانت الامكانات الموضوعة تحت تصرفي قد ضمنت من قبل المجموعة وكان من شأن الرجوع الى المجموعة ان يؤثر تأثيرا كبيرا في التقدم الخلاق لنشاطاتنا واعمالنا ، لكنني أقر بأنني لم أفكر بهذا الامر الجوهري قط ، وهكذا فاني لم أكن قد توصلت الى اجراء المقارنة المنطقية من عدة جوانب لكل مسألة ، وكنت احسب المكاسب الضئيلة ذات الجوانب الظاهرية ، اعمالا لا تقدر بثمن مكتفيا باحراز واحدة منها فقط ! على أي حال ، افترقنا بعد ان قررنا بالشكل المبين آنفا وتوجه كل منا الى جهة . ثم طرحت هذا الموضوع ، مع الرفيق خسرو بصفته موضوعا يحتل أهمية نسبية ويستحق المناقشة والتحليل ، ولقد تلقيت انتقادا لاذعا ، من الرفيق خسرو لكون ارتباطي بزيد خطأ كبيرا وغير صائب مطلقا ، ولقد تحدث الرفيق خسرو طويلا عن غياب اي ضمان يسند هذه العلاقة بزيد يستطيع المرء من خلاله التثبت من سلامة زيد في مشهد وعدم وقوعه في قبضة العدو ، « وما هي الضمانات التي تعطيه القدرة على المقاومة وتمنعه من الاعتراف عليك وعلى ما يخفيه حولك ، في حالة ما اذا اعتقل وتعرض للتعذيب بهذه المدة الطويلة » ، وكنت في الواقع عاجزا تمام العجز عن ادراك هذه المخاطر وكثير غيرها من الحقائق التي صورها لي الرفيق خسرو ... وكان موعد اللقاء الذي اتفقنا عليه مع زيد قبل سفره يقترب ، وطرحت موضوع هذا اللقاء مرة ثانية مع الرفيق خسرو فارتأى عدم حضوري في المكان المحدد وعند حلول الموعد المضروب ، وصور لي احتمال انكشافه للشرطة واعتقاله ، وكان يؤكد لي بقوة بأن ذهابي الى لقياه في الموعد المضروب يعني اعتقالي لا محالة ، وبالرغم من كل تأكيداته واصراره فاني ذهبت الى المكان المحدد وفي الموعد المعين ، لسببين اقنعت نفسي بهما عند اقدامي على الذهاب : ـ

اولهما : الصورة الذهنية التي كنت قد كونتها لنفسي عن زيد والشرطة .

ثانيهما : عدم الفهم والاستيعاب الكاملين لتوصيات الرفيق خسرو بصفته حلقة وصلي ومسؤوليَ الذي يملك تجارب أغزر مني وقابليات أكبر .

تقابلنا مع الرفيق خسرو في صباح يوم ١٠ شهريور ١٣٥٠ (يوليو)

وضربنا موعدا للقاء ثانية في الساعة الثامنة من اليوم الذي كنت سأتقابل في الساعة الحادية عشرة منه مع زيد عند عودته ، وفي حالة عدم الحضور في تلك الساعة ففي الساعة التاسعة ليلا ... وفي الساعة العاشرة امتطيت دراجتي الهوائية التي كانت معي وتوجهت ، وانا في ملابس العمل وقيافة غير مرتبة تتناسب مع عملي كعامل ، نحو المكان الموعود فوصلته قبل الموعد . هذا المكان ، من حيث موقعه ، مناسب جدا للقاءات ذلك لانه يلتقي فيه عدد كبير من الازقة والدروب المتشعبة ، وهذا يعطي امكانية الدخول الى المكان والخروج منه لعدة مرات وفي كل مرة من فرع دون غيره ، وبالتالي الافلات من الخطر بسهولة عند الشعور باقترابه ، ولكي أتحقق من كون كل شيء عاديا وعلى ما يرام ، فاني اسندت دراجتي الى احدى الاشجار بعد ان ذرعت المكان جيئة وذهابا لعدة مرات وتفحصت كل الدروب بدقة واشتريت من بقال عجوز قطعة بسكويت من قيمة الـ (٢) ريـال ، وتظاهرت بالانشغال في تناوله ، وفي هذا الاثناء جلب نظري وقوف سيارة بيكاب بيضاء في الجانب الايسر من احد الازقة المفضية الى المكان ، وخرج منها رجل طويل القامة تغطي وجهه اثار كثيفة للجدري منبسط الاذن ، وتفحص داخل الزقاق مليا ، لكن وضعي وطريقة وقوفي كان عاديا وغير مسترع للنظر بحيث لم يجلب نظره ابدا ، ثم شعرت بتحركات غير اعتيادية ومثيرة للشبهة اشخاص أيقنت انهم ليسوا سوى رجال الامن الذين لم يطفئوا محركات سياراتهم وهم يدققون النظر في كل قادم ومغادر . راودني شعور بالحذر والتهيب وانا على موعد مشكوك مع شخص ما ، فارتعش قلبي وغالبني الشك لكن مغادرة المأمورين للمحل بسرعة ، انقذ الموقف وبدد الشكوك التي ساورتني وشعرت بالاطمئنان .

ركبت دراجتي وشرعت أتجول في المنطقة من دون تفكير فيما جرى ، وكان قد مضى بعض الوقت على موعدنا ، لكنني تريثت قليلا في المنطقة بأمل الا يطول تأخر زيد وان القاه . ثم أخذت الشكوك تساورني شيئا فشيئا ، مرة اخرى ، حول سبب عدم مجيء زيد ، وحول ما قد حدث له بشكل عام ، وحاولت ان اربط بين ذلك وقضايا مماثلة ، وتوصلت بعدئذ الـى نوع من القناعة بأن زيدا ربما لم يعد بعد من السفر أو انه قد وصل لتوه ولم يستطع اللحاق في الموعد ، وهكذا ابعدت عن حسابي بكل سذاجة وغباء كل احتمال عن القاء القبض عليه واقنعت نفسي بأنه لم يحدث له ما يبعث علي القلق ! وقد يكون هناك سبب آخر لعدم حضوره في الموعد المقرر ، وعلى أي حال ، فان الموقف سينجلي عندما القاه ! وكنت قد قررت في نفسي

ان انتقده بشدة ان لم يستطع من تقديم أدلة مقنعة ! وهكذا فاني بقيت انتظر الى ان تحين ساعة اللقاء الثاني .

في الساعة الثامنة ذهبت للقاء الرفيق خسرو ، غير اني لم أجده وساورني لذلك قلق شديد ذكرني بعدم مجيء زيد فضاعف ارباكي وتشويش ذهني . على أي حال ، توجهت كسير الفؤاد مضطربا نحو موقع الموعد الثاني مع زيد وهو امام احدى دور السينما كنت أحس في قرارة نفسي باضطراب شديد داهمتني الشكوك والهواجس وتحول كل ما حولي الى افواه تناديني : ان احترس ، لكنها لم تجد مني آذانا صاغية ولم تحملني على تفحص المكان بشكل جيد والتأكد من عدم وجود ما يبعث على الخطر ثم الاقدام على الاتصال في حين كان بامكاني الوقوف بجانب عربة احد باعة الباقلاء وتناول الباقلاء عنده على مهل والتركيز على مراقبة ما يجري حولي بسهولة ، ومع ذلك فان هذا المكان ايضا يختلف عن المكان السابق الذي تواعدنا مع زيد للقاء فيه بما يلي :

ـ ليس موقعا مناسبا لمثل هذه اللقاءات ابدا بخلاف المكان السابق بل يتميز عنه بعيوب كثيرة أهمها :

١ ـ ليست هناك مفرات مناسبة للتخلص من الخطر بسرعة .

٢ ـ انه محل تتجمع فيه عادة ، العناصر المشاكسة والفتيان الجانحون الذين يتجمعون عادة امام دور السينما ويحتمل تعاونهم مع الشرطة عند الفرار .

٣ ـ ان المحل بالذات كثير الازدحام ، مما يسهل على المأمورين الاختفاء الكامل بين صفوف الجمهور والتصرف بشكل لا يبعث على الشك (طبعا ، هذه الميزة ، كانت في صالحي ايضا) .

هذا اضافة الى ان الملتقى المحدد كان مكانا واحدا فقط ولم تحدد بدائل له الامر الذي قلل من امكان مراقبة المنطقة من قبلنا (٣) .

---

(٣) من مميزات تحديد بدائل لزمان ومكان اللقاءات (المواعيد المتغيرة) : في حالة اعتقال احد الرفاق وكشف الموعد للعدو ، يمكن تشخيص ما يلي من خلال مراقبة المكان وتحليل الوضع بمختلف الطرق المبتكرة ذاتيا .

١ ـ معرفة تعرض الشخص المعتقل للضرب ام لا .
ـ من مشيه (ايعرج أم لا ؟) .
ـ من مظهره غير الاعتيادي (اصفرار الوجه ، آثار الكلمات على الوجه ، عدم انتظام الهندام ومظاهر اللامبالاة) .

٢ ـ معرفة ما اذا كان الشخص جريحا ام لا (اذ في هذه الحالة ، يجلبه الساواكيون بواسطة نقل الى المكان الموعود) .

٣ ـ يمكن ادراك أوجه الشك في الوضع بمراقبة المارة والسيارات ... هذا اضافة الى انه يصعب على العدو كثيرا محاصرة الموعد المتغير (ذي البدائل) نظرا لكبر المساحة المكانية التي يشغلها عادة ...

وصلت المكان الموعود في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وجلست على احدى المساطب الخارجية لمقهى يقع هناك ، الحيرة لما تزل مستبدة بي حول عدم حضور الرفيق خسرو في الموعد المقرر اذ كنت احس بارتباط عاطفي عميق بهذا الانسان ، ورنت في سمعي الكلمات التي بادلناها والتي اصر فيها على عدم ذهابي الى الملتقى المتفق عليه مع زيد وساورتني فكرة اوحت لي بأني سأعتقل هذا اليوم فخفق قلبي ، وكنت اخفي في جيبي مدية من ذوات النابض ، قوية النابض بحيث يصعب فتحها بسرعة . فتحت المدية لنصفها ووضعتها في جيب قميصي لتكون سهلة المنال عند الحاجة ووضعت سيكارة كنت قد وضعت فيها بعض المواد السامة ، بشكل عمودي في جيبي بحيث تكون هي الاخرى سهلة المنال عند الحاجة ، ولقد تسبب القلق الذي لم يبرحني بعد حول خسرو ومجريات ذلك اليوم ، الى ان انسى ساعة الموعد الى ان مضى عليها حوالي ٧ — ٨ دقائق . عندها نهضت ودفعت ثمن الشاي وتوجهت نحو الملتقى . لمحته من بعيد ، طبق القرار ومن دون أي اختلاف !! واقفا امام السينما ، وانتابني فرح شديد بدد كل القلق الذي لم يبرحني بعد حول خسرو ومجريات ذلك اليوم ، الى ان نصرا كبيرا ... وفكرت في اني سأفاجيء الرفيق خسرو في أول لقاء معه بما جرى وبأن قلقه حول الموضوع لم يكن مشروعا مطلقا ... وسارت لثوان في مخيلتي وامام عيني عدة مشاهد اخرى ... بعدها لم أعد افكر في غير الوصول بسرعة الى زيد ومصافحته ، اقتربت منه ووقفت امامه وعلى بعد قدمين منه ، وانا ماسك باحدى يدي بمقود الدراجة وبالاخرى سرجها، حدقت في عينيه ، لم ينتبه ! صفرت له ، فنظر الي وتظاهر بأنه لم يرني وانه غير منتبه الي ! فتصورت بأنه لم يعرفني اذ لم يسبق له ان رآني بهذه القيافة (شعر كث وغير ممشط ، ذقن غير حليقة ، تغطي رأسي قبعة ، قميصي وسروالي معفران بالزيت والتراب ، ممتطيا دراجة) ، ورفعت قبعتي وابتسمت له وبمجرد رفعي للقبعة وابتسامي هجم علي ، على حين غرة ، أفراد الساواك وهم يطلقون الصرخات كالوحوش : « ايه يا ابن العاهرة ... انه هيروئيني ... أخ العاهرة ... هيروئيني ..) وافواههم تطلق اقذع السباب والشتائم — كل ذلك ليظهروني للمارة وجمهرة الناس الذين تجمعوا ، بأنني من مهربي الهيروئين ! — وامسكني اثنان منهم من يدي ، غير ان وجود الدراجة بيني وبينهم حال دون احكام السيطرة علي ، فأطلقت احدى يدي ودفعت الثاني بقوة وركلته على ساقه ، ووقع ثالث على الارض لاندفاعي بقوة بينهم ، فمددت يدي الى جيبي واخرجت مديتي،

لكنها خانتني وابت ان تنفتح ... فصرخ احدهم ، مطلقا ما شاء لـه من السباب : « دعوه ، دعوه ابن العاهرة هذا » وضربني على وجهي بلكمة قوية جدا اندفع الدم على أثرها بغزارة من فمي وانفي واصبت بذهول شديد ، لم ارجع الى رشدي الى ان رأيت نفسي امام باب السيارة التي فتحها لي احدهم فانتهزت الفرصة وقذفت بالمدية تحت وسادة (كشن) السيارة ، وكان سوار ساعتي اليدوية قد انقطع خلال الحادث ، وتمزق جيب قميصي، ولم يبق من محتوياته شيء .

قيدوا يدي من الامام والقوا بي في داخل سيارتهم الفورد ، جلس اثنان منهم بجانبي ، كل في طرف ، وتحركت السيارة تتقدمها سيارة اخرى من نوع (آربا) وتعقبها ثلاث سيارات اخرى وكان الذعر الشديد باديا على وجوههم (ان واحدا منا يكفي لمقابلة خمسة وعشرين منهم ! انهم يخشوننا كما تخشى الكلاب) . نهض حارساي فجأة وطفقا يصفعانني على وجهي باللكمات وعلى رأسي ، وشرعا يصرخان من دون سبب يذكر : (اعتقلنا نصيرا ... اعتقلنا نصيرا) ، كان مزحهم شديدا . شديدا جدا ، لقد اعتقلوا نصيرا حيا ، من هذا يظهر لنا بأن أقل ما نحصل عليه من القبض علينا أمواتا، هو ان افراح العدو تتحول الى يأس قاتل ورعب شديد !

كان انفي لا يزال ينزف دما ، وكنت احاول ان اوصل يدي الى خلفي لعلني اعثر على مديتي ، وظهر ان احدهم كان يراقب حركاتي بدقة ، فصرخ : ــ راقبوه بعناية ، فتشوه جيدا .

وتحول جذلهم قبل دقائق الى رعب واضطراب شديدين ، فلقد تذكروا تجربتهم المرة مع احمد زاده (٤) على ما يظهر ، واصفرت وجوههم خوفا ، فهرع الثلاثة الذين كانوا يحرسونني الى تفتيشي بدقة وعصبية ، وتنفسوا الصعداء عندما لم يعثروا على شيء ، وفكوا يدي من القيد وأعادوا قيدهما من الخلف ، وكان هذا في صالحي ذلك لانه منحني امكان التفتيش عن المدية بسهولة اكبر ، لكن المدية ، لسوء الحظ ، كانت قد سقطت تحت الوسادة (الكشن) عند تحرك السيارة ولم تصلها يدي . فلقد كنت أنوي احداث جرح في جسمي على الاقل . بعد ذلك استغرقت في تفكير عميق ومرت امامي دقائق الحادث بسرعة ، وضحكت في نفسي من فرط السخرية

---

(٤) بعد اعتقال مجيد احمد زاده ، جر ، وهو جريح ومقيد اليدين صمام الرمانة (قنبلة يدوية) التي كان يحملها ولم يهتد اليها الساواكيون عند اعتقاله ، وفجرها في داخل السيارة التي كانت تقله الى مستشفى الشرطة فقتل احد الساواكيين والشخص الذي اعترف عليه .

وقلت لنفسي : « طوبى لهذه الحكومة والديمقراطية الشاهنشاهية !! لبلاد الورود والبلابل !! واختطاف الناس في وضح النهار !! » . في هذه اللحظة شعرت بأن جميع عضلاتي قد انكمشت واعترتني حالة تأهب عظمى ، وخاطبت نفسي متهكما :

ـ اليوم يتميز خائن الشعب عن ابنه البار ، وتتميز الافعال عن الاقوال ، فاياك ان تحول النسوج غزولا ! »

التفت الي احدهم ، وهو شاب ، وقال : حسنا ... ، فلم ادعه يكمل كلامه وقلت محتجا : ـ

لماذا انا معتقل وبأية تهمة ؟، ما شأني بالهروئين والى من بعت الهروئين ؟ لماذا كل هذا ؟ انا واثق من ان هناك نوعا من سوء الفهم ، فلربما شبهتموني بشخص آخر » . فجرني احدهما من شعري وقال :ـ

ـ سيتضح كل شيء في الطابق العلوي ، فلا تكن في عجلة من امرك !

وسألني شخص آخر منهم عن اسمي ، فأعطيته اسما مستعارا اذ كنت احمل هوية مزيفة بهذا الاسم ، وبدا لي ان لا بد من السكوت حاليا والاستعداد للاسئلة التي ستطرح علي عند التحقيق والاستجواب ، وتهيئة اجوبة منطقية ومقنعة ، لكنهم كانوا اكثر ذكاء من ان يمنحوني فرصة مثل هذا التفكير ، لذا لم يسمحوا لي بالتركيز مطلقا وانهالت علي اسئلتهم المتتالية ... كنت اجيب عليها بلا مبالاة ، وكانت جميع اجوبتي مكررة وغير منطقية وكأنها تصدر من شخص ساذج بليد ، فمثلا اعطيتهم خلال الطريق الى سجن « اوين » من ٧ ـ ٨ اسماء لاشخاص مزعومين وكنا نقترب رويدا رويدا من المكان الذي سيجري فيه امتحان الشهامة والصدق الثوري والمقاومة والرجولة .

كان الجلادون على اتصال دائم باللاسلكي مع جهة مجهولة ويرددون عبارات مثل :

« هلو ... هلو ... القاعدة ... الخبر الجديد ، لقد وفقنا .. ... انتهى ، هلو ... المقر ، انتظروا ... وصلنا ـ انتهى هلو ... هلو ... بلغوا ... ان يتهيأ ... انتهى ... نعم وسمع ... كلا لا شيء عن الفرار ... بلغوا الدكتور ان يصرف النظر عن الذهاب ... لنا قادم جديد ... » وغير ذلك . طبعا كان القصد من وراء هذا التمثيل هو ادخال الرعب الى قلبي وتصوير عظمة وقدرة منظمتهم الخارقة .. لكنني احتفظت بهدوئي وبرودة اعصابي ، ولم اكشف لهم عن أي دليل للتوتر ، وانصرفت الى التفكير بالرغم من وابل الاسئلة التي

امطروها علي ، هنا ، ارى من الضروري ان اتطرق بشيء نحو الاسباب التي ساهمت في وقوعي في قبضة العدو : ـ

ان العاطفية ، صفة من شأنها ، في بعض الظروف كالتي نواجهها نحن ، طرح المناضل الثوري خارج ساحة الكفاح بسرعة ذلك لانه لا شأن للتصير بالعواطف والاحاسيس الرقيقة سواء عند تصديه للمسائل الكفاحية اليومية او عند وقوعه اسيرا في يد العدو . ان الطريق الذي اخترناه نحن طريق طويل جدا ، صعب وعر ومليء بالاشواك والعقبات والعثرات ، ومن اولى مستلزمات وضع الخطى على هذا الطريق التخلص من بعض الاحاسيس وقساوة القلب مع العدو . فازاء عدو ملطخ اليدين حتى المرفقين بالدماء ، متربص بنا والسيف في يده ينزله على رقابنا متى ما سهل له ، لا بد من قلب قاس كالفولاذ ، لا كقلب المسيح الذي يخفق في قلب تترى يطير النوم من عينيه وتعاف نفسه الطعام لمرأى الدم يجري من طير مذبوح ، اننا يجب ان نسحق الروح العاطفية الحساسة من دون تردد ، فلقد كان احد اسباب عدم الاعتناء وقلة الحذر اللذين بدرا مني في موضوع الموعد مع زيد يعود الى بعض الملابسات والمسائل التي تزامنت مع اللقاء نفسه واخرى سبقته ، كالقلق الناشيء عن عدم حضور الرفيق خسرو في الموعد المقرر ، عدم وصول زيد في الموعد الاول ، الانزعاجات التي تتغلب فيها العاطفة على العقل ولا بد من ان أقر هنا بأني بدلا من اجراء التحليل الدقيق للقضية ومراعاة الجوانب الامنية ، اسرفت في اللامبالاة واستسلمت للعاطفة بدلا عن العقل .

كان من الضروري ان اتلقى عدم مجيء زيد في الوقت المقرر بمثابة انذار يدعو الى شحذ اليقظة والحذر ، ثم الانطلاق نحو المكان المقرر مع رعاية كاملة ودقيقة للنواحي الامنية ، بدلا من ان يستبد بي القلق والاضطراب بشكل يتغلبان على نواحي التفكير وقابلية التركيز ... كان بامكاني طرد الوساوس من فكري ومجابهة الاحداث مجابهة منطقية ونشطة، دون الشعور بالاسى والحزن والمرارة لا لشيء لان خسرو لم يأت وان زيدا لم يحضر في الوقت المناسب ، وهكذا فلقد كلفتني العاطفة ورقة القلب والاحساس كثيرا كما ترون !!

ما هي المسائل الاخرى التي تسببت في اعتقالي : ـ

وهناك مسائل اخرى ، بجانب ما ذكرت اعلاه ، اوقعتني اسيرا في قبضة العدو منها :

١ ــ عدم تدقيق النظر في مظهر زيد (فلقد كان قد ضعف اكثر من ذي قبل ، عابسا مقطب الجبين قلقا ، منتصبا بشحوب كتمثال ، كل شيء فيه يقول بأنه قد تعرض فعلا الى التعذيب) .

٢ ــ عدم الانتباه الى الافراد المشكوكين وعموم الموجودين في المحل .

٣ ــ التوجه مباشرة الى زيد ، بالرغم من انه تظاهر بعدم مشاهدته اياي .

٤ ــ الافتقار الى وسائل الدفاع عن النفس ، فلقد كان مقدار كبير من المادة السامة قد تلف نتيجة تهشم العبوة الحاوية والموجودة داخل السيجارة وتهشم السيجارة نفسها ، مما أدى الى عدم امكان الاستفادة منها ، عند اللجوء الى الانتحار متى ما طلب الموقف ذلك .

وثمة سبب آخر ، الا وهو تعطب ضامن المدية ، وبالتالي عدم الاستفادة منها ... هذا اضافة الى سبب رئيسي وحاسم الى حد كبير الا وهو عدم حملي للسلاح الناري لاستعماله عند الحاجة ... فلو كنت احمل سلاحا ناريا ، لكان بامكاني الوقوف بوجه العدو ، لا الوقوع في قبضته بسهولة ، وكان بامكاني الفرار تحت وابل الرصاص ، وحتى فيما اذا كان ذلك غير ممكن ، فلقد كان بوسعي الاشتباك معهم وقتل البعض منهم والاثبات للناس الذين يشاهدون بأم أعينهم الصراع الدموي الذي يخوضه واحد من الثوار مع رهط من أفراد العدو ، بأن هذا العدو قابل لتلقي الضربات القاتلة ايضا !

ان لحظة واحدة من التغافل وفقدان اليقظة في المجابهة مع عدو يمتلك جميع الامكانات المادية ويتمتع بفيض من التجارب والخبرة في الاعمال المضادة للثورة ، في ظرف يسيطر عليه جو من الارهاب البوليسي الحانق ، تعني الوقوع معصوب العينين مقيد اليدين في فخاخ العدو وتسديد الضربة القاتلة الى الحركة من قبله ، وهذا سلوك لا يمكن التغاضي عنه ابدا ، ان اليقظة سلاح بتار ومحبط للمخاطر المتربصة بنا من قبل العدو على الدوام .

ان على النصير ان يكون عميق التفكير ، حاد اليقظة دائما ، يحسب الحساب الدقيق لكل عمل قبل الاقدام عليه ، فمثلا عندما ينوي الذهاب الى لقاء معين ، يجب ان يفكر قبل كل شيء هل انه واثق من عدم وجود العدو خلفه او في محل اللقاء ؟ من هو الشخص الذي سيتصل به ؟ هل هذا الموعد هو الاول أم الثاني ؟هل هناك في الوضع ما يثير الشك ؟ هل يعرف مكان اللقاء بالضبط ؟ هل مظهره وهندامه يلائمان المكان الذي يقف فيه ؟

هل يحمل موادا سامة في جيبه ؟ هل سلاحه صالح وسهل للاستعمال ؟ ما هي البدائل لكل عمل ؟ ما هي المواضيع التي سيتناولانها بالبحث والمناقشة، واخيرا ، ألم ينس شيئا ؟ ان مراعاة هذه المسائل تؤدي الى ان ننفذ مهامنا بكفاءة عالية ومن دون ابقاء أي شيء مبهما ... ان الضربات الموجهة الينا لحد الآن والناتجة عن اهمال مبدأ (اليقظة الدائمة) ... توجب ضرورة مراعاة هذه المسائل .

يصف اكبر مؤيد ، احد انصار منظمة « فدائي الشعب » كيفية وقوعه في قبضة العدو على الشكل التالي :

كان مقررا ان اقابل احد مؤيدي المنظمة ، المدعو جعفر نجفي ، كنت قد ارسلته الى تبريز بمهمة استطلاعية وعاد بعد ٥ ــ ٦ ايام من مغادرته الى هناك ، ولست ادري لماذا مشيت معظم الطريق الى المكان المتفق عليه مطرق الرأس ، فلم يحدث لي ان مشيت هكذا ابدا ، وكانت هذه المرة الاولى التي ارتكب فيها مثل هذا الخطأ ، ولم اشعر بنفسي الا وانا محاط بثلة من أفراد العدو فألقو القبض علي فورا . لقد كنت املك سيارة كان بامكاني الوصول بها ، كالعادة ، الى المكان المذكور ، لكنني كنت شارد الذهن تماما ولم أكن احمل ولو مسمارا واحدا ادافع به عن نفسي عند اللزوم ، ولما صحوت كانت كل الجهات محتلة ، وهكذا استغفلت ، ووقعت في قبضتهم بكل سهولة .

ويقول فريبرز سنجري ، احد اعضاء نفس المنظمة حول كيفية اعتقاله :

كان بيتنا يقع في الطابق الثاني من احدى العمارات ، وكانت شقتنا في العمارة تقع في مكان لا يسمح بالمراقبة من الخارج ، وفي حالة الانكشاف لدى الشرطة ، لم يكن بالامكان وضع اية علامة تنبه من يشاركني في الشقة ويرتبط معي بعلاقة تنظيمية الى الخطر حتى يتجنبه ، وكنت انا ، والحق يقال ، قليل التجربة في قضايا النضال قليل اليقظة ، وكنت قد اقتربت لتوي من مشارف البيت ، فلاح لي صاحب الشقة واقفا بجانب الباب وهو ينظر الى الشارع ، وبمجرد ان لمحني ، اختفى . وبعد لحظات وصلت انا الى البيت ، ونظر هو الي نظرة ذات معنى وصعد السلم ركضا ، وحتى تصرفه غير العادي هذا لم يثير انتباهي بل ولم يثر في اية شكوك ! وصعدت السلالم مرتاح البال آمن الخاطر ، وكأن ليس هناك ما يعكر صفو المزاج مطلقا ! ، اجتزت الممر وفتحت باب غرفتي ، فدوى في اذني على حين غرة صرخة مرعبة اطلقها ساواكي مسلح برشاش : قف والا قطعتك أربا أربا ،

وهجم علي رجال الامن من كل جانب ، وهنا فقط تذكرت ضرورة اليقظة والامعان الدقيق لكل الاطراف ، لكن بعد ماذا ؟

ان ضعف اليقظة وعدم الانتباه يقف ايضا وراء اعتقال اكبر ايزدنباه احد الكوادر المتقدمة لمنظمة « تحرير شعوب ايران » واحد المشتركين في مصادرة بنك (ايران ــ بريطانيا) وخطف السفير الامريكي ، والذي سبق ان اعتقل مرة اخرى سنة ٩٤٨ (١٩٦٩ م) ثم اغفل مأموري الامن وتمكن من الفرار ، فهو يشرح كيفية وقوعه في قبضة العدو على الوجه التالي :

« كنت قد رجعت لتوي من المعمل ، وقبل ان اخلع الملابس التي كنت ألبسها ، اتصلت تلفونيا بـ (سيمين نهاوندي) . لم يكن صوته اعتياديا بل كان مشوبا بنوع من التهدج وكان حديثه مثيرا للشك وينم عن شيء غير اعتيادي ، لكن هذا لم يثر من شكي ! لبست ملابس غير تلك التي كنت ألبسها وتوجهت نحو بيت نهاوندي (الذي كان يعد بيتا حزبيا ايضا في الظروف الاعتيادية) ، وقبل الوصول الى الدار توقفت في مطعم صغير فشاهدت هناك اثنين من افراد الشرطة يتجاذبان اطراف الحديث مع صاحب المطعم ، وسمعتهم يرددون عبارة « تفتيش الدار واعتقال من فيها » ، لكنني مع كل ذلك لم انتبه الى المخاطر التي قد تنتظرني ولم اربط اصلا بين حديث الشرطيين مع صاحب المطعم وبين طريقة تكلم نهاوندي في التلفون . على أي حال ، غادرت المطعم بعد تناول الساندويج ووصلت باب الدار ، وكان الباب مفتوحا ، وشاهدت في الممر المؤدي الى الداخل ٣ ــ ٤ أشخاص غريبي المظهر ، واقفين وهم منهمكون في الكلام دون الانتباه الى وجودي ففكرت في نفسي ان هؤلاء ربما كانوا من اصدقاء سيروس ولم يدر بخلدي قط ان يكون هؤلاء من مأموري الامن ، ولم أعرف حقيقة الوضع الا بعد ان رأيت جوان (جوان احد مأموري الامن ، وقد كان اكبر يعرفه سابقا) ، فمددت يدي الى السلاح وشهرته بوجههم لكن لم يكن قد بقي امامي أي مجال لاطلاق النار ، لان الرهط كانوا قد احاطوا بي من كل جانب وبشكل محكم جدا ، ووقعت في قبضتهم .

*

في المعتقل

كنا نقترب من « اوين » رويدا رويدا ، وبانتهاء شارع « بارك وي » دخلنا شارعا ترابيا يتجه نحو اليسار ، ثم وصلنا قرية بنيت بيوتها من الطين وتتخللها بعض الاشجار ... استطعت من اختلاس النظرات الى الخارج بمختلف الطرق ، فمثلا تارة كنت ارفع رأسي ، واعتدل في الجلوس، ثم أوهمهم بانشغالي بعمل شيء الامر الذي كان يجبرهم على دفع ذقني نحو الاعلى والتفتيش بين اقدامي لمعرفة ما كنت منشغلا به ..!) ، وكنت طوال الطريق مشغول الباب بتجارب الرفاق المعتقلين الآخرين ، او معلوماتهم حول موقع السجن ، والمضايقات وتصرفات المأمورين ، وانواع التعذيب ، كل ذلك للتهيؤ لمجابهة الاحتمالات المتوقعة .

بعد مدة ، توقفت السيارة عند باب المعتقل ، وبعد ابراز رخصة الدخول ، دلفت داخلا الى الفناء الداخلي .

يعتبر هذا المعتقل ، لدى مأموري الامن ، قاعدة عمليات سرية لا يجوز ان يعلم احد بموقعها ونوع الاعمال الجارية فيها ، كما ويجب ان تبقى اخبارها بعيدة عن الناس قطعا !! يحرسه جنود ، يعتبر اكثرهم من ذوي السوابق المعروفين ويمتازون عن زملائهم الآخرين بالقوة البدنية والخبرة المسلكية ! ويجري تبديلهم شهريا على غرار ما يجري في سجن «قزل قلعة»، ويشار الى السجناء في المحاضرات اليومية التي يلقيها عليهم رأس العرفاء المشرف عليهم او المشرف المعتمد من قبل مساواك او مدير السجن بالذات المدعو حسيني ، بأنهم لصوص ، مجرمون ، منتهكون لحرمات المواطنين وكراماتهم ، خونة للوطن ، جواسيس ... ويحذرونهم ، بشدة وتحت

طائلة التهديد بأقسى العقوبات ، من اجراء أي اتصال بالسجناء او التحدث معهم مهما كان نوع ذلك الحديث ... « ان وظيفة الجندي هي الحراسة فحسب » « التحدث ممنوع منعا باتا » « الجندي يجب ان يكون ابكم أصم مع السجين » (٥) ، وتشدد الحراسة الدقيقة على الباب الرئيسي ، واضافة الى عدد من الجنود يؤدون الحراسة خلف الباب مباشرة ، يختفي عدد آخر منهم داخل الابراج العالية المستحكمة وعلى الاشجار ولهؤلاء اطلاق النار عند بروز أقل بادرة مثيرة للشك .

وقفت السيارة ، وترجل المأمورون وانزلت انا ايضا واوقفت امام السلالم المؤدية الى داخل بناية المعتقل وامرت بأن احني رأسي ولا انظر سوى الى امام قدمي ... لكني مع ذلك ، تمكنت من ان اختلس النظرات الى كل ما حولي : ساحة كبيرة جدا تقع في الشرق منها البناية الرئيسية . وفي الجهة المقابلة لهذه البناية ، هناك عنابة صغيرة من اشجار الصفصاف الباكي تتوسط حديقة واسعة . اما المساحة الواقعة بين الحديقة والبناية فهي قطعة ارض مبسطة بالاسفلت تتخذ موقفا للسيارات وكان هناك بالفعل عدد من السيارات واقفة في القسم الايمن من الساحة . وفي داخل الحديقة، نصبت عدة خيام يسكنها معتقلون ضاقت بهم البناية الرئيسية ولم يعد لهم مكان يأوون اليه بالنظر لكثرة عدد السجناء فنصبت لهم هذه الخيام ، ويقوم بحراسة كل خيمة جندي واحد .

تنفيذا لامر احد المرتزقة جيء بسترة والقي بها على رأسي ، اقتادني احدهم ، وصعدنا السلالم واجتزنا القسم الاول من الممر ، ثم اوقفت في جهة اليسار عند الحائط الغربي فرفع احدهم السترة عن رأسي واخذ يحدق في وجهي ، بينما كنت انا غارقا في التفكير عن الطريقة التي استطيع بها اخفاء اسمي الحقيقي عنهم فصممت على الاصرار على نفس الاسم المستعار المبين على الهوية المزيفة التي احملها ، فقطع سلسلة افكاري صراخ مفاجيء اطلقه احدهم قائلا :

... حسنا ... حسنا ، يا فلان ... اذا اين كنت عند الظهر ؟ فأرجعني هذا الى رشدي وادركت بأن هذه الكلمات جزء من المعلومات المتوفرة لديهم عني ، ثم اطلق احد المرتزقة الذين شارك في اعتقالي يدي من

---

(٥) بالرغم من كل التهديدات والصاق التهم بالسجناء ، سرعان ما ينكشف للحراس ، حتى أكثرهم تأخرا من المنتمين الى العوائل الفلاحية الساكنة في أقصى البلاد ، بأنه كل ما يذكر عن السجناء انما هو زيف باطل ، يؤيد ذلك لديهم نبل السجناء ، تصرفاتهم ، شهامتهم ومقاومتهم البطولية امام اقسى انواع التعذيب .

الاصفاد ودلف الى الغرفة المجاورة .

لم يكن الدم الذي نزف من انفي قد جف بعدما كان وجهي ملطخا بالدم تماما ، وتمزق قميصي وقسم من سروالي بحيث كانت اقسام من صدري ورجلي تبدو منها ، ... ازداد عدد المرتزقة الذين تجمعوا حولي رويدا رويدا حتى طوقت من كل جانب وبدا لي انهم يشكلون هذه التظاهرة حولي وفق مخطط معد مسبقا ، اما انا فكنت قد عقدت يدي خلف ظهري واحرك اصابع قدمي ، رافع الرأس ادقق في وجوههم الواحد بعد الآخر اذ كنت أشعر بالخجل من نفسي ان أقف مطرق الرأس بين ايديهم . نظروا الي جميعا بدقة وكأنهم كانوا يبغون حفظ ملامح وجهي عن ظهر قلب ! ثم حولوا النظر عني ، وشرعوا باطلاق السفاسف والترهات ، فقال احدهم : انه غلام طيب ، وتدل قيافته على انه لم يرتكب اية حماقة ، وقال آخر ساخرا : آه فديتك بنفسي ! من اوصلك الى هذا المصير ؟! وخاطبني آخر ، وهو يشمر كفة سرواله ، بصوت لطيف : الا ترى ماذا جلبت على نفسك ايها الابله ؟ وقال رابع : ... ماذا كنت تعمل هناك ؟ أكنت تصطاد النساء أم كان لك موعد مع خطيبتك ؟.. ايها الابليس !

تفرقوا من حولي واتجه كل منهم الى جهة ، وبقيت لبرهة من الزمن في صمت عجيب ، كالصمت الذي يسبق العاصفة ، وفجأة ظهر احدهم : بدين الجسم ، قبيح المنظر ، منتفخ الوجه بحيث يصعب على المرء رؤية عينيه ! يمشي وكأنه ذيل شاة يتدلى يسارا ويمينا ، مجمل سلوكه وحركاته يثير الاشمئزاز والتقزز في النفس ، يحمل في يده اوراقا وقلما ، توجه نحوي بدون اية مقدمات كمن يتعامل مع شاة لا حول لها ولا قوة ، امرني قائلا : حسنا ... اذكر كل شيء ، اكتب كل ما يجول بخاطرك ، هيا ...

– لا شيء في خاطري لاقوله واكتبه ، قولوا لي لماذا اعتقلتموني ... تتهمونني بتعاطي بيع الهيروين ؟ أليس كذلك ؟

قاطعني ، وقد تجعد وجهه المكتنز لحما ، ثم صاح بصوت ينم عن غضب شديد :

– لاتجبرني على الالتجاء الى الخشونة ، قل كل شيء طوعا .

ومن دون ان ينتظر أي جواب ، وبغية مضاعفة تأثير كلامه في ووضعي في حالة ارتباك نفسي ، ترك المكان كمن تذكر شيئا ما فجأة ، ثم أقبل مرة اخرى بعد هنيهة مقطب الحاجبين عابس الوجه قلقا . اقترب مني وامسك بذقني ودفع برأسي الى الخلف بقوة قائلا :

ـ لماذا لا تحرك ساكنا ؟ لماذا ؟ ها ؟ ، وتفوه ببعض السباب والعبارات البذيئة ثم رفع يده عني ، فقلت له :

ـ انا لا اعرف شيئا ، وانكم اعتقلتموني من دون سبب أعرفه . ولم تكن هذه العبارة الاخيرة قد خرجت من فمي بعد حتى انقض علي وجرني من شعري بشدة وسرعة نحو الاسفل بحيث تفجرت الدموع من عيني من فرط الالم ، قال وهو يطلق السباب :

ـ يا ابن العاهرة ، هل تتصور اننا سحبنا اسمك بطريقة القرعة ؟.. اذا لم تستجب بسهولة وايجابية فسأجعلك تتمنى الموت من شدة الضرب..

قال هذا وتركني كسلفه (عضدي) ، فمسحت الدموع التي اغرورقت بها عيناي نتيجة شد شعري بقوة . وفي هذه الاثناء قدم شخص آخر منهم ، وتلا هذا علي (والحق يقال !) ، على العكس من سلفه ، نصائح ابوية ! :

انظر الي ... ما اسمك الحقيقي ؟

ـ اسمي ...

ـ انظر ، يا حبيبي ... لا تدفع نفسك الى التهلكة ، هؤلاء يعلمون بكل شيء ، ولقد اعترف زميلك (....) بكل شيء . ارجو الا تتصور بأنه ارتكب عملا يطعن مروءته ، او ارتكب خيانة ما ... فلقد عذب لاربعة ايام متوالية بلياليها ، ولم يقل شيئا ، (يا لسوء حظه ، لم يكن يدري بأن هذه المواعظ تزيد من معنوياتي ، فأذني مليئة بمثل هذه العبارات) ، لكنه وثق اخيرا ، شأنه شأن الآخرين ، ان لا فائدة ترجى من الاصرار على هذا الموقف ، ما الحكمة في ان يعرض نفسه الى كل هذا التعذيب ؟ لماذا يعذب جسده لحساب الآخرين ؟ ماذا سيجني من وراء ذلك ؟ ألم يعترفوا عليه ، اذن فعلى من وعلام يعقد الامل !؟

واستمر على هذا المنوال الى ان أفرغ ما في جعبته ، وختم حديثه قائلا :

ـ تعال انت ايضا وارحم بشبابك ، اعترف بكل شيء ... وانقذ نفسك .

ولم يكن هو قد غادر الغرفة بعدحتى دخل علي الشخص البدين الذي أشرت اليه آنفا ، فلم يدعني بذلك أشكره على نصائحه الابوية ! واقر بأن شعورا ما قد اعتراني وهو يتحدث الي بهذا اللطف ! كدت اجيبه بعبارات تتفق في اللحن مع نصائحه ، ولما رجعت الى رشدي بصقت ارضا وضغطت بأسناني على بعضها وبلغ سخطي على نفسي اوجه ، فخاطبت ذاتي متهكما :

ـ أين هو حسك الثوري الفياض وروحك التي تفيض اخلاصا للقضية

وثقة بانتصارها ؟ ماذا دهـاك ؟ هل خدعتك هذه العبارات الثعلبية ودموع التماسيح ؟ أين شعورك الثوري ، ان كل ما يعمله هؤلاء ، كل ما يقولون ، ليست سوى ادوار ، ليست سوى شراك ولعب خادعة مخجلة ، تنفـذ الواحدة بعد الاخرى وفق مخطط وتلقين اعد مسبقا وبكل دقة . والواقع، فان كل شيء كان مرسوما مسبقا ، حتى الادوار والمحاورات ، كـانت كلها محددة بكل دقة وبشكل مدروس ، والويل لذلك المناضل الذي يفضل، ولو للحظة واحدة ، عن المسؤولية الخطيرة التي في عنقه !

تقدم الشخص البدين نحوي ، وامسكني من يدي بيديه الغضتين اللتين كانتا على شبه كبير بأيادي نساء حريم ناصر الدين شاه ، وحملق فيهما بدقة عجيبة وكأنه يريد ان يدرك من منظرهما فيما اذا كنت حقا اذهب الى مقر عملي ام كنت مكرسا لاعمال الحركة حصرا عندما وقعت في قبضتهم، اذ انهم يتصورون ان الثوار لا يقومون بأعمال يدوية لذا فان ايديهم تظل ملساء من دون اية شقوق !. وفجأة سألني :

ـ حسنا .. ، لماذا لم تكن تذهب الى مقر عملك ؟

ـ وبدلا من ان ينتقل الى سؤال آخر ، سلك معي نهجا مغايرا تماما ، وشرع يهددني ويخوفني ويعاملني بخشونة .

كل ما استنتجته الى هنا ، من كرهم وفرهم وجميع تصرفاتهم ، هو انهم لا يملكون اية معلومات عني وعن نشاطاتي ، لذا فان الامر متوقف علي، وانا مختار ، ان ازودهم بالمعلومات او اطمئنهم بأني ايضا ، على غرار ما هم عليه ، لا اعلم شيئا .

هنا ، اود ان اشير الى بعض النقاط التي أدت الـى اثـارة بعض التساؤلات لدى مأموري الساواك وكذلك الى بعض الهفوات الناشئة عن عدم اعمال الدقة في مواضع كانت من شأنها ان تصبح مثارا لتشديد الضغط علي بهدف كسب معلومات أكثر :

عندما كنت اذهب الى لقاء زيد كانت جيوبي تحوي اشياء تعتبر هي بالذات مستمسكات جرميه ضدي لو وقعت في يد العدو ، أي بعبارة اخرى، كان من شأنها ان تثير الحجج لاعمال الضغط والتعذيب او ان تصبـح منفذا للوصول الى معلومات اضافية ، كانت هذه الاشياء عبارة عن دفتر مذكرات ، عدة بطاقات تعود للمحل الذي اعمل فيه ، اربعة مفاتيح ، عبوة تحتوي على بعض السموم ، وكنت قد نسيت من اثر الاهمال ان احمل معي فقط الاشياء الضرورية واجتنب حيازة الاشياء التي قد تثير لدى مأموري الساواك علامات الاستفهام ، اذ كان في استطاعتي ، مثلا ، ان اترك،

قبل الذهاب الى الملتقى ، البطاقات والمفاتيح في مكان ما ، كما ان حيازة دفاتر المذكرات (دفاتر الجيب) حتى وان لم تدون فيها اية عناوين ليس عملا صائبا قط ، ذلك لان ما يكتب فيها من عبارات واسماء او ارقام تلفونات قد تصبح سببا لدى الساواكيتي للالحاح في الاستجواب وانزال اقسى انواع العذاب بنا . وهنا يحضرني مثال أرى من الضروري ذكره : كان الساواكيون قد عثروا في جيب احدهم على دفتر مذكرات دونت في احدى صفحاتها عبارة « فلان خطأ » ، فجعلوا هذه العبارة قميص عثمان والحوا عليه بأنه منضم الى مجموعة تنظيمية وانه حتما اشترك في اجتماعات خاصة للبحث والانتقاد وان هذه العبارة تدل على مثل هذه الاجتماعات ، ولقد تسببت هذه العبارة في وضع حامل الدفتر تحت التعذيب الجسدي لمدة طويلة . ولنر الآن ماذا كانت حقيقة الموضوع :

في احدى الايام ، قال صاحب الدفتر لزميله : ارجو ان نترك المزاح اعتبارا من هذه الساعة ، وان أيا منا يخرج على هذا القرار ، يحسب مخطئا وينتقد ولا بد له من ايضاح السبب وتبرير موقفه ، ثم عمم صاحب الدفتر هذا القرار على جميع زملائه الآخرين وهكذا فانه اضطر الى تسجيل الاخطاء على زملائه على ورقة ما في الدفتر بعبارة (فلان ارتكب خطأ) حتى ينتقده ويحاسبه عندما تسنح الفرصة المناسبة ، لكن هذه الفرصة لم تسنح لسوء الحظ الى ان اعتقل وغدت العبارة مستمسكا عليه وسببا للالحاح في التحقيق معه وتعذيبه من قبل الشرطة .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة ، ولم يكن قد بقي امامهم مجال كبير للالحاح في الاستجواب نظرا لتأخر الوقت ، وكانت سلسلة طويلة من الاستجواب المتنوع في الطريقة والنوعية قد ذهبت سدى ، اما انا فكنت أعلم علم اليقين بأن المرحلة القادمة ستكون صعبة ، اذ سيغلب عليها استعمال القوة والخشونة . وهذا ما حدث وما تحقق فعلا فلقد طلبوا الي في أول الامر افشاء المحل الذي كنا قد اتفقنا على الالتقاء فيه واسم الشخص الذي يربطني بالمنظمة ! ومحل سكناي ... دفعني احدهم بقوة نحو الغرفة المجاورة ، وكان ينتظرني فيها اربعة اشخاص يحملون اسماء مستعارة ، والقابا (دكتور ، مهندس) ، عضدي ، طهراني ، هو شنك فهمي ، باقري زاده .

طلب الي عضدي ان اخلع ملابسي ، فتظاهرت بالخجل وقلت بأنني اخجل كثيرا من مثل هذه الاعمال اذ لم يسبق لاحد ان رآني عاريا ، وكان جزاء هذا الخجل عدة لكمات وركلات!، واصبح امتناعي عن التعري سببا

لاستعمال الخشونة والالحاح فيها ذلك لانهم كانوا يبغون استغلال الخجل كنقطة ضعف ضدي تمهيدا للضغط علي نفسيا . على أي حال ، اجبرت على خلع ملابسي ، ولم يبق على جسدي سوى لباس واحد يستر عورتي، طرحني احدهم من الخلف على مسطبة طويلة ثم اوثقوني اليها بحبال قوية ، وخاطبني عضدي وانا مربوط بهذه الصورة : ـ

ـ حسن ، قل لي الآن ، ايهما احب اليك البيبسي او الكانادراي .

فأجبته بكل هدوء :

ـ ان حلقي قد جف ، شكرا !

فابتسم عضدي ابتسامة صفراء ، وقال لي محاولا تفسير قوله السابق :

ـ اكثر زملائك حملوا البيبسيات !! اذ ان حجم زجاجة البيبسي يعتبر قياسيا على المستوى الدولي ! لم اعلق بشيء ، وتوقعت انزالي من المصطبة ليبدأ التعذيب بالسوط الذي كان في يده ويلوح به في الهواء تخويفا لي ... كانت جواربي لا تزال في رجلي ، فقام عضدي بخلع جواربي ، ورفع حاجبيه الى أعلى وضغط بأسنانه على بعضها وانزل بأقصى قوته سوطا على جسمي وارتعشت عضلات انفه ، كما يفعل الكلب قبل النباح ، وصرخ :

ـ لا تتكلم ؟ ها ؟ لا تتكلم . واكتفى بعدة ضربات متتالية ثم خرج مسرعا من الغرفة وتبعه الآخرون وكأن شخصا ما طلبهم جميعا !... وقبل ان يخرج آخر واحد منهم كلف جنديا بحراستي ...

كان ألم شديد ينهشني ، ونيران الحقد تسعر في قلبي ، توجهت نحو الجندي لكنه ادار وجهه عني ثم التفت الي وفهم بأنني اريد ان أقول شيئا، فقلت بدون مقدمات وبانفعال شديد :

ـ هل تعرف ما هو هذا المكان ؟ انه سجن اوين ... قل لي ماذا أتى بك الى الجندية ؟ من ارسلك الى هنا ؟ لمصلحة من تخدم ؟ لماذا لا تفر من الجندية ؟

كانت سيماؤه تدل بجلاء على ان اصوات السياط وانين المعذبين وصياحهم والضحكات الهستيرية التي يطلقها الجلادون في حفلات التعذيب قد تركت فيه تأثيرا بالغا ، فقال والكلمات تختنق في حنجرته والعبرات تتدفق من عينيه ، وبعد ان اجال بعينيه على ما حوله :

ـ من اجل شرفي ... صيانة لشرفي .

قلت له :

ـ أي شرف ، ان شرفك هو ابوك ، امك ، اخوانك واخواتك الذين يرزحون في القرية تحت سياط الدرك وغدر الاقطاع الذين لا يترددون في التطاول حتى على أقدس المقدسات ، ولا يحصلون من كدحهم طوال اليوم حتى على لقمة العيش الكفان ، ان شرفك هو انا ! حيث اقاسي من العذاب الشديد الذي تراه بأم عينيك على أيدي هؤلاء الوحوش القتلة ! ألم يكن في مقدورك التكسب وتأمين حياة كريمة لنفسك ؟ ألم يكن في مقدورك فتح دكان خضروات بدلا من اداء الخدمة لهؤلاء المرتزقة ؟ هل كان عملك مهما وثمينا بحيث خشيت فقدانه ؟

قاطعني وقع اقدام مقبلة نحونا ، فانسحب هو الى مكانه ورجعت انا الى وضعي السابق وكان القادم هو عضدي يتبعه كل من طهراني وباقري زاده وفهمي وتجددت المحنة واستؤنف الضرب ثانية ، لكنني كنت أشعر بفرح شديد يغمرني ، وبدا لي تمرغي في الارض والتفافي حول نفسي ضربا من التصنع ! عجيب ، ان ضربات السياط هذه المرة لا تحدث نفس الالم الذي احدثته في المرة السابقة ، وبعد مدة حلوا وثاقي واجبروني على المشي صعودا على السلم ونزولا ، وكانت قدماي تؤلمانني بشدة بحيث غدا هو الآخر نوعا حديثا من التعذيب بل وافظع من الضربات ، اما التردد او التوقف او التماهل فكان من شأنه ان ينزل علي باللكمات والركلات ، فمشيت مدة وزال الالم من رجلي ...

ربطوني ثانية الى المصطبة ، وتغير المعذب ، فلقد حل طهراني محل زميله عضدي ، وكان هذا هائجا كالثور كأن غروره قد جرح ، فأنزل على جسمي السياط بكل وحشية وهو يطلق السباب والتهديدات . كنت قد صممت في نفسي ان امتنع عن الكلام لمدة من الزمن ، كنت ارسم في ذاكرتي ، والسياط تنهال على جسمي ، الهدف النبيل الذي اناضل من اجله ، الذكريات الجميلة مع رفاقي ، اتذكر الرفاق الذين ختموا حياتهم الغالية بأيديهم لكي لا يقعوا في قبضة العدو ، تذكرت الهدف من الاشتباكات الدموية التي حدثت مرارا بين رفاقي والعدو ، وكانت صور الرفاق الابطال بويان ، اسكندر ، بيرونذيري ، ابطال هذه الاشتباكات تمر من امام عيني ، تذكرت تضحياتهم ونكرانهم لذواتهم وسمو الكثير منهم الى مرتبة الشهادة انتحارا مفضلين ذلك على الوقوع اسرى بين براثن العدو ، وتجسمت في ذاكرتي المقاومة البطولية التي ابداها الشهيد بهروز دهقاني ، وكانت جميع هذه الافكار والتصورات تلهمني القوة والمعنوية وروح المقاومة ، وتمتمت

مقاطع من قصيدة الرفيق ماو « اصابع الاوراق متدلية » ، وكانت مشاهد من المقاومة البطولية التي يبديها في كل مكان ثوريو العالم تمر من امام عيني كشريط سينمائي لا ينقطع ، كنت اتصور كيف كسر ذلك الثوري الاسباني اصبعه لئلا يقدر على كتابة شيء وقطع لسانه الى قطعتين بأسنانه لئلا يقول شيئا ، أتصور كيف ان صب الماء المغلي والمجمد وزبد الصابون في الافواه والتعليق الى الاشجار و ... لم تحرك من عزيمة وايمان ذلك الثوري الفيتنامي والمناضل الفيني ، كنت أرى رأي الفؤاد كيف ان اساليب التعذيب المسماة « كون طوطي » التي تمارسها الرجعية البرازيلية تقف عاجزة امام صمود رفاق ماريجويللا ... نعم كل هذه المناظر والمآثر النضالية كانت تلهمني الاصرار والعزيمة ، وكانت حرارة الايمان تسري في اجزاء جسمي وتحملني على الضحك على محاولات الجلادين المحمومة ، وتخاذلهم وارتدادهم بذلة امام الثوريين الصادقين .

كنت لا أزال انتظر استئناف التعذيب ، عندما سلم طهراني السوط الى باقري زاده الذي شرع يضربني بشدة : ـ

ـ ألم تزل تمتنع عن الكلام ؟ ها ؟ حسنا .. هذا سيحل عقدة لسانك فلما تعب هذا تناول عضدي السوط ثانية ، وحل وثاقي وكان باطن قدمي قد ازرق من فرط الضرب ، وأمرني بالسير صعودا ونزولا ... طرحوني على المصطبة ثانية ، ودخل طهراني فجأة وفي يديه ثلاث هويات ، وأشار الى عضدي بالذهاب اليه ، فهمس كلمات مبهمة في اذنه لم افهم منها شيئا، وهو يختلس النظرات الي في نفس الوقت ! ووقع على مسمعي اسم خسرو رده طهراني ، واستمر الهمس ، فأدركت بأن هذا لا يتعدى مشهدا تمثيليا ليس الا ، فقلت بصوت عال :

ـ لماذا تتهامسون فيما بينكم ، اذكروا ما يتعلق بي بصوت عال حتى افهم انا ايضا ، او اسألوني حتى اجيب ... وكان هذا اول لعبة لهم تم افشالها وابطال اثرها بهذه السهولة ... ولم ينطق طهراني بأي شيء ، وقفز نحوي وسدد الى فمي لكمة قوية وتابعها بعدة منها على وجهي ، وسحب السوط من يد عضدي وانهال علي بجنون من دون تحديد ، وكان كالذئب الجريح يندفع نحوي ويوجه ضرباته اينما كان من غير مراعاة حتى لاصول التعذيب ... ابتداء بالساق ، مارا بفخذي ومنتهيا بمنطقة العانة لذا فان اكثر الضربات كانت تصيب عضوي التناسلي مما يؤلمني بفظاعة ، وكان رأسي ينقلب يسارا ويمينا من فرط الالم ، وسمعت عضدي يخاطبه بلهجة الامر ، متناولا السوط منه :

ـ ماذا تعمل ! لقد افقدته وعيه ! . بقيت على هذا الحال بلا حراك لعدة دقائق ، فاقترب عضدي مني وقال ساخرا :

ـ ها ؟ كيف حالك ؟ هل تتكلم ام نستمر ؟

وحلوا وثاقي للمرة الثانية واجبروني على السير على القدمين ، فشق علي السير كثيرا لكنني مع ذلك ذرعت الغرفة جيئة وذهابا ، وتعثرت فوقعت ارضا ... اوثقوني مرة اخرى الى المصطبة ودخل الغرفة شاب يحمل حقيبة تحت ابطه وتوجه الي مباشرة فجثا على صدري . كان ينظر الي كفريسة ثمينة وعلى شفتيه ابتسامات تنم عن الشعور بالانتصار ، فلقد كان هذ قائد العملية التي تم القبض علي فيها .

لكنني لم أكن بنيانا هشا يهتز بهذه الرياح رغم قوتها ! وشعرت بقوة عظيمة وايمان عميق في نفسي ، على عكس ما توقعه هذا ... وعندما قام من (مقعده !) خاطبهم قائلا :

ـ عجيب ! لقد تشوه وجهه من أثر الضرب، لكنه لم يقل شيئا بعد!؟ قال هذا ، وغادر الغرفة من دون ان ينتظر جوابا ، وتبعه الآخرون جميعا باستثناء باقري زاده ، الذي حملق في وجهي قليلا ، وخاطبني بالتركية :

ـ ايها الفلام، الا تشعر بالشفقة على نفسك ؟ لماذا تدعهم يركلونك بكل هذا الضرب ؟ من اجل من هذا العذاب ؟ قل لي بماذا تفكرون انتم وماذا تبغون ان تعملوا ؟ أي مكان تستطيعون احتلاله !؟ لن تكونوا في أي حال من الاحوال أقوى من فرقة اذربيجان الديمقراطية (المقصود هو الحزب الديمقراطي الاذربيجاني ـ المترجم) ، قل لي كم عاما هو سنك ؟ فأجبته :

ـ سني ثمانية وعشرون سنة .

ـ حسنا ، انت لا تدري ، فلم تكن قد ولدت بعد ، كنت انا بالذات عضوا في الفرقة ، تقدمت قواتنا حتى وصلنا الى قافلانكوه واحتللنا زنجان، في تبريز اسسنا جامعة ، لكن ما الفائدة وماذا كانت النتيجة ؟ فقدوا كل شيء اثر هجوم واحد من قوات الدولة ، فهرب بيشه وري وأريق دم اناس من امثالك ، كان هذا ما حدث في تلكم الازمان ، واليوم فان لدولة مثل امريكا قواعد هنا ، وتساندها بريطانيا ، فمن الذي سيساعدكم انتم ؟ الاتحاد السوفياتي ؟ الصين ؟ انت لم تزل طفلا لا تعي حقائق الامور فلهؤلاء ايضا مصالح كثيرة هنا ...

اطال الكلام ، واورد كثيرا غير ذلك من الترهات والسفاسف ، حقا انه لمما يثير الضحك ، شخص كان قبل ساعة او اثنتين يستعمل القوة معي وينهال علي بالاسواط بأعلى قوته ، لكنه الآن يبغي ان يسوقني نحو الهاوية

بهذه السهولة ومن خلال تزييف الحقائق التأريخية !. اجبته بكل بساطة وهدوء : ـ

ـ لست ادري ماذا تريدون مني ، وكان هذا بمثابة احباط لمساعيه الشريرة ، اذ لم ينبس ببنت شفة . كنت اتوقع عودة الجلاد السفاك طهراني ، وصدق توقعي ، فلقد دلف الى الغرفة بسرعة وجثا ، كزميله الشاب ، على صدري وخاطبني قائلا :

ـ حسنا ، ماذا تقول ؟ ماذا نعمل ؟

فأجبته : ـ

ـ لا اعلم شيئا .

ـ انتفض هائجا ، وانهال علي بالسوط بأعلى ما يملك من قوة .

كانت الساعة قد اقتربت من الواحدة ، وكان طهراني قد تعب من الضرب تماما ، فدخل حسيني (شعباني) الى الغرفة . وبعد حسيني هذا من اشرس وحوش « اوين » ، ولقد تحولت حركات عضلات وجهه الى ارتعاشات عصبية لا ارادية من أثر اعمال التعذيب الكثيرة التي اضطلع بها ، ومعايشته لظروف السجن القاسية لمدة طويلة كجلاد بحيث غدا التعذيب والقتل جزءا من حياته اليومية ، جزءا من لحمه ودمه !، يطلق صيحات عصبية يبعث على النشاط والارتياح له ! صاح بي ، وهو يتناول السوط من يد طهراني : ـ ألم تنطق بعد، وانهال علي ضربا بشكل جنوني، وكانت قدماي قد تورمتا تماما والدم يجري من قدمي الايسر ، اما ضربات السوط فكانت شديدة بحيث تسري حتى نخاعي ، لكن ايماني بقي ثابتا وعزيمتي فولاذية ، وبعد مدة تعب شعباني ايضا ورمى السوط ارضا . حلوا وثاقي وربطوني لعدة مرات أخر ، لكنني لم أعد اقدر على السير بعد ، وبمجرد ان أطأ الارض بقدمي كنت اشعر وكأن آلاف المخارز المستدقة تفرز فيهما ، تأبطني اثنان منهم لكي يساعداني على المشي ! حتى استعد للسياط التالية، لكنني لم اكن اقدر على ذلك بل ولم اكن احس بأن لي رجلين فحسب فلقد تخدرتا تماما ، لكن ما شأن الجلادين بذلك ؟ انهم يبغون مني تزويدهم بالمعلومات . التفت عضدي نحوي وخاطبني :

ـ هكذا ... هذا غيض من فيض ... فلم نعذبك بعد الا النزر اليسير !

والواقع ، فلقد صدق عضدي ، والضرب الذي تلقيته لم يكن ليقدر بواحد في المائة من التعذيب الذي مارسوه مع المناضلين الابطال عباس

مفتاحي ، سعود احمد زادة ، وعلي اصغر بديع زاد كان وسيروز هتاني وغيرهم ...

طرحوني على المصطبة مرة اخرى ، بالركلات والسباب ، ولم يلبثوا ان غادروا الغرفة تاركين معي حارسا واحدا ، فالتفت طهراني الي واذ هو يغادر الغرفة ، مطلقا آلاف السباب قائلا : شغل مصنع اكاذيبك ! يا ابن العاهرة ...

كان الجلادون يقضون ايام خير ! فلقد كانت جميع الغرف تزدحم بالمصاطب والضحايا وتجري في هذه الغرف على قدم وساق عمليات التعذيب بالسياط والتعليق بالحبال الى السقف . نعم ، في هذه الغرف ، كان الامتحان العسير يجري ، هنا مقياس المقاومة والايمان بالشعب والقضية ، كان يخرج منه اناس وقد هشمت اجسادهم ، لكن في ثناياهم ضمائر مرتاحة حية ، ورؤوسهم شامخة ، لانهم لم يسمحوا للعدو بالوصول الى اسرار الحركة ... وفي الطرف الآخر ، كان يخرج آخرون ، كسيري الخواطر ، تثقل اوزارهم ذنوب كبيرة ، لانهم ضحوا بمبادئهم من اجل ان يجنبوا اجسادهم لسعات السياط ، وبين هؤلاء واولئك نفر ثالث داخل الممر ، وقد طرحوا ارضا ولا تغطي ظهورهم الا اسمال بالية ، تمهيدا لادخالهم الى غرف التعذيب ، بعد ان تفرغ المصاطب ! ، ليقدموا هم الآخرون امتحان الارادة والاخلاص للشعب . كان مأمورو الساواك يتجولون في الممرات والزوايا ، فالسجون ملأى ، وهذه دلالة واضحة على ان السنة ذاتها حبلى باحداث جسام وانتفاضات جديدة ... لم يتقطع الصراخ لحظة واحدة ، ويكاد قلبي يتقطر ألما من انين المعذبين ... ولم يكن الجلادون قد رجعوا بعد الى الغرفة التي انا فيها ، اما الجندي المكلف بحراستي ، فهو الآخر يأتي حتى لينظر الي ! اغتنمت الفرصة فأطلقت احدى يدي وطفقت احاول اطلاق الاخرى ، لفت نظري عودة طهراني فأرجعتها الى حالتها الاولى ! لكن طهراني اكتشف حقيقة الامر ، فأحكم وثاقي بعد ان اشبعني لطما وركلا وشتائم . لست أدري ، في الواقع ، ماذا كنت سأعمل ، فيما لو افلحت في اطلاق يدي ، وكل ما اعلمه بهذا الخصوص ، هو اني كنت أحاول القيام بشيء ما حتى لا أحس باليأس والتخاذل وبهذا تغلبت علي شعور الوحدة والضعف .

احتشد الرهط المتوحش مرة اخرى في الغرفة ، تنحى طهراني جانبا واندفع عضدي نحوي بسرعة ماسكا بيده قلم حبر مستدق النهاية وشرع يغرز طرفه المستدق في كف قدمي ويحركه شمالا وجنوبا ، وكان هذا يبعث

في شعورا بالالم المبرح والدغدغة في آن واحد ، لكنه كان على شدته أهون بكثير من عملية الجلد ، صممت في نفسي ان أبدي رد فعل ما حتى تحل هذه العملية محل الجلد بالسياط فأوهمهم بأنها أشد ألما من السياط ، وهكذا بدأت اتلوى واتقلب واطلق الصرخات العالية ، ونجحت الخطة واخذوا يلحون في الاستمرار على هذه العملية ، متوهمين بأنهم اكتشفوا نقطة الضعف في ! اما أنا فكنت طوال الفترة غارقا في تفكير عميق ، يدور حول كيفية امكان الخلاص من براثن الجلادين دونما ان أكشف لهم عن شيء ، وكنت قد كررت لمرات ، قبل الاعتقال ، على الرفيق خسرو عند المناقشة عبارة « وهل لا يمكن التلفيق للعدو حول الموعد ؟ » ، فتذكرت هذا السؤال مرة اخرى والقيته على نفسي : هل لا يمكن التلفيق للعدو حول الموعد ، مكانه وزمانه ؟ فالعدو لا يعرف أأنا صادق فيما أقول ام غير ذلك .

ان هذا التعذيب ، مهما اشتد وبلغ من الضراوة ، يهدف الى اخراج المعلومات منا وفي المقدمة من هذه المعلومات : افشاء الملتقى ، أي المكان الذي تواعدنا على اللقاء فيه مع رفاقنا ، حسنا ، ما الضير في ان اذكر مكانا خياليا؟ وكانت هذه الفترة خير فرصة مؤاتية لذلك اذ انهم كانوا يظنون بأنهم انما توصلوا الى نقطة الضعف عندي ، ولكي أضمن امكانية التفكير بشكل طبيعي حتى اختار المكان الملائم من كل الوجوه بين عدة بدائل ، واصلت التلوي والتقلب المصطنع بشكل مبالغ فيه ، فكان هذا ، علاوة على توفيره فرصة جيدة لي للتركيز في التفكير ، يحملهم على الاقتناع شيئا فشيئا بصدق ما أقول نظرا لطول الفترة الزمنية التي استغرقها التعذيب .

كانت الساعة قد بلغت الواحدة والنصف ليلا . صممت في نفسي على القيام بعمل ما ، قد يخلصني من التعذيب حتى الصباح ويضمن لي فرصة التفكير بدقة في احسن الاماكن ، بين مختلف البدائل ، لاذكر للمحققين بأنه المكان الذي اتفقنا على اللقاء فيه ... كان هذا التصميم يستند على ركائز داخلية من الايمان الذي لا يتزعزع بعدالة القضية التي نناضل في سبيلها وتفكيرنا ونضالنا وقلعة الفكر الماركسي ـ اللينيني الشامخة التي لا تقهر . كانت كل هذه العوامل مصدر الهام لي ، للمقاومة مهما كلفتني ، تظاهرت بالاغماء التدريجي ، وصرت اتنفس بسرعة ، وقلت لهم متحشرجا : كفى ، كفى ، سأتحدث ، لا تضربوني ، لا تضربوني ، ارجوكم ، سأقول كل شيء (٦) ... ومنذ هذه اللحظة ، بدأت دورا آخر ، دور عنصر شاب

(٦) ان الاعتداد بالنفس واتخاذ المواقف الصارمة والمعاندة مع العدو والامتناع عن الامتثال لطلباته هي احدى السبل الايجابية التي يجب سلوكها منذ أول لحظة من الوقوع

ساذج تورط بالسياسة ! لكنني احتفظت بكامل وعيي ويقظتي ... حلوا وثاقي ، وقبل السماح لي بالنهوض طلبوا الي الوعد المطلق بأني سأذكر كل ما اعرف ! لكنني لم التفت الى تهديداتهم ، وتظاهرهم بالجدية فأجبتهم : سأقول ... سأقول ، ولم اضف اية كلمة اخرى ...

مسكني طهراني من ابطي وساعدني على النهوض والسير !! اما هوشنك الذي كان ، منذ ادخالي غرفة المقابلات !! ، واقفا كالصنم في احدى زوايا الغرفة ويراقب بدقة تصرفاتي واقوالي وحركات جسمي (حيث كان ما يسمى بمأمور البحث في حالاتي السايكولوجية ، فانه اخذ يحثني على السير قائلا : سر ، سر ، لا تخف .

سبحان مغير الاحوال !! لقد تغيرت قيافاتهم ، ووجوههم ، حتى التهديدات واعمال الخشونة والسباب البذيئة تحولت الى عبارات ودية وابراز للتأسف وعبارات تتضمن نصائح ابوية !!. اخذوا يداعبونني ويلحون علي في المزاح ... : قل ما شئت وسوف تدرك قريبا أي اصدقاء اوفياء لك في وسعنا ان نكون نحن ، ونقلب كل تصوراتك السوداء عنا الى اوهام فحسب !! ولقد غدوت انا ايضا في مستوى الحدث ! وكأني لم أكن من يتقلب ويتلوى قبل دقائق تحت ضربات السياط واللكمات والرفسات ! قلت لهم :

ـ الحق معكم ، ما السبب في ان اعرض نفسي لكل هذا الضرب ؟ ففلان قال كل شيء وسلم فما شأني انا ؟!! في الواقع، ارتكبت حماقة كبرى عندما اصررت على عدم الاعتراف ، فعرضت نفسي الى كل هذا العذاب !.

كان افهمي يتفرس في وجهي .. صامتا اخرس ، ... امر طهراني ان يأتوا بماء ساخن وشيء من المروّخ ، سحب احدهم كرسيا وعرض على

في الاسر ، وخصوصا من قبل الرفاق الانصار الذين « لا شكوك حول انتمائهم الى الحركة » ـ على حد تعبير رجال الساواك ـ وكلما كانت ردود الفعل من جانب الانصار اشد واحزم، كانت الفائدة أعم وأهم ، وتتراوح ردود الفعل هذه بين توجيه السباب الى الجلادين ، وانتزاع السياط من ايديهم ، وضربهم بها ... ان مثل هذه التصرفات لن تؤدي الى اجبارهم على اللجوء الى خشونة اكثر بحيث نفقد شعورنا منذ الساعات الاولى للتعذيب على أثر اللكمات والركلات الشديدة ونتخلص بذلك من التعذيب الطويل فحسب ، بل انها تؤدي ايضا الى ابتعاد مشاعر اليأس والقنوط عنا ، وعدم فسح المجال للعدو لايجاد ثغرة مهما صغرت في قلاع عزائمنا الثورية ، لكل ذلك فان النصير الذي يمضي فترة من حياته في الاسر لا يحق له مطلقاالتوسل باللطف المصطنع والمداراة ، تخلصا من التعذيب وحتى ان جرى ذلك بهدف اغواء العدو ، ذلك لان من يقع في قبضة العدو ، والاخير على يقين بأنه واحد من الثوار ، فانه لا يتخلص من قبضته بهذه الاساليب .. وخير مثال على ذلك ، هو ان بين الانصار الذين نفذت بحقهم احكام الاعدام اناسا تخاذلوا ، الى حد ما ، امام السلطة .

بلطف وادب ، ان اجلس، ثم اتاني شخص آخر بفنجان من الشاي وحملني على شربه .

ركع طهراني امامي وشرع يدلك لي قدمي داخل الماء الحار . حقرت له نفسي !! فقلت له : كلا، كلا ، لا يمكن هذا ، ارجوك ان تنهض !! لاتوسخ يدك فأني سأقوم بنفسي بذلك ، ارجوك !!

سألني وهو يدلك رجلي : ايها الوغد ! كنت تتردد على الجبل ايضا فتصلب رجلك بهذا الشكل ؟!! اليس كذلك ؟

هنا التفت عضدي نحو طهراني قائلا : ـ كان الضرب شديدا ، آه ، لو كان اي شخص آخر محل هذا ، لكان قد اغمي عليه لحد الآن ستة مرات ، لكن المقابل ايضا قوي ومتحمل !

قلت لطهراني : أي جبل تقصد ؟ انا مجرد لاعب كرة قدم ، ولا اخفي عليك فأني كنت بطل الساحة بين جميع زملائي . فانبرى احد المأمورين المشتركين في عملية القبض علي وقال بجدية كأنه وجد ضالته المنشودة :

ـ حسنا ، اذا غباؤك ليس ابن اليوم ، حتما كنت تلعب دور المهاجم في اللعبة ، اليس كذلك ؟ نعم ... اما كان خيرا لك ان تلعب دور حامي الهدف ، فتقف مدافعا عن الهدف دون ان تكلف نفسك عناء الجري والعدو واللهاث وراء الكرة ، لكن غباءك حدا بك ان يكون نصيبك التعب كله ، ونصيب الآخرين الراحة !!

ضحكت (رغم انفي) وقلت : اي والله ، انك لصادق .

كان طهراني ، في هذه الاثناء منهمكا في نثر مسحوق طبي على ساقي. نهضت لاسير ، مشيت قليلا ، وانا اعرج ، نحو المدفأة حيث كان سروالي موضوعا عليها . قلت لافهمي ضاحكا ، وانا البس السروال : ان وجهك يذكرني بابن عمي فكلما رأيتك تذكرته ، انكما تتشابهان كثيرا وكأنكما تفاحة واحدة شطرت الى نصفين متساويين !! لمحني بطرف عينه ، فقرأت في وجهه الاندهاش الكبير الذي اعتراه حولي، ولقد صدقت قراءتي ، فلقد فضح ما في قلبه عندما هتف قائلا لزملائه :

ـ انظروا ، بالله عليكم ، أي فنانين يربون ، اولاد العاهرة هؤلاء ، فلقد بزوا جميع ممثلي السينما !

ثم وجه الحديث الي مهددا : ـ الويل لك ان كذبت !

هنا يتبين لنا ان مرتزقة الامن لا يتوقعون سماع الصدق والحقيقة منا مطلقا ولا يحسبون كل ما نقول سوى ضرب من الاكاذيب والاضاليل ، وتظل جميع المعلومات التي تصلهم عنا نوعا من التلفيق ما لم يطمئنوا وفق

معاييرهم الخاصة الى صحة اقوالنا وحقيقة أنفسنا ، واذا كان الامر كذلك، فلم يجب علينا تجنب الكذب معهم وتضليلهم ؟ لماذا يجب تغذيتهم بالمعلومات الصحيحة عن انفسنا ؟ ونُبطل تصوراتهم عنا بأننا كذابون ؟ أليست الحقيقة هي اننا في نظرهم اناس ملفقون من الدرجة الاولى ، وليست اقوالنا سوى ضروب من الاضاليل والاباطيل والفبركات ؟ علينا ان لا ننسى بأننا يجب ان نقاوم اساليب هذا العدو ولا نتخاذل امامه مهما كانت الوسائل والسبل!!. كانت غرفة التعذيب قد فرغت من نزلائها باستثنائي أنا ، ورجع عضدي مرة اخرى وخاطبني :

حسنا ، ماذا بحوزتك ، ما هي الاشياء الاخرى التي توجد في جيوبك غير تلك التي اخرجتها ؟.

لم أدعه يبادر الى تفتيش جيوبي ، اذ كان ذلك ليكلفني الكثير ولاسقط كل حساباتي واخرجني خاسرا ، الامر الذي استلزم سرعة البديهة والحركة ... شرعت افتش جيوبي واخرجت كل ما كان فيها : عدة قطع نقدية من فئة الريال الواحد ، اربعة مفاتيح ، اريتها جميعا اياه قائلا : لا احمل في جيوبي سوى هذه الاشياء ، هذه مفاتيح دارنا ، وهذه نقود حملتها مصروفا لجيبي ، وقضيت بالعبارة الاخيرة على احتمال ان يتساءل حول المفاتيح ويلح في الاستفسار عن عائدية كل مفتاح منها ، وهكذا تم حسم المسألة لصالحي ، فلقد كنت مستعدا لتزويدهم بعنوان دارنا ، فما هي شأنهم بعد بالمفاتيح ؟ وهكذا لم يستفسر عن الاشياء الموجودة في جيبي والتي كنت اخشى اكتشافها ، وعندما اطلق سراحي ، اعادوا الي نقودي ايضا ...

بدأ التحقيق ، جلس هو وراء المنضدة وجلست انا قبالته ، وشرع بطرح الاسئلة ، اما انا فبموجب المخطط الذي كنت قد اعددته في ذهني والاكاذيب التي كنت اعددتها ، اجبت على اسئلته على النحو التالي (٧) :

س ــ مع من كنت قد تواعدت على اللقاء ؟ اين ؟ ومتى ؟

ج ــ مع شخص لا اعرف اسمه الحقيقي ، لكنه يحمل اسما مستعارا هو كريم ، موعد لقائنا هو في الساعة العاشرة من بعد غد في المنطقة الواقعة

---

(٧) قبل الاجابة على اسئلته ، قدم لي اطراءات كثيرة ووعودا باطلاق سراحي ، ولكي أصدق وعده قال بعد تفكير قليل : في الحقيقة ، انا لا استطيع ان أعدك باطلاق سراحك، لكنني سأعمل مستفيدا من تأثيري الشخصي ، على الا يحتفظوا بك معتقلا لاكثر من شهرين أو ثلاثة ، وهذا عقوبة لحملك المادة السامة والا لكنت قادرا على اطلاق سراحك هذه الليلة ، طبعا ، بعد ذكر الحقائق !!

بين ميدان خراسان ومسكر آباد ، سيلقاني هو بعد ان امشي انا مسافة عن الطريق بمحاذاة الساقية لمدة عشرين دقيقة ، ابتداء من ميدان خراسان.

س – بأية واسطة نقل سيأتي هو ؟

ج – لست ادري ، فهو يأتي في كل مرة بطريقة مختلفة ، فتارة يأتي مشيا على الاقدام ، واخرى ممتطيا دراجة بخارية ، ومرة اخرى بالدراجة الهوائية .

س – حسنا ، ماذا كان نوع دراجته البخارية وما لونها ؟.

ج – دراجة من نوع هوندا (٩٠) ، زرقاء اللون ، حديثة .

س – هل للدراجة حقيبة ؟

ج – نعم لها حقيبة سوداء جديدة .

س – لو فرضنا انكم اخفقتم في اللقاء وفق الموعد الاول ، متى سيكون الموعد الثاني ، واين ؟

[هنا أرى من الضروري ان أنوه بأن المقاومة التي ابديتها اول الامر وامتناعي عن الاجابة في ساعات التحقيق الاولى ، سهلا اغواءهم وتضليلهم من دون حدوث اي تناقض بين جوابين]

ج – في الواقع ، سبق وان حدث لعدة مرات ان لم يحضر في الموعد المقرر ، اما انا فاعترف بأني لم اكن طوال حياتي جديا ، لذا تكرر عدم ذهابي للقاء في المواعيد المقررة لعدة مرات ، اما لقاؤنا مرة اخرى بعد هذه الاخفاقات، فانه يعود الي انه كان يعلم بجميع الاماكن التي كنت ارتادها انا وكذلك عنوان داري ، وكلما اخفق في اللقاء بي ، قدم الى دارنا او احد الاماكن التي ارتادها ، وهناك تقابلنا .. كان عضدي يصغي الي وعلى وجهه علامات الارتياب ، ويلح في استجوابي مبديا بعض الملاحظات ، وخاطبني ذات مرة ، وهو يحذرني ، جاحظا عينيه ، ومحكما أسنانه على بعضها قائلا : يا .... ويلك ان كذبت ! أتدري اية عاقبة سوداء تنتظرك ان ثبت انك قد قلت ما يخالف الحقيقة والواقع ؟ فطمأنته ، بأني لا اقول غير الصدق وان كل ما اذكره له هو عين الحقيقة !! فقال عضدي :

حسنا ... لنرجع الى حديثنا ولنر ، كنت تتكلم عن الموعد الثاني .

ج – كان قد ابلغني بأنه اذا لم يأت في الموعد المقرر ، فيجب ان اذهب في اليوم التالي الى مسكر اباد في الساعة الثانية عشرة ومن هناك اتجه شمالا الى ان اصل برج شاهيسند ثم اعرج يسارا نحو الجنوب .

س – اين هو ملتقاكم الدائم ؟

ج ــ شارع الفريق رزم آرا ، البدء من ساحة فرح اباد جنوبا والسير على الجانب الايمن من الشارع لمدة خمسة عشرة دقيقة ، وحيث انه من الممكن الا يأتي هو شخصيا لسبب من الاسباب ، فيرسل شخصا آخر ، اما علاقة التعارف مع هذا الشخص فهي : اسير انا بمحاذاة الساقية ماسكا باحدى يدي اطار دراجة هوائية وسيمر بجانبي شخص يمتطي واسطة نقل (لم يكشف عن نوعها) وحالما يمر بي ، اقول بصوت يستطيع سماعه : ما بالك ، لا بد انك اعمى ، فيجيب : « انت لا تملك عينين من الخلف فما ذنبي انا ؟ » هذه هي « كلمة السر » .

س ــ اين ومتى يجب عليك ان ترسم اشارة اللقاء التالي ؟

ج ــ في اليوم التالي للموعد الثاني ، كان يجب ان ارسم بطبشور اخضر علامة « لا نهاية » على اطار المصرع الايسر ، من باب « امام زادة معصوم » وعلى ارتفاع متر واحد من الارض ثم آتي الى الموعد في الساعة الخامسة من اليوم التالي لليوم الذي أرسم فيه العلامة (٨) .

اما المرحلة الثانية من التحقيق فلقد جرت بشكل تحريري ، وتطرق فيها الى كيفية تعرفي على كريم ، الكتب والكراريس التي طالعتها ، الاماكن التي تواعدنا على اللقاء فيها ، نشاطاتي وعلاقاتي مع الاشخاص الآخرين ، واستفسر فيها عن كل شيء بدءا من النشاطات الى اصغر عمل سياسي قمت به ، واورد ادناه نماذج من الاسئلة المطروحة علي في التحقيقات التحريرية :

١ ــ السؤال الشائع : ان هويتك مكشوفة لدينا تماما ، اكتب جميع نشاطاتك ، ذاكرا جميع هذه النشاطات ، صغيرها وكبيرها .

٢ ــ اكتب نوعية علاقاتك مع « أ » مع ذكر التفاصيل .

٣ ــ اذكر جميع الصفات الشخصية والمميزات البدنية لـ «ب» مع بيان محل سكناه .

٤ ــ اكتب اسماء جميع الكتب والكراريس التي طالعتها ودرستها (٩) .

٥ ــ انت متهم بالعضوية في منظمة او مجموعة ذات ميول وافكار اشتراكية ، اشرح نوعية نشاطاتك بهذا الصدد .

---

(٨) هنا لا بد ان اذكر بأن ، حيث لم يكن رجال الساواك اغبياء قد اهتدوا بعد الى طرق عملنا واشكال ارتباطنا مع بعضنا ، ولم تكن معلوماتهم عنا قد زيدت من قبلنا ، لم يكونوا يقدرون على ادراك الدور الذي كنت أمثله بل ان هذا الدور كان قد جعلهم يتخلون تماما عن اساليبهم التقليدية ..

(٩) ان الاجابة على الجزء الثاني من هذا السؤال (أي ما يخص الدراسة) يعني الاقرار بنشر الافكار الاشتراكية .

٦ ـ بين واشرح موقعك التنظيمي بالنسبة للاشخاص الذين انت متهم بالعمل معهم ، مبينا موقعك في السلم التنظيمي .

٧ ـ اشرح بالتفصيل جزئيات العمليات التي اشتركت فيها .

٨ ـ اشرح بالتفصيل ما يتوفر لديك من معلومات حول الاماكن السرية ، البيوت ، المخازن ، مكان تواجد الاسلحة والمتفجرات ، مكائن الاستنساخ والطبع ، الكتب والكراريس والرسائل ، وكيفية الاستفادة منها (١٠) .

وتطرح دائرة التحقيقات العسكرية نفس الاسئلة على المتهم او ما يشابهها . والآن لنر كيف تخلصت انا من هذه الاسئلة :

كان الموعد الذي ذكرته للمحقق من « فبركتي » انا ، والشخص المدعو كريم الذي كان يجب ان يحضر هذا الموعد هو الآخر من « خلقي » ، وهناك نقطة يجب ذكرها ، وهي اني انتفعت الى حد بعيد ، في اختلاق هذه الاسماء والتواريخ ، من الواقعيات القديمة لايام النضال ، ذلك لان الضغط المستمر والتعذيب المتواصل لم يكونا يسمحان لي بالتفكير ولو للحظة واحدة ، ولم أكن قد جربت سابقا تهيئة مثل هذه العناصر للانتفاع منها في الوقت الحاضر (١١) ، فمثلا عندما كان يطرح سؤالا حول المكان المقرر للالتقاء ، كانت تمر امام عيني جميع الاماكن التي كنا نتقيها سابقا مع رفاقي للتواعد وكانت الفرصة الوحيدة السانحة لي، هي ان اذكر ، في خدود الامكان ، الاماكن التي سبق وان اكتشفت ، او قل احتمال تردد الرفاق عليها ، اما كيف تعرفت على كريم وعن طريق أي شخص فتلك كانت مسألة بالغة الاهمية يستلزم حلها دقة متناهية ، ولقد استنتجت الطريقة التالية بهذا الصدد :

كنت اعرف ، فيما سبق ، شخصا باسم (ج) ، تعرفت عن طريقه الى شخص ثان لم أره بعد ذلك سوى في مناسبتين ، ويمكن القول جازما بأن التعرف عليه لم يكن ينطوي على اية علاقة او صبغة سياسية قط اذ كان هو في حالة اختفاء عند القاء القبض علي لذلك لم يكن هناك أي احتمال لالحاق الضرر به من جانبي ، وكان (ج) ، وهو شخص سياسي اعتيادي ،

---

(١٠) ان عدم الاستماع بدقة وانتباه الى الاسئلة واعطاء الردود السريعة ، يعني اقرارا صريحا بالعضوية في المنظمة (عقوبتها السجن من ٣ ـ ١٠ سنوات) .

(١١) ان تصوير المواعيد والعلاقات المصطنعة (الوهمية) في الذهن قبل الوقوع في قبضة العدو من المسائل البالغة الاهمية والتي يجب اعارتها الاهتمام اللازم ، ذلك لانه عند الاستجواب او اثناء التعذيب لا تتاح للمرء الفرصة الكافية للتفكير في هذا الامر ولا الاستعداد الذهني اللازم له الامر الذي ينطوي على احتمال الوقوع في التناقض .

قد اعتقل قبل ان اعتقل انا ، وحقق معه حول هذا الشخص ، فانتفعت انا من هذه المسألة وتمكنت من الاستناد عليها وتعريف كريم بصفة حلقة الوصل بيني وبين المنظمة وحمل العدو على تصديق صحة الادعاء ، لكنني اصبت بخيبة امل وعذاب نفسي شديدين اذ أدى ذلك الى استدعاء (ج) مرة اخرى الى التحقيق ، وكنت اشعر بأن ما قمت به من اجل اخفاء علاقاتي مع منظمة « فدائي الشعب » هو نوع من الخيانة ، بالرغم من ان (ج) كان قد وقع في قبضة العدو في قضية اخرى وكنت على اطلاع تام بهذه الحقيقة ...

اما فيما يخص الصفات المميزة ، وتاريخ بدء الاتصال وقطعه ، مدة النشاط والمواعيد فأني قدمت ابسط الاجوبة واقلها تعقيدا ، فلقد ذكرت مميزات يمتلكها الانسان الاعتيادي عيون وحواجب سوداء ، شعر قصير نسبيا ، جسم متوسط ، قوام ممشوق ، وجه طويل وضعيف . لم اذكر أي تاريخ ، فمثلا كنت اذكر ان الوقت كان في منتصف الصيف ... او منتصف الشتاء .

صبيحة اليوم الثالث (١٨ شهريور – ٣ سبتمبر (ايلول))

كان يوما مشمسا والسماء صافية ، وكان نعيق الغربان وصفير الحراس ايذانا بانتهاء حراسة وجبة منهم وابتداء حراسة وجبة اخرى والاصوات المنبعثة عن توقف السيارات والصيحات الحيوانية من وراء سماعة التلفون ووقع اقدام الجنود وقرقعة البندقية الاوتوماتيكية (زرس) وهدير ينبعث من ماكنة بلدوزر تحفر الارض في مكان مطل علي ، كانت كل هذه تقطع جميع الاتصالات مع العالم الخارجي ، وتصرخ في وجه السجين ، ان انتبه ! فهنا معتقل « اوين » او منتزه صاحب الجلالة الاريامهرية !!

ان « اوين » لا تنام ولا تهدأ للحظة واحدة ، ويرن في الاسماع بصورة متواصلة وقع اقدام المارة طوال الليل والنهار ، صوت موقف السيارات، صيحات كرباسي او أي مرتزق آخر ، الوقع الثقيل الرتيب لاقدام الحراس ، وقرقعة البنادق وهدير البلدوزر لا تنقطع ابدا ، نعم لا تنقطع هذه الاصوات مطلقا ، حتى الغربان لا تطيق هذه الجوقة المزعجة القاتلة لصفاء الذهن ، فتترك « اوين » ليلا لتعود غدا مع اولى خيوط الفجر مبشرة !! ببزوغ شمس جديد في « اوين » !!

× × ×

كنا في السابق ، نرتكب اخطاء جسيمة وعديدة في كثير من النواحي، بسبب قلة التجربة وحداثة العهد بالنضال والافتقار الى النظرة الواقعية نحو الشرطي ، والتفكير المطلق في اعمالنا الذاتية والابتعاد عن مراقبة حركات العدو عن كثب والوقوع في احضان التفاؤل الفارغ ، وتتقدم جميع هذه الاخطاء في الاهمية والتأثير ، خطأ الاستهانة بالعدو من النواحي التكتيكية ، الامر الذي يؤدي بالتالي الى اهمال مراقبة تحركاته وردود فعله ، ومجابهتها بشكل حاسم والوقوف بوجه المخططات والشرك التي يهيئونها لنا والنشاطات اليومية التي يبديها ضدنا .

قرأنا كثيرا واستوعبنا ولمسنا لمس اليد ، مرات ، الحقيقة التاريخية القائلة بأن هدف العملية الثورية هو احراز النصر لصالح القوى التقدمية في المجتمع ، وان هزيمة العدو امامنا شيء حتمي وان النصر الستراتيجي المؤزر في الصراع الطبقي هو حليفنا ، لكن كل ذلك يجب الا يؤدي الى الاستهانة بالعدو والتقليل من شأنه والاستخفاف بقدراته وقابلياته ، فالواقع الحي هو ان العدو يمتلك امكانات جسيمة لمجابهتنا ونحن نرى بوضوح كيف ان الدكتاتورية السوداء تستطيع ان تدوس بالقدم وبكل سهولة ومن دون شعور ما بالخجل جميع القوانين والاعراف والمقاييس التي وضعتها هي ، من اجل قمع أية حركة معادية لها ، فهي تصدر الاوامر بتفتيش البيوت ، واحتلال الشوارع ومنع المارة من المرور وايقاف الناس في صفوف طويلة وتفتيشهم ، وتعبيء باستمرار رجالها الذين يتجولون في كل مكان بسياراتهم ودراجاتهم البخارية ، وتشكل المفارز المتعددة لمراقبة العابرين ، وتزود دوائر التسجيل العقاري بأوراق واستثمارات تدون فيها معلومات عن هوية المستأجرين ، تلقي القبض بشكل كيفي على أي مواطن عن ذنب او بدونه ، وتستغل جميع وسائل الاعلام والمطبوعات ووسائل الاتصال العمومية من اجل تحقيق اهداف الطغمة الحاكمة ، وتمنع نشر الاخبار عن الوضع الداخلي ، وتتمادى في نشر الشائعات المضللة وتمجد انتصارات النظام الضئيلة والعديمة القيمة وتثير الضجيج حولها وتزمر وتطبل لها طويلا ، وتجبر رجالها على العمل من اجل احباط النضالات التحررية بكل السبل، بالرشوة ، بالمكافآت ، بتأمين الحياة المرفهة ، ببسط السلطة والهيبة الاجتماعية لهم ، بالارعاب والتهديد (واجهت في اوين وقائع من هذا القبيل أثارت استغرابي ، كان رجال الامن منهمكين في العمل المتواصل لمدة ٢٤ ساعة بدون مبالغة ، لا يتركون المعتقل لايام متتالية وهم معتكفون على اعمالهم تبدو على سيماء اكثرهم امارات التعب والارهاق الشديدين ، وقليلا

ما يحصلون على فرص قصيرة يضطجعون فيها على المساطب وهم في ملابسهم الرسمية يطلقون السفاسف والسخافات ، كثير منهم قد فقد لونه تماما جراء السهر المتواصل واحمرت عيونهم لنفس السبب، ويعاد ارسال القناصة العائدين لتوهم من مهمة ما الى مهمات اخرى ، ولا ساعات عمل محدودة لهم مطلقا ، ولا يعرفون لايام العطل الرسمية والراحة معنى) (١٢) .

وهكذا نرى ان العدو قوي من الناحية التكتيكية ويتمتع بمواقع قوية لمجابهتنا ، لكننا نحن ايضا نملك امكانيات تكتيكية وتكنيكية لا تتيح لنا قابلية احباط خطط العدو وسحق امكانياته فحسب بل وتساعدنا في اكتساب قوة اكثر ونضوج فكري اكبر ... ان الافكار الثورية ، المعنوية الثورية الجبارة، الوعي الحركي ، التشخيص الصائب ، الاعتماد على النفس والتاكتيكات الحديثة التي ابتكرناها ، هي مميزات عظيمة تتفوق بها على العدو ، لكن ذلك يجب الا يقلل من شأن العدو في نظرنا ، لا بد لنا ان نمتلك رؤية صحيحة له وتقديرا صائبا وواقعيا لامكانياته خصوصا في المرحلة الراهنة ، لا بد لنا من مجابهة واعية مع تحركاته ونشاطاته ، دون ان نصاب بالهلع والخوف من عمليات عرض العضلات التي يجريها في بعض الاحيان ، ودون ان نسيء التقدير ، فتستمر فعالياتنا تاركين جانبا اخذ امكانات العدو وقواه الحقيقية في الحسبان ..

في الساعة الثانية عشرة من ظهر هذا اليوم ، يجب ان اكون قد درست واخترت ساعة معينة كموعد مزيف اذكرها للمحقق ، كنت مضطربا بعض الشيء ، وكان فكري يعمل كالرحى باحثا عن اسباب وحلول لبعض المسائل الدقيقة ، وكان سريري يقع في موقع لا يمكن منه رؤية ما في خارج الخيمة اثناء الاستلقاء ، مددت قدمي نحو باب الخيمة ورفعت النصف العلوي من

---

(١٢) طبعا ، يجب ان نعلم بأن هدف مرتزقة الساواك هو الوصول الى الحياة المرفهة ، الثروة والمال والجاه ، تحقيق الملذات الجسدية وارضاء الغرائز الجنسية ، كسب الشهرة والافتخار لدى اساطين النظام وكبار الجلادين والبسطاء ، ارضاء العقد المكبوتة من قبيل الثرثرة ، حب السيطرة ، اضافة الى الخوف على ارواحهم ، وتظهر الميزة الاخيرة ، على الخصوص ، لدى الكوادر القديمة في الساواك كعامل حاسم واساسي ، ولقد طرح اكثر المأمورين – سواء القائمون بأعمال التعذيب او الذين ساهموا في عمليات القبض على المناضلين – اسئلة على ضحاياهم في كثير من المناسبات وبلحن ينم عن **الخذلان والانهيار** : لو كان بيدك سلاح الآن ، هل كنت ستقتلني ؟ لو كنت قد وقعت في قبضتك ماذا كنت ستعمل بي ؟ فيما لو اعطيتك السلاح الآن ، هل ستقتلني ؟

اما الذين لا تساورهم الشكوك بأن اجوبة جميع هذه الاسئلة ستكون «نعم» فان سؤالهم الوحيد اثناء التعذيب هو : – لو كنت قد وقعت في قبضتك هل كنت ستعاملني بأسوأ من هذا ؟

جسمي وتمكنت من القاء نظرة على ما يحيط بالخيمة من الخارج ... جندي قوي البنية يحرس خيمتي ، يتمشى ، على عكس الحالات السابقة ، بجوارها ، وحالما ادركني القى علي نظرة تفيض عطفا وحنانا ... ناديته ، فأجابني ، وفتحت معه الحديث بالسؤال عن المدة التي مضت على وجوده هنا ، فأجابني بأن مدة من الزمن انقضت على انهائه للخدمة وانه الان يمضي خدمة اضافية لان الدولة لا تسمح بتسريحه ، واستنتجت من اللكنة التي تعتور حديثه بأنه اذربيجاني (تركي) ، ثم القيت عليه بعض الاسئلة حول « أوين » : كم عدد الحراس ؟ أين يتمركزون ؟ كم هي المسافة بين الخيم وباب المعتقل الرئيسي ؟ ما هو نوع سلاحه ؟ كم عدد العيارات التي بحوزته؟ هل يمتلك شاجورا اضافيا وما نوع العيار ؟ وغير ذلك .

سألني : هل تنوي الفرار ؟

سكت ... ولم اجبه بشيء ، بينما هو واصل الكلام : ان الفرار محفوف بالخطر بل ولا يمكن التفكير فيه مطلقا ، فالحراس يملؤون المنطقة، وأي حراس ؟، انهم جميعا من ذوي الخبرة والقوة ، ولا تخطىء طلقاتهم ابدا.

كان يتكلم بطلاقة ومن دون وجل ، كانت كلماته تنساب كجدول ماء صاف ، سألني عن سبب اعتقالي ، قلت ان السبب ليس بذي أهمية بالغة ، فأنا معتقل بتهمة مطالعة الكتب المعادية للحكومة ، قال : من باب الصدف ، انا ايضا لا اشعر بالود تجاه هؤلاء . كانت أشعة الشمس قد بدأت تؤثر علينا شيئا فشيئا ، سألته عن الوقت ، اجابني بهدوء ، وبعد ان نظر جيدا حواليه ، بأنها العاشرة والنصف .

قلت : هل لي ان اطلب منك شيئا ؟ عملا تقدم به من اجلي ؟ فقال بلحن يبعث على الاطمئنان في قلبي : ما هو ، ماذا تريد ؟

طلبت اليه ان يضرب بحذائه العسكري بقوة على مفصل قدمي . تراجع الى الخلف وقد ساورته دهشة كبيرة ، واكتفى بهزة من رأسه ، دون ان ينبس بحرف .

قلت له بالحاح ولهفة : ان هذه لاكبر خدمة في استطاعتك اسداؤها لي ، ان عملك هذا ، سيؤدي الى فشل خطة دبرها هؤلاء لي ، بهذا سوف لن اذهب الى موعد لقاء وسوف لن يجبروني عليه ايضا .

قال ، بلهجة تفيض عطفا : كلا ، قلبي لا يطاوعني ، انت مسكين ، ان هذه الضربة ستؤلمك جدا ، انت الآن لا تقدر على المشي وان قدميك متورمتان ومثخنتان بالجراح . قلت له : ايها الاخ، ان الامر قد يتجاوز هذه الاحاسيس، فان لم تضربني انت ضربني هؤلاء ، فتعال وساعدني .

قال : ان رجلك ستنكسر ، قلت : وهذا هو ما اريده انا .

فخطا نحوي بلطف وتردد ، رفع رجله لكنه انزلها مرة اخرى ، قال من الاعماق : لا استطيع ، لا استطيع ، فالتمست منه بالحاح ، ومددت رجلي من تحت جدار الخيمة ، واخذت اشجعه ، وكمن يبغي الخلاص من العذاب والالم بأسرع ما يمكن ركلني على رجلي ، لكني لم احس بأي ألم — ربما كان رجلي قد تخدر — فقلت له : هذا لم يؤثر قطعا ، ارجوك ، اضربني بقوة اكبر ... لكنه كان قد ابتعد عني ، مستأنفا حراسته وظهره الي ...

كنت اهدف من وراء هذا العمل ، ابتكار جواب مقنع للسؤال الذي سيطرح علي حول عدم حضور كريم في الموعد المضروب ، وهو انه ، أي كريم ، شاهدني وانا اعرج واسير بصعوبة بالغة ، فساورته الشكوك وترك المكان فورا .

بلغت الساعة الخامسة ، ودخل علي الرهط وأنهضوني من السرير بسرعة ، لبست سترة كانت قد طرحت على احدى الاسرة (كانت تعود الى آنوش مفتاحي) وادخلت الى السيارة من قبل اثنين من المأمورين . لم أكن البس جوربا ، فخلع احدهم جوربه والبسني اياه ، سألني طهراني عما اذا كنت اقدر على المشي ام لا ، فأجبته بأن الضرب لم يكن من الخفة بحيث تلتئم جروحي بهذه السرعة ، ولم تكن هناك حاجة للاصرار من جانبه ، فلقد كانت جروح رجلي تعطي الجواب الكافي ... كان ابطال هذه العملية كل من : جوان ، خسروخان ، برويز ، آقارضا ، والسيارة تغص بالركاب ، تتبعنا ٢ — ٣ دراجة نارية ، ويحيط بي من كل جانب اثنان منهم ، اما مقود السيارة فكان في يد جوان ويجلس بجانبه احد المأمورين . تحركت السيارة وسارت بنا باتجاه شارع خراسان ... وصلنا المكان الموعود قبل الموعد الذي حددته لهم بربع ساعة ، كانت مواقع الافراد الموجودين في ثلاثة من السيارات التي كانت تتبعنا وركاب الدراجات النارية قد عينت سلفا ، لكن المأمورين الذين استقلوا ثلاثة سيارات اخرى ، كانوا يحتاجون الى تحديد المواقع وادوارهم كبقية زملائهم ! وقفت ثلاثة من السيارات في الشارع الفرعي الموازي للقسم الشمالي من شارع خراسان ، ترجل الركاب وتجمعوا حول قائدهم الدكتور جوان ، بقيت انا لوحدي في السيارة ... كنت اتمنى من الاعماق لو ان هذا الموعد كان فخا ينصب لهم ، اذا لكانت قنبلة يدوية او صلية من رشاش تمحيهم جميعا من الوجود .

حدد جوان دور كل واحد منهم وواجبه بدقة ، وحدد لهم المواقع التي ستخضع لمراقبتهم ، تفرقوا واتجه كل منهم صوب المحل المعين له ،

خرجنا ، انا وثلاثة من ركاب السيارة ، من الشارع وبعد ثلاثة دورات حول الساحة قطعتها بما لا توصف من الصعوبة ، توقفنا امام ثاني قهوة من تلك الجهة من شارع خراسان ، وحيث اني لم أكن اقدر على السير بعد لحسن الحظ ، فلقد اعفيت من مواصلة السير ، وقدمت قدما بهذا نحو النجاح في الخطة ... وقفت سيارة اخرى على مقربة من المقهى ، وقف ركابها امام المقهى . كان الشخص الجالس في صدر سيارتنا بجانب الدكتور جوان ، رجلا متوسط السن ، قوي البنية ، اسود الشعر ، جنكيزي الشارب ، يلبس سروالا خاليا وقميصا احمر اللون قصير الردان يتبين من ورائه مسدسه الكولت يحمل باحدى يديه شيئا ملفوفا بقطعة من القماش (تبين لي فيما بعد ان هذا الشيء لم يكن سوى رشاشة) ، على احدى يديه اثر جرح قديم ، ولقد سمعت ان هذا الشخص هو الذي دبر امر القبض على كاظم سلامي وانه جرح في المصادمة .

كانت قيافاتهم ملفتة للنظر ، فمثلا ذو القميص الاحمر الذي وصفته لكم توا ، كان يشبه قصابا اكثر من ان يشبه أي ذي مهنة اخرى ، وهكذا خذ هيئات الآخرين . ترجلنا من السيارة ودلفنا الى المقهى ، اجلسني احدهم امام اول منضدة خلف الباب ، حيث كان بامكاني مشاهدة خارج المقهى بشكل كامل ، وامروا لي بماعون من الثريد الايراني المسمى ـ ديزي ـ ، كرروا علي سؤالا ، كانوا قد القوه علي في داخل السيارة لعدة مرات اخرى ومفاده : من اية جهة سيأتي كريم وبأية وسيلة ؟ كنت اجيب دوما بصيغة استفيد منها عندما تطرح علي اسئلة اخرى ، صيغة قابلة للتفسير والتغيير . قلت جوابا على هذا السؤال : ـ لا اعرف من اية جهة بالضبط سيقدم ، قد يأتي ممتطيا دراجة هوائية ، او دراجة بخارية ، او قد يأتي بواسطة تاكسي ، او قد يتربص في احدى زوايا هذا الشارع منتظرا ظهوري .

وكنت بعد هذه الاجوبة أتوقع قدرا من الاستجواب وطلب التوضيح كما واعددت لكل شيء جوابا ملائما بحيث لم أكن افكر في الوقوع في مأزق ما .

جلس برويز ، وهو شاب قصير القامة ، متمرس ، لم يزل في اوائل عهده في العمل لدى الساواك ، وهو يظهر لياقة جيدة في الاداء مما ينتظر له مستقبل باهر في هذا المسلك ! جلس وراء المنضدة وقال لي : ـ انظر خارجا كلما نقرت على المنضدة وحاول ان تشخصه بين راكبي الدراجات الكثيرين !.

يعرف القارىء الكريم ، بأني قد ذكرت لهم بأن كريما قد يأتي من اية

جهة من الجهات المؤدية الى المكان الموعود وقد يأتي بأية واسطة نقل من الوسائط الكثيرة المعروفة ، وهذا كان يجعل من المستحيل عليهم التركيز على جهة واحدة دون غيرها او على واسطة واحدة دون غيرها ، كما ان مراقبة جميع الجهات والوسائط كانت من رابع المستحيلات وتحتاج الى امكانيات هائلة جدا ، وحتى فيما اذا حاولوا اجراء مثل هذه المراقبة الشديدة ، فان تجمعهم بهذا الشكل المفضوح كان كافيا لكي يشعر حتى الاعمى بأن المنطقة تعيش وضعا غير اعتيادي جدا وهي موضوعة تحت المراقبة الدقيقة .

والآن لنلق نظرة على الوضع خارج المقهى ؛ كان شارع خراسان ، وخصوصا القسم الامامي منه الذي يبدأ من الميدان ، شديد الازدحام بالباعة المتجولين الذين يتجمهرون عادة هناك ويبيعون ما يحملون بأيديهم ، هذا اضافة الى محطة الاوتوبيس ، مواقف التاكسيات وما يتسبب عن ذلك من تهالك الناس وازدحامهم للحصول على السيارات بسبب عدم تنظيم مواقف خاصة لهذه السيارات ، كما ان مصادفة الوقت للساعة الثانية عشرة ظهرا حيث يزداد عبور ومرور الاشخاص الذين يرجعون الى منازلهم ، ووجود اماكن الاختفاء الكثيرة كالمقاهي ، المطاعم ، المطاعم السيارة ، مواقف الاوتوبيس ، كاراجات المسافرين ، كل ذلك عوامل مساعدة لاختفاء المأمورين بين صفوف الجمهور دون ان يشك احد بأمرهم بالرغم من ان تعدادهم كان يصل الى الثلاثين شخصا .

كانت احدى السيارات تقوم بأعمال الدورية ، تصعد شمالا لمسافة عدة كيلومترات على طول شارع خراسان ، تدور حول الميدان ، ثم تعود ثانية الى مقرها الاول ثم تقوم السيارتان الاخريان بنفس هذه العملية ، اما الدراجات ، فكل واحدة منها تربض في احد اطراف الشارع في حالة استعداد تام .

كان جوع شديد قد استبد بي ، والشعور بالفوز في اغوائهم يزيد من شهيتي كثيرا ، سحبت الديزي الي ومزجت محتوياتها ببعضها صانعا بذلك ثريدا ممتازا ، وشرعت آكل بنهم ، وكأني لم افش بسر ما !!

وكلما نقر بروز على المنضدة ، رفعت رأسي لاشاهد شخصا يركب دراجة بخارية ، فيتأهبون جميعا وابصارهم شاخصة نحوي ، ثم يرجع كل شيء الى حالته الطبيعية مع هزة من رأسي نافيا ما توقعوه !... وتبقى عيونهم مربوطة الى الشارع في انتظار دراجة اخرى لتتكرر العملية ! وهكذا انقضت دقائق عشر من الوقت ، ويظهر ان وضعي اللااعتيادي قد لفت انظار

الجالسين في المقهى ، وادركت من عيونهم ان استنتاجاتهم لما يدور حقا داخل هذا المقهى تختلف من احدهم الى الآخر ، فالبعض ينظر الي بعيون ملؤها العطف والحنان ، وآخرون استبدت بهم الدهشة فجحظت عيونهم وآخر يحملق في وجهي وعيناه تلمعان وكأنه يلهمني العزيمة وينفخ في روحي القوة

اما صاحب المقهى ، فكان طوال الوقت منهمكا في سحق القند لكنه يختلس الي النظرات السرية بين اللحظة واللحظة ، انتهى ثريدي وشرعت آكل اللحم ، وفجأة امرني احدهم بأن انهض ، ففعلت تاركا الطعام ، ورأيت اثنين منهم يلتهمان اللحم الذي تركته في الماعون ، غادرنا القهوة ، وشعرت بأن سلوكهم معي ينطوي على شيء من الرقة !! واعتذروا لي على مزاحمتي ! في الطعام ، وعرضوا علي ان نسير قليلا في الشارع ، ساعدني اثنان منهم على الصعود الى السيارة التي تحركت بنا شرقا ، كان الوقت يسير بسرعة، ونقترب شيئا فشيئا من الموعد ، بينما يسري حتى نخاعي تيار شديد من الغبطة ! كانوا يشجعونني على تدقيق النظر فيمن حولي ، واعلامهم حالما تقع عيني عليه ، يتبعنا من الخلف احد المأمورين ممتطيا دراجة بخارية ، ما اشبه منظره بمنظر ممثلي السينما ، يغطي رأسه بقبعة خاصة وعينيه بنظارتين سوداوين . هزني الساواكي الصغير ، برويز ، على حين غرة من كتفي قائلا : انظر خلفا ، أليس ذلك هو كريم ؟ وبعد ان نظرت الى الشخص الذي اشار اليه بهدوء ومن غير اكتراث ، قلت : كلا ، كلا هذا ايضا ليس بالشخص المطلوب ! التفت مرتين او ثلاثا ، فلم يزل يتبعنا ، فسألت انا برويز هذه المرة قائلا : من هذا ؟ اخشى ان احدا منهم... يتتبع خطانا!. تقمص الجميع قيافة عابسة ، لئلا ينفضح هزؤهم بما قلت ، فأجاب بيرويز بعصبية واقتضاب : لا

ـ لست أدري ، لا اتصور !

ثم اشار الى رفاقه بحركة من حاجبيه ، فاقتربوا منه ، وهمس شيئا في آذانهم ، فقهقهوا جميعا ... اما انا فلقد تظاهرت بأني لم أفهم ما يجري اصلا ؟!

كان وقت ما قد مضى علي ساعة اللقاء ، وكان يجب اعلام اختتام العملية لكننا مكثنا في المكان لمدة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ دقيقة اخرى ، على أمل ان يكون قد تأخر لسبب من الاسباب ! لكنه لم يظهر قط ! فسألني برويز عن سبب عدم مجيئه ، وبعد ان تفرست في وجهه قليلا متظاهرا بالذهول ، قلت :

ـ حتما انه أتى ، لكنه لما لم يجدني راودته الشكوك وغادر المكان بسرعة .

لم ينبس احد ببنت شفة ، وشعرت ان فرحا شديدا يسري في اعماقهم سرا بسبب عدم حدوث شيء قد كان ينطوي على خطر كبير على حياتهم ! طلب الدكتور جوان باللاسلكي ان يتجمع الجميع في ميدان قزوين ، وبعد تعداد الافراد والتأكد من وجود الجميع اتجهنا شمالا نحو (دروازه قزوين) حيث وصلناها في الساعة الواحدة وتوالى وصول السيارات الواحدة بعد الاخرى ، فترجل البعض منهم وتوجهوا الى اعمالهم ، وبعد مدة قصيرة من التوقف ، تحركنا شمالا ، وحال وصولنا لفردي علي حسيني وسلمت اليه . لم يقترب مني احد وكان هذا مثارا للاستغراب عندي !! سألني حسيني عن زنزانتي ، فأشرت الى الخيمة قائلا بأنني لم ادخل الزنزانة بعد ، ساعدني على الوصول الى الخيمة واستفسر مني فيما اذا كنت قد تغديت ، فأجبته بالنفي ، واوتي لي بالطعام بعد مدة ... لكنني لم أكن قادرا على الاكل من شدة الفرح ، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا اذ سرعان ما تغلب علي الجو الخانق الكئيب الذي يلف السجن والصمت القاتل الذي يسود جميع ارجائه في مثل هذا الوقت ، دفعت الطعام جانبا ، وغرقت في تفكير عميق ... أقبل نحوي احد الحراس ، كان الرفاق قد لقبوه بالعنكبوت ، فألبسني النظارات واقتادني الى غرفة التحقيق . كانت حمى شديدة الوطأة قد راودت رجلي بحيث كان باطنها قد غدا جمرة نار ، الامر الذي ازعجني كثيرا . سألني باقري وعلى وجهه امارات الارهاق الشديد :

ـ تبدو شديد القلق ، ما الخبر ؟ قلت : ـ ان رجلي تؤلمانني بشدة قال : انهض وسر . اقتربت منه وسألته بصوت خافت يبعث على الاسى

ـ هل سيعاودون تعذيبي ؟ قال : اين انت من الضرب بعد ؟ فهم لم يضربوك بعد شيئا . قلت : لماذا ؟ ألم اذكر لهم كل شيء ؟ قال : صحيح ... لكن حتى لا تقدم على مثل هذه الاعمال مرة اخرى ما دمت حيا !! وشرع يتكلم بصوت لا ارادي ، حتى اقترب من سرير كان بالقرب منه وطرح نفسه عليه وسرعان ما غط في نوم عميق ...

اصطدم الفرح الشديد الذي كان قد تملكني جراء نجاح هذه العملية بالشكل الذي خططت له ، بالجو الكئيب الذي يسيطر على جميع مرافق السجن والصمت الثقيل الذي يتحكم في جميع ارجائه وسرت امام عيني كل مظاهر التعذيب وشرعت افكر مرة اخرى باحتمالات التعذيب الجديدة ومجابهة المحققين وساعات التحقيق التي لا تنتهي واسترسلت في الاستسلام

للهواجس بحيث كدت اتفجر بالبكاء (١٣) ، فلما رجعت الى رشدي شعرت وكأن كابوسا ثقيلا من المخاوف والقلق الشديد قد جثا على صدري وانـي على ابواب الاختناق ، فنهضت بسرعة وضربت الحائط برأسي بقوة وجذبت من شعري بشدة لكي اخرج من هذا الوضع النفسي ، ويبدو أن احدهم سمع صوت اصطدام رأسي بالحائط فأقبل علي وهزني من رأسي بقوة قائلا : ماذا دهاك ، هل اصبت بالصداع ؟ لماذا تضرب الحائط برأسك ؟ فأجبته بصوت خافت والكلمات تختنق في حلقي : لا شيء . ولكي اتخلص منه بسرعة قلت له : نعم ، اني اعاني من صداع شديد ، فولى من حيث اتى .

بقيت على هذه الحال مدة من الوقت لا اتذكر مبلغها ، وفجأة برز طهراني ، وبيده قلم وبعض الاوراق الخاصة بالتحقيق ، فأنهضني وقال بلحن يفيض لطفا ورقة ، وهو يتنهد : ـ

ـ حاول ان تمشي ورائي مهما كلف الامر .

تبعته ودخلنا سوية غرفة على اليمين وسحب لي كرسيا واجلسني في الطرف الآخر من المنضدة بينما جلس هو خلفها . ولنتذكر ، ايها القارىء، فهذه الغرفة هي نفسها التي سبق لطهراني ان عذبني فيها بكل وحشية وغلظة ، والآن تمثل في الغرفة ذاتها المشاهد الاخوية التي تنضح لطفـا ومحبة !! وليس بطلا المسرح سوانا نحن الاثنين : طهراني الجلاد القاسي وانا .. الضحية ...

على أي حال ، وضع الاوراق امامي وناولني القلم ثم قال برقة متظاهرا التأثر الشديد : يا حبيبي ... ، اكتب جميع نشاطاتك منذ البداية ... وعندما رآني غير مقبل على الكتابة ، قال بنفس اللحن الاخوي الحنون !! : ها ... ماذا بك ، اداهمك القلق مرة اخرى ؟ قلت : حقا ، انـي اخجل

---

(١٣) ان هذه الحالات النفسية الصعبة التي تنتاب الانسان نتيجة ظروف الاعتقـال والتعذيب ، هي من الاخطار المحدقة بالسجين وقد ينجم عن الاستسلام لها اصابة الانسان **بالانهيار العصبي** والنفسي فيما لو لم يعد الى نفسه والتصدي لها ، فاليأس ، فقـدان الامل ، الضعف ، الشعور بالبؤس والنقص والحقارة تعتبر من مصادر حدوثها لذا يجـب الامتناع عن التوغل في ما من شأنه خلق مثل هذه الحالات حفاظا على صلابة الايمان وقـوة الارادة وتعزيزا للمعنويات امام العدو ، كما ان الافراط في اظهار الضعف اثناء التعذيب والاكثار من التأوه والصراخ ، ضعف المقاومة والايحاء للعدو بأنك ضعيف للغاية ، الالتماس منه ، واظهار الغباء والجهل حتى وان كان مقصودا ، قد يؤدي بالمرء الى الانزلاق والغرق في الخطة المرسومة بحيث يعطي نفس النتائج التي يرجوها العدو . ذلك لان جميع العوامل هناك تعمل ضد المـرء وفي غير صالحه وهو يجابه العدو : المكان ، الاشخاص ، الوضع السائد، وليس اللعب على الحبلين في مثل هذه الحالات المعقدة بتلك السهولة ، لذا لا بد من الاهتمام الشديد بمسألة الاحتفاظ بالوعي والبصيرة النافذة ، والهدوء النفسي والفكري بالرغم من الظروف البالغة الصعوبة التي تحيط بالسجين .

من نفسي لاني اعترفت على رفيقي ! (على فرض ان اعترافي أدى حتما الى القبض على هذا الرفيق واني لذلك اشعر بالاسى له) .

هنا اعتدل في جلسته ، وكأنه كان يتمنى حجة للكلام ، قال بلهجة تنم عن الجد : انظر .. يا حبيبي (....) ، دعني اصارحك بشيء ، نحن لا نحسب افرادا في مثل وضعك خونة للوطن ، ولم يسبق ان اتهمنا ايا من امثالك بهذه التهمة ، نحن نحسبكم اناسا مضحين ومناضلين وتقدميين يعملون مثلنا ! (كما شاهدتنا بأم عينيك) بروح لا تعرف الكلل في سبيل الوطن ، انت تهدف الى خدمة وطنك بصدق دون ان تتوقع جزاء ولا شكورا ، وهكذا نحن !! نعم نحن ايضا ، ألم تشاهد بعينيك اية صعوبات ومشاق نتحمل ونحن بعيدون عن الوالدين والاطفال ؟. غير انه هناك ما يميزنا عن بعضنا ، ويجعلنا نقف قبالة بعضنا البعض كخصمين ، وهو شيء واحد ، خلاف واحد ، انت مثلا ، على رغم قدسية اهدافك، كنت قد سلكت طريق الضلال ، كنت قد غدوت العوبة بيد اناس لا يفكرون في غير منافعهم الشخصية اناس باعوا أنفسهم للاجنبي وعملائه ، وكما ترى فالآن تغير كل شيء ، نحن لسنا عدوين فحسب، بل نستطيع ان نتعارف بروح اخوية ! على آراء بعضنا البعض وطرق تفكيرنا ، ونتعمق في بحث اعقد المسائل السياسية ... فمثلا كنت قد كتبت في مقدمة اوراقك التحقيقية ان لك أما عجوزا واخوين صغيرين لا يملكون سواك راعيا لهم ومعيلا (يلاحظ انتقال طهراني فجأة من موضوع الى موضوع آخر يختلف تماما عن الاول) .. اني اريد ان اعرف ، دعنا عن نفسك ، ما هو ذنب امك العجوز واخويك الصغيرين الذين لا يملكون راعيا واملا في الدنيا وملاذا غيرك ؟ ولماذا يجب ان يكتوي هؤلاء بلظى نار اشعلتها انت ؟ هل فكر اولئك الذين يتباكون على الشعب ولو مرة واحدة بحال عائلتك ؟ (طوال المدة التي كان طهراني مشغولا خلالها بايراد هذه السفاسف ، كنت انا غارقا في التفكير عن نفسي ووجوب المقاومة ونكران الذات وابداء الرجولة ، افكر في المقاومة البطولية التي ابداها رفاقنا الآخرون ، بحيث غدا كل وجودي يغلي حنقا وغضبا على العدو وتمنيت لو تمكنت من خنق طهراني بيدي ، لكنني مع كل ذلك احكمت السيطرة على نفسي ولم اظهر أي رد فعل من هذا القبيل تمشيا مع الخط الذي كنت قد رسمته لنفسي) ... واصل هو الكلام : اجل ... يا (....) المحبوب لا بد للذين يعدوننا جلادين ، سفاكين ، كفرة ، مجرمين ، ان يأتوا يوما الى ساحة الحساب مثلك ! ليفهموا بأننا ليس في وسعنا ان نجلس على طاولة واحدة نتناول جميع القضايا السياسية

بالبحث فحسب ، بل في وسعنا ان نصبح اصدقاء لبعضنا البعض وسمارا جيدين ايضا !! نحن ايضا ، ملتزمون بالسنن والعقائد الوطنية العريقة في وطننا ! نحن اناس دينون ونكن أعمق الحب والاحترام للامام حسين وتتقطع قلوبنا ألما عندما نتذكر المصائب التي لحقت به وببقية الشهداء ! نعم ، هنا توقف الاستاذ طهراني ولم يستطع ان يضيف أية كلمة اخرى الى سلسلة احاديثه ، اذ اختنق صوته وانسابت دمعة حبيسة على خده واجهش بالبكاء !!

حقا ، ليس بالبساطة والهون ، ان يجهش هكذا بالبكاء ، هذا الجلاد الذي سلخ جلد الرفيق الكبير عباس مفتاحي ولم يبق من جسمه الا العظم ، وان يتحول هذا المخلوق الذي كان قبل يومين فقط وحشا لا يقل فظاظة وغلظة عن شمر ذي الجوشن ، الى ناحب على الحسين وآله امامي . لكن من ذا الذي يطيق البقاء صلبا كالصخر امام هذه الصرخات والتأوهات ، ويظل متمسكا بموقفه المبدئي ، فيتحول الى نار حامية تنصب على اجساد هؤلاء العملاء محبي الجاه والمال والفساد ؟ انه ليس غير النصير الفدائي الصادق ، الذي وضع روحه على كفه ، يغلي بالحقد الطبقي المقدس ، النصير الذي غدا كتلة من الحب والوفاء نحو الشعب ، فهو وحده يستطيع ان يقاوم بثبات صنوف التعذيب الوحشي التي يمارسها هؤلاء ، ويخرج من هذا الامتحان العسير عالي الجبين شامخا كالطود ، يبصق في وجوههم الكالحة دون ان يأخذ في أي اعتبار تأوهاتهم وتحسراتهم الكاذبة ودموعهم التمساحية !! .

واذا كان علينا الاقرار بأن اعمال ساواك ومخططاته يخضعان ، الى حد بعيد ، لاسس وقواعد وحسابات ثابتة ومعلومة ، فان اقدام طهراني على تمثيل هذا الدور يرجع ، هو الآخر ، الى تخطيط خاص . فبعد ان رجع بخفي حنين من شارع خراسان ولم يحصل على شيء سوى التعب والارهاق ، بدأت الشكوك تراوده في اعترافاتي ، وهل اني حقا ذكرت (كل الحقائق) — كما توقعوا في أول الامر ؟ — والواقع ، فانه كان عليهم مواصلة التحقيق والتقصي ، فهم لم يحصلوا بعد على رأس الخيط في حقيقة موقفي وسوابقي النضالية حتى يكتشفوا البقية الباقية ، ويستندوا عليها للحصول على كل المعلومات التي يبغونها ، لذلك راودتهم تصورات مفادها ، انه في حالة التهديد بالتعذيب او بسبب الخوف منه ، قد اصر على اعترافاتي السابقة ولا اعطيهم شيئا جديدا حتى لا يصروا على المزيد ، فلم يقصروا معي في التعذيب (بقدر ما تستحقه القضية) ، والآن لا بد من اللجوء الى

CODE NO.	ORDER NO.	ACQUISITIONS DEPARTMENT	L. C. CARD NO.
175	13497 F	COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES 535 West 114th St. New York, N. Y. 10027	

ZARKAR, YUSUF.
MUDHAKKIRAT FIDA'I ASIR. DAMASCUS,
N. PUBL., 1974?

LIST # 28

DEALER		
SULAIMAN		
RECOMMENDED BY	LIST PRICE	DATE ORDERED
	$2.50	4/29/75

RIDER COPY

TITLE NOTED ABOVE HAS BEEN ADDED TO LIBRARY

GC LC42 42-7 48-52 53-7 58 PS

وسائل اخرى من اجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات ، ومن هذه الوسائل التأثير على عواطف واحساسات الاسير ، ولقد حانت الآن اللحظة الانسب لذلك ، لذا فلقد وضعوا السوط (الذي يخلق كل شيء من لا شيء – كما يسميه الساواكيون) جانبا ، وسلكوا سبيل استدرار العطف والولوج في المكامن العاطفية واثارة الحالات النفسية الخاصة ، لذا فان رويتهم هذه لا تخلو من حكمة ، فهم لا يستطيعون تحقيق رغباتهم واهدافهم ، فيما اذا بدأوا التحقيق باستعمال هذه الطريقة دون اللجوء الى التعذيب الجسدي وادخال الرعب والفزع في نفس الاسير ، لذا تبدأ العملية بخلق مستلزمات انهيار معنوياته وتهيئة الجو اللازم لذلك (غرفة التعذيب ، المصطبة ، السوط المعلق على الحائط ، الشتائم ، الهرولة بعد الفلقة الشديدة ، وخز باطن القدم بالاشياء المستدقة) ثم تبدأ الاساليب الاخرى (التي هي في الواقع عوامل مساعدة وامتداد للعملية الرئيسية وتحتل مكانا ثانويا على الاكثر بالنسبة لها) . والواقع ، فان المرء لا يستطيع بيان مدى زيادة تأثير أي منهما على الآخر بدقة ، ذلك لان كلا الاساوبين لهما أصولهما الخاصة المتميزة ، ويجري تنفيذهما وفق تخطيط مسبق ، واذا كنا نرى نماذج من الاسرى تخاذلوا بتأثير العامل الثاني ، فيجب ان ندرك بأن التعذيب المسبق قد مهد الطريق لذلك ، او نرى اشخاصا يعترفون تحت تأثير التعذيب ، فلا يجب اهمال تأثير الوسائل الاخرى التي رافقت التعذيب وهي ما تطرقنا اليها آنفا .

واذا كانت ساواك تلجأ دوما الى وسائل الخداع والمناورات ، فان ذلك يعود الى ان الجلادين خرجوا من المجابهة مع بعض المناضلين السذج والمفتقرين الى الخبرة الجيدة ، باستنتاج مفاده ان بوسع هذه الوسائل ان تكون عاملا ذا تأثير بالغ لصالحهم خلال التحقيق ، وفي الواقع فان الشخص الذي لم يعش الاحداث ولم يشارك الشعب سراءه وضراءه ولم يتصلب عوده في بوتقة النضال ولم يتعلم من الشعب الدروس ، هذا الشخص سرعان ما يقع فريسة هذه المناورات والشراك الخبيثة ، وهنا تحضرني مقولة مشهورة لاحد الرفاق تقول « انه في مثل هذه الظروف الصعبة ، على الفرد الشيوعي ان يكون مثال الانسان الذي يتقد وعيا وذكاء وابداعا ، الانسان الحاذق في جميع انواع الفنون ! » . وترينا التجربة بأن كل من اختلط اكثر خلال حياته ، بيوميات طبقات ومراتب المجتمع المختلفة وعايش اوضاعهم ودرس من خلالها جميع خصائصهم ومميزاتهم ، ثم استنتج الدروس القيمة منهم ، بل واشترك بشكل مباشر في وقائع

حياتهم اليومية ، مشاجراتهم ، دعاويهم ، هرجهم ومرجهم ، معاملاتهم في حقول البيع والشراء ، كان اكثر هدوءا وقدرة على التفكير والتوجيه الصائب ، وتصرف بكل صواب وبراعة عند الازمات والتقلبات .

لنرجع الى غرفة التحقيق : بعد هذه المناورات ، وضع أمامي ورقة الاستجواب وقلما ، وخاطبني بصوت متهدج غضبا ولهجة تنم عن الخلق الشديد : هاك .. خذ واكتب طبيعة نشاطاتك والاسباب التي دفعتك الى تعاطي هذه الاعمال ، تذكر ان ذكر الجزئيات له اهميته الخاصة بالنسبة لنا ، قال هذا ، وغادر الى الغرفة المجاورة ليشرح لزملائه طريقته الرائعة في التعامل معي !

استغرقت عملية تدوين خلاصة ما كنت قد كتبته لهم سابقا في ورقة اخرى (١٤) ساعة واحدة كان خلالها ، يدخل طهراني وغيره من المحققين علي لعدة مرات ويقفون على رأسي أو يسحبون الاوراق التي كتبتها من تحت يدي ويدققون النظر في ما دونته فيها ويوجهون الي استفسارات من قبيل : هنا ، لماذا لم تشر الى فلان ...؟ لماذا لم تذكر التفاصيل بدقة ؟، وغيرها سعيا لخلق حالة من الارتياب والتوتر النفسي لدي حتى أتخلى عن فكرة ذكر أي شيء ملفق واقنع نفسي بأن هؤلاء شديدو الذكاء ، ويقرأون المحي ، ويحللون المواضيع بدقة ولا يفوتهم أي شيء لذا فمن الاصلح ان أتخلى عن اضفاء الحقائق والتلفيق ، لكنني على العكس تماما من استنتاجات هؤلاء ، كنت اقول لنفسي : ماذا ادراهم بكذب وصدق ما اكتب لهم ، فهم

---

(١٤) ادركت في السجن فيما بعد وخصوصا بعد اجراء المحاكمة ومشاهدة نماذج كثيرة من الاسرى ، بأن التفصيل في البيان اثناء التحقيق سواء أكان ذلك شفاها او تحريرا ، واخيرا الاعتراف على الاشياء والاشخاص الكثيرين ، بخلاف ادعاء العدو لا يتمخض عن اطلاق سراح الشخص فقط بل ان جرمه يزداد طرديا مع ازدياد حجم الاضبارة والقضية ، وكم يشبه وضع مثل هذا الشخص وضع ذلك الذي يقع في مستنقع وكلما جاهد اكثر في سبيل الخلاص كلما زاد نزوله الى الاسفل ، او وضع شخص غرزت ابرة تحت ذقنه وكلما قال (بلى) زاد ولوج الابرة في جسمه ... وهناك مثال يتناقله السجناء وهي « ان الاضبارة ـ اضبارة القضية ـ يجب ان تكون من الخفة في الوزن بحيث يسهل طيرانها مع الريح كلما هب ! كما ان ما يكتبه السجين يجب ان يخضع للدقة الكاملة والتقييم الصحيح كلمة بكلمة مع حفظها على الغيب حتى يسهل تكرارها بسهولة عند اعادة التحقيق وتجنب التناقض في الاقوال . فمثلا عندما كنت اذكر انا المواعيد المصطنعة ، كان عضدي يكتب اوقات واماكن هذه المواعيد بدقة ، ذكرت ثلاثة مواعيد بأوقاتها ، لكنني عندما كررتها مع نفسي وجدت فجأة بأني قد نسيت الاول ، لكن حادثا عرضيا ساعدني وهو المناداة على عضدي وخروجه بدون ان يأخذ الاوراق معه ، فالتقطت الورقة التي كتب فيها المواعيد وقرأت الساعات التي ذكرتها وحفظتها عن ظهرت قلب ، ولو فرضنا اني نسيتها ، لكان ذلك من شأنه افساد الخطة بأجمعها واستئناف التحقيق والتعذيب من جديد (ان ذكر المسائل والمواعيد الواقعية القديمة تساعدنا الى حد بعيد في عدم نسيان المواعيد المصطنعة) .

لا يعلمون بالعيب ! ولقد تعمقت في التلفيق معهم بحيث غدت التلفيقات والمواعيد المصطنعة تتحول رويدا رويدا الى حقائق عندي بالذات !

بعد انتهاء الاستجواب ، سلمت الاوراق الى أول مأمور مر من امامي، وبت انتظر ، وبعد مدة قدم احدهم وامرني بأن اتبعه فقادني الى خيمة من الخيام المنصوبة في فناء السجن ، ولم يمض دقائق ، حتى أتوا واخذوا رفيقا آخر كان في الخيمة التي كنت انا فيها ، كانت الخيم بأكملها تعج بالسجناء ، واخذ ضجيج السجناء ومجيء الحراس ورواحهم ، يكسر رويدا رويدا جدار الصمت الذي يلف كافة ارجاء السجن ، ولم يمض وقت طويل حتى قدموا الي ثانية وامروني بأن اتبعهم ، ففعلت وانا اعرج وسار بي الدليل باتجاه القسم الثاني حيث مبنى الزنزانات ... وثمة شخص كنت قد صادفته ذات مرة في احدى المعامل بلباس العمال ، وحصل هناك بيننا نوع من التعارف ، كان منهمكا الان ، وهو في لباس حراس السجن ، بتفتيش امتعة السجناء وحاجياتهم الواحد بعد الآخر ، ولما وصلني الدور ، تفرس في وجهي قليلا ثم خاطبني بلهجة تنم عن الاستغراب الشديد :

ـ هه ... وماذا تعمل انت هنا ؟ انت الذي كنت تعمل لدى الاسطة عباس ، قلت : الانسان معرض لكل شيء ، ...

توقف برهة ، لكنه سرعان ما استعاد استمراريته على عمله ، وكأنه انتبه فجأة الى الخطأ الذي ارتكبه بتحدثه مع احد السجناء وهو امر محظور في السجن . وشرع يحل ربطات الاحذية ، ويفتش جيوب السراويل وثناياها، وطيات الياخات، وبطون الجواريب والاحذية ويتسلم الاشياء الفلزية كالنقود والدكم (الازرار) ، ويسجل اسماءنا في السجل الخاص ويقسمنا الى مجموعات حسب الشواغر الموجودة في الزنزانات . ارسلني انا الى الزنزانة رقم (١) التي هي احدى الزنزانات القديمة في (اوين) اذ لم تكن الزنزانات الحديثة قد بنيت بعد . كان ثلاثة من السجناء يسكنون هذه الزنزانة ، ولقد كان استقبالهم لي مزيجا من الفرح الطاغي والخيبة، ومصدر الفرح هو انني سجين جديد بموجب قضية جديدة ، كما وسأصبح زميلا جديدا لهم وفي كل جديد ، لذة ، ومن جهة اخرى ، ساءهم ان يروني مثلهم أسيرا في زاوية من زوايا الزنزانة ...

اما انا فلقد سرني كثيرا نقلي الى الزنزانة ، حيث هؤلاء الرفاق وما ينطوي وجود هؤلاء على تخليصي من حالة الوحدة والانعزال على الاقل . هنا يمكن التحدث مع الآخرين ، التمشي ، التباحث، وقضاء الوقت بقلق

اقل .. كان المكان بالغ الضيق ولا يتسع لاربعة اشخاص ، لذلك اضطررنا الى فرش الاغطية حتى الباب وعند التمشي ، كان يجب علينا التمشي مثنى ، لم يكن في وسعي السير الا بعد يومين من شدة الالم ، لذلك كنت أجلس في احدى زوايا الزنزانة واستمتع برؤية الرفاق الثلاثة الآخرين وهم يزرعون الغرفة جيئة وذهابا ... كنا نعرف الوقت ، بحركة الشمس ، فمثلا كان الرفاق قد وضعوا عدة اشارات على الحائط تدل كل واحدة منها على ساعة معينة من النهار . هذا بالرغم من ان اشعة الشمس لم تكن تقع سوى على القسم العلوي من احدى حيطان الغرفة فقط . كان صمت طاغ يسود كل ارجاء السجن ولم يكن يسمح للسجناء بالكلام مع بعضهم ، لذا كنا نتكلم مع بعضنا همسا او بالاشارات ... اما الخروج من الغرفة لقضاء حاجة ما ، فلقد كان مليئا بالتعقيد ، يجب نقر الباب اولا ، ثم اعطاء رقم الغرفة الى الحارس ، لكنهم منعوا اخيرا حتى ذكر رقم الغرفة لئلا يدرك الرفاق اماكن بعضهم البعض . عند حلول ساعة توزيع الطعام ، كانت العادة الجارية هي ان يدس الحارس برأسه من البوابة الصغيرة الى الداخل ويحسب عدد نزلاء الزنزانة ، ثم يذهب غالقا هذا الباب الحديدي بقوة ليكرر نفس العملية مع الرفاق الآخرين في الزنزانات الاخرى ... في الايام القليلة الاولى كان يسمح لنا بالخروج يوميا لاثنتين او ثلاث من المرات قبل الغداء او بعده لقضاء حاجة ما وكنا في بعض الاحيان نصطدم بعناد الحارس او تضجره ، عند الرغبة في الاتصال بالآخرين والتحدث معهم ، كنا نستطيع الخروج في غير الاوقات المحددة لخروجنا ، بحجة الذهاب الى المرافق والتحدث مع الافراد الموجودين هناك ، لكن المسؤولين انتبهوا اخيرا الى ذلك ، وتقرر عدم السماح لاي شخص بالذهاب الى المرافق ما دام هناك شخص آخر ، لم يكن في الغرف أي أثر للمواد الخشبية والمعدنية والصلبة على العموم ، ولم نكن نعرف الوان الصحون الا اثناء تناول الطعام فيها ، اما الملاعق فلا وجود لها مطلقا ، وكانت محتويات الزنزانة عبارة عن عدد من الوسائد والبطانيات وقطع من الملابس تتخذ كمخدات من قبلنا لعدم وجود المخدات أصلا وفتات من الخبز ، وكانوا قد سلبوا من احد الرفاق نظاراته الطبية بالرغم من حاجته الشديدة اليها . ولا بد أن أقر ان الطعام الذي كان يقدم الينا هو من نفس الطعام المقدم الى الحراس والجنود مع فارق واحد هو ان الجنود كانوا ينهبون ما فيه من اللحم قبل تقديمه الينا ولما كان الجنود هم الذين يقسمون الطعام ، فان ما كان يقدم الينا عبارة عن ما تبقى من بين ايديهم ليس الا ، وحتى هذه البقايا لم تكن تكفي لاشباع

بطن عصفور صغير ... في الايام الاوائل ، كنا نتناول الخبز المصنوع بالمكائن (الصحون) الحاوي على كمية كبيرة من الخميرة ، ثم وجدنا ان من الافضل ان نترك أكل الخميرة ، اذ انها تسبب لنا سوءا في الهضم ونصاب بآلام البطن والحموضة والقبوخية ، لقلة الحركة وعدم وجود الاغذية المقوية والحاوية على الفيتامينات والتوتر النفسي الناشيء عن ظروف السجن القاسية والتعرض الى التعذيب والاستنطاق ... والواقع ، فاننا كنا نفكر في بعض الاحيان بأن الامتناع عن تناول الخميرة مع الخبز هو الآخر تصرف برجوازي صغير !

لم ننم الليلة الاولى التي حللت فيها انا ضيفا على الرفاق الثلاثة الا في ساعة متأخرة قضينا جل الوقت نتحدث ونتناقش ، وكانت هذه ليلتي الاولى التي اقضيها في زنزانة .

اليوم الرابع (١٣ شهريور – سبتمبر)

اليوم ، يجب الذهاب معهم الى اللقاء الثاني مع الرفيق كريم (حسبما خططت له أنا) ، انتابني توتر عصبي شديد ، وقلق بالغ يزداد شدة باقترابنا من الظهر ، وكان قلبي يخفق مع كل صوت يأتي من الخارج . ومع كل نقرة على الباب كنت اتوقع ان يدس احدهم رأسه الى الداخل ويدعوني الى الخارج ... واخيرا حدث ما كنت اخشاه ، فلقد فتح باب زنزانتنا ، ودخل منها حارس طويل القامة ، ضعيف البنية ، يدعى احمد وسأل عني ، فأجبته بأني انا من يقصده ، فطلب الي التهيؤ بكل سرعة ومرافقته الى الخارج ، ساعدني زملائي على النهوض بينما مسكني هو من ابطي واعانني على السير خارجا وقفل الباب خلفه ، مشينا قليلا ونزلنا من السلالم المؤدية الى الاسفل ولم يكن قد حمل معه شيئا يعصب بها عيني لذا قال انكس رأسك وانظر امام قدميك فقط ، اتجهنا جنوبا ، مررنا بالباب الحديدي ودخلنا القسم الاول من البناية ، وشاهدت مجموعة من السيارات واقفة وراء بعضها ومحركاتها تشتغل وهي على أهبة الاستعداد للتحرك حالا ، وحالما ادركني المأمورون تقدموا نحوي واقتادوني الى داخل احدى السيارات ، فتحركت بنا . سألني خسرو ونحن في داخل السيارة عن قيافة الشخص المنتظر ؟ هل انه بدين ورهيب ؟ هل يحمل سلاحا ام لا ؟ هل انه بارع ومتمرس ؟ واعاد تكرار السؤال الاخير لعدة مرات بينما كان زملاؤه يصغون الى اسئلته بانتباه ، ولقد اعدت على مسمعه المشخصات التي كنت

قد ذكرتها عنه سابقا ، واكدت على براعته وتمرسه الفائقين . كان هناك بينهم عدد من الوجوه الجديدة ، بينما تخلف الدكتور جوان هذه المرة في القاعدة ! منهمكا في أعمال مشابهة اخرى طبعا ، اما هذه العملية فيقودها المدعو خسرو خان ، الذي ذكرت اسمه في مكان آخر ، رجل في الخامسة والثلاثين من العمر ، طويل القامة رفيع القد ، اسود الشعر لماعه .

وصلنا المكان الموعود ، وهو موقع يقع في شارع خراسان ، وخلافا لما جرى في المرة السابقة ، فانهم لم يتجمعوا في مكان واحد ليجري فيه توزيع الادوار والواجبات ، بل ان التعليمات صدرت اليهم من داخل السيارة وبلغت الى الافراد الجدد المشتركين في العملية عن طريق اللاسلكي . اما الباقون فكانوا يعلمون جيدا ما عليهم ان يعملوا ، وقد خبروا العمل الذي نحن بصدده من التجربة السابقة . عند حاول الساعة المعينة للقاء انزلت بالقرب من المكان المعين حتى اتجه اليه ، ويبدو ان عدم استطاعتي على السير لم يكن ذا اهمية بالنسبة لهم اذ ان الضرورة تقضي ان اصل الى المكان الموعود سيرا على قدمي مهما كلف ذلك من صعوبة لي . بدأت السير من بداية شارع خراسان يمينا وبمحاذاة ساقية الماء واتجهت شمالا ، وتسير خلفي المفرزة التي ترافقني على الشكل التالي : احدى السيارات تتحرك امامي وعلى بعد خمسين مترا مني ، وسيارة على نفس المسافة مني من الخلف ، وكانت هناك عدة سيارات اخرى اوقفت في نقاط مختلفة من المنطقة ، وثمة شخصان يتحركان بنفس اتجاهي احدهما على بعد خمسة عشر مترا امامي والثاني على بعد نفس المسافة خلفي ، وكان هذا الترتيب ملفتا للنظر جدا خصوصا اذا نظر اليه من الجهة المقابلة من الشارع ... اما خسرو خان نفسه فكان جالسا داخل سيارة (آريا) زرقاء اللون يراقب المنطقة بدقة وتركيز . لم أصل برج شاه بسفد الا بعد ما يقارب العشرين دقيقة ، تقدم خسرو بسيارته نحوي وقرأت من وجهه المتجهم كم كان حانقا علي ، وقبل ان يقول شيئا سبقته قائلا : ـ حسنا ، ماذا علي ان افعل الآن ؟ حملق في وجهي قليلا ثم قال : يا اخا العاهرة ، ... نويت ان اقول شيئا ، فقاطعني صارخا : اخرس يا ابن العاهرة ، اعبر الى الطرف الآخر من الشارع، وتوجه من هناك نحو الغرب، افهمت يا ابن العاهرة ؟

عبرت الى الطرف المقابل من الشارع ومن هناك سرت نحو الغرب كما امرني ، وعادة ما يكون القسم الشمالي من شارع خراسان ، أي ما يقع منه شمال الميدان ، أقل ازدحاما من اقسامه الاخرى ، اما القسم الواقع شمال مسكراباد فانه عديم الازدحام ، بل يخلو من المارة تقريبا في كثير من

الاحيان وبالامكان مشاهدة جميع الاماكن المحيطة بالمنطقة بوضوح ، وهذا مما يوفر امكانية جيدة للفرار . ولقد سنحت لي مثلا فرصة جيدة لذلك عندما كنت اسير في القسم الشمالي من الشارع وخصوصا عند الباب الثاني من مقبرة مسكر اباد فيما لو كانت قدماي سالمتين اذ حينئذ لم يكن اسهل من القفز الى داخل المقبرة واغلاق الباب خلفي ثم التواري عن الانظار .

وهكذا واصلت السير الى ان اقتربت من ميدان خراسان ، وعند ذاك ناداني خسرو خان ملوحا بيديه بانفعال ان اذهب اليه فورا ومن فمه تنهال الشتائم ، كانت قيافته تدل على الغضب الشديد ، صعدت الى السيارة وسلكنا الدرب عائدين .

كم هو مفرح حقا ان ترى العدو يجر وراءه اذيال الخيبة والخذلان ، ان تستنفر ٢٤ — ٢٥ من مغاوير السواك للقبض على شخص واحد ويمضوا ساعتين كاملتين من الوقت في حالة هلع وارتباك وخوف شديد وتوتر نفسي قاتل دون ان يحصلوا على نتيجة ايجابية ، ثم يرجعوا ، في خاتمة المطاف، بخفي حنين ومن حيث اتوا ! كنت أنا ، في هذه المرة ، من يرقص قلبه طربا، نعم لقد نسيت نفسي تماما من فرط الابتهاج والشعور بالانتصار ... هكذا كنت أنا ، اما افراد العدو فكأن على رؤوسهم الطير ، وتغطي وجوههم سحابة داكنة من الحزن المشوب بالغضب ، كنت اخاطبهم في نفسي : لماذا لا تقفزون الان من اماكنكم طربا وجذلا ، كما فعلتم عندما قبضتم علي ! لماذا لا تصرخون هذه المرة ان « اسرنا نصيرا » ؟ ، لماذا لا ترتفع قهقهاتكم عاليا هذه المرة ايها الجبناء الذين لم تعرفوا للراحة حتى ولا لدقيقة منذ ان وطأت اقدامكم المكان الذي تسمونه « منطقة العمليات » خوفا من مجابهة احتمالية مع احد الانصار ؟

يا رفاقي ! اليكم اوجه كلامي ، انتم لا تدرون كم هو مفرح وعظيم ان ترى هؤلاء الخونة في حالات التخاذل هذه !...

سارت بنا السيارة ، ولم يكن احدهم ينطق حرفا واحدا ، ولما وصلنا احدى الساحات ترجل خسرو خان من سيارتنا ودخل سيارة اخرى، وجلس شخص آخر وراء المقود ، وحال مغادرة « قائد العملية » لسيارتنا ، انفتحت اسارير المأمورين وطار من وجوههم العبوس وبدأوا يبادلون بعضهم البعض الحديث ويضحكون ، فاستنتجت من ذلك ، ان كل تلك المظاهر المهمومة لم تكن سوى نوع من التمثيل مجاملة ! لقائد العملية الفاشل ، ليعبروا بذلك له عن مشاركتهم اياه في شعوره بالخيبة نتيجة الاخفاق في

« العملية » ، واني على يقين ، بأن كل واحد منهم يتمنى من الاعماق ان ينتهي كل شيء بسلام دون ان يروا الشخص المطلوب مطلقا !. فتح احدهم باب الحديث معي وسألني بكل جدية : قل لي أي منصب كانوا قد وعدوك به فيما اذا استلموا السلطة ، فأنت لا تحمل شهادة الاعدادية ولست طبيبا ولا مهندسا ، وقال آخر ساخرا : حتما كانوا ينوون ان يعينوه بوابا لسفارة الصين في اوستراليا ، واردف آخر بلهجة تفيض حنانا ! : ألم تشعر بالحيف لشبابك فأوصلت نفسك الى هذا المصير التعس ، قل لي ما فائدة هذه الاعمال ؟ ، هل يمكن مجابهة كل هذه القوات الهائلة من الشرطة والجيش التي تحرس الدولة بيقظة ، وقهرها ؟، وقال آخر منهم : كان بوسعك ان تصبح مهربا ، فهناك هذا العدد الهائل من المهربين الذين يعملون بنشاط في هذا البلد ، ويفوق بعضهم رئيس الوزراء أبهة وترفا ، وانبرى رابع قائلا : لا يا سيدي ، ان حياة المهرب في خطر دوما ، فهو ان قبض عليه فان مصيره الموت رميا بالرصاص . فأجابه الثاني : كفاك هذيانا ، أليس من الافضل له ان يصبح مهربا محترفا فيجمع مبلغا محترما من المال خلال صفقتين او اكثر ، ثم يترك العمل ليعيش حياة هانئة وسعيدة ؟ اما ثالثهم فقال : كلا من الافضل له ان يسير على دربه مطرق الرأس كالناس الآخرين ولا يتدخل فيما لا يعنيه ، ثم التفت نحوي قائلا :

ـ يا بني ، ألم تكن تعمل في السكك ؟

ـ نعم .

ـ كانوا يعطونك اجرا شهريا يبلغ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ تومان ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، في هذه الحدود .

ـ حسنا ، ما الذي كنت تبغيه ؟ انا شخصيا اعرف اناسا يعيشون في هذا البلد لا يحصلون على غير الخبز والماء ولا يحركون ساكنا ، وهم يعرفون انه ليس من حقهم التدخل فيما لا يعنيهم، هكذا جرت الامور منذ الازل ...

كنا قد وصلنا محل مرطبات اكبر مشدي ، وبناء على اقتراح احدهم اوقفت السيارة ، واشتروا بعض الدوندرمة ، ثم واصلنا السير ، ولدى وصولنا مشارف سجن قزل قلعة احنوا رأسي دفعا الى الاسفل حتى لا أرى ما حولي ، ولما وصلنا السجن ، ترجلنا من السيارة واقتادني احدهم الى مكتب ساقي (احد مسؤولي السجن) واوقفوني مدة من الزمن في الممر الواقع امام غرفته بينما دلفوا هم داخلا ... ولقد سمعت اصوات السياط وهي تتوالى على شخص في الغرفة المجاورة وهو يطلق صرخة مع كل ضربة سوط . خرج احد المأمورين من غرفة ساقي دخل غرفة اخرى ، فتح

بابها جيدا لكي أرى جيدا المسطبة الخالية ، الحبل، السوط ، وغيرها من وسائل التعذيب الموجودة فيها ، التفت يسارا ، فرأيت الشخص الذي كان مع المفرزة في العملية الاولى وهو يحمل رشاشة ملفوفا بقطعة قماش واقفا بجانبي . خرج خسرو خان فجأة من الغرفة وتوجه الي قائلا :

ـ يا ابن العاهرة ، يا اخ العاهرة ، أهكذا تسخر بنا ؟ وصفعني على وجهي بقوة ، فتظاهرت بالتأثر الشديد بالظلم واطرقت رأسي ... وهجم علي فجأة جميع رجال الساواك الموجودين هناك وتوالت الصفعات والركلات واللكمات على وجهي وظهري وجميع اجزاء جسمي ، بينما تنطق افواههم بأقذع السباب والشتائم : اذن هكذا ؟ ها ؟ اذن أتى زميلك المجرم الى الموعد لكنك غافلتنا ولم ترنا اياه ، لماذا ؟ تراه وتطرق برأسك الى الاسفل ايها الكلب اللعين ؟ وهكذا ذرعت واياهم الممر عدة مرات مساقا بركلاتهم وصفعاتهم ولكماتهم ، يا الهي ماذا دهاهم ، هل جن جنونهم ؟ لكنني مع كل ذلك كنت اشعر بالقوة والايمان يغمران قلبي ، وتوحي لي هذه الضربات الشديدة بأنهم لم يعودوا يشكون فيما قلته لهم واني حقا قد هديتهم الى المكان المقرر للقاء بيني وبين رفيقي ، لذلك اتتني فكرة ما ، وهي الاصرار على اني مظلوم وانه لا مدعاة لكل هذه المعاملة القاسية ما دمت قد اعترفت بكل شيء لهم ، فقلت بصوت عال مختنق (مجهشا بالبكاء) : ـ

ـ من الذي رأيته ولم أدلكم عليه ؟ هل كان من الممكن النفاق على احد كذبا ؟ فلقد تفرست في جميع الوجوه ودققت النظر في جميع الدراجات البخارية لكن احدا منهم لم يكن بكريم ، فما ذنبي انا ؟.

صفعني احد المأمورين بقوة على وجهي وهو يصرخ :

ـ اقطع لسانك ، اخرس ، يا ابن الكلب ، اذا كيف وعدك بالمجيء ولم يأت ؟ أيعقل ذلك ، ثم شرع يهددني بمختلف انواع التعذيب ، وكرر على مسمعي عدة مرات : تريث ، فوالله لادخلن اغاظ عصا في دبرك . ثم تركني لوحدي وولى ، ولما انتهت هذه المراسيم! ، تقدم نحوي احدهم ، من غير المشتركين في هذا الهجوم الغادر علي، ولما رآني في اضطراب وحزن شديدين، أراد ان يأخذ من خاطري ! فقال : قل لي بالله عليك أحقا رأيته ولم تدل رجالنا عليه ؟ وسواء لم يأت المذكور او أتى دون ان تراه انت ، فالامر لم يعد متعلقا بك ، وان طلبوا اليك تعليل عدم مجيئه ، فلا تخف ووضح لهم كل شيء ! وزاد أقوال هذا الساواكي الساذج من اطمئناني حيث تأكد لدي بشكل قاطع بأن لا شكوك تساورهم بعد حول صحة اقوالي ، فأرتاح فؤادي، وطلبت منه ان يلتمس من زملائه للاقلاع عن مواصلة تعذيبي وان يبين لهم

بأنه لا مبرر في ان اكذب عليهم بعد ان كشفت لهم كل الحقائق ومنها مسألة الموعد .

على أي حال فشلت هذه العملية ايضا في ادخال الرعب والهلع الى قلبي ، وبقيت واقفا في مكاني بلا حراك لمدة اخرى من الزمن ، ولم يزل باب الغرفة المقابلة مفتوحا ، وكان عدد من الجنود الاقوياء البنية العابسين يراقبونني وهم يعانقون رشاشاتهم ، ومع انهم كانوا يحاولون اظهار عدم الاكتراث بهذه المشاهد ، لكنني استنتجت من حركاتهم وسحناتهم بأنهم يكنون نوعا من الشعور تجاهي وانهم ينظرون الى تصرفاتي ووضعي بنوع من الفضول وكنت اقرأ من وجوههم بأن مواقفهم تتفاوت بين حكم لصالحي وحكم ضدي من خلال سلوك الساواكيين معي ...

ان الجندي الذي يساق الى الخدمة كارها وعن عدم رضا منه ، وتتسبب خدمة سنتين في الجيش في تشريد عائلته ، او على الاقل ، تخلفه بالذات في مضمار الكسب وضمان معيشة عائلته ، وقضاء حياة الجندية القاسية تحت سيطرة حفنة من ذوي الرتب والامراء والمراتب الثرثارين الذين يتعاملون معه بالسباب والقسوة واعمال السخرة ، ان هذا الجندي، لا يمكن ان يكن أي حب او احترام نحو السلطة واجهزتها ، وان يكن قد سكت عن الحق ، فان الهلع من بطش السلطة والرعب من القوة الغاشمة لاجهزتها هما اللذان قد أخرساه ، ومن خلال هذا التحليل نتوصل الى السبب الكامن وراء تأثر الحراس والجنود بسلوك السجناء وتصرفاتهم ، فمثلا عندما يعكف هذا الجندي بأمور الحراسة في سجن سياسي مثل سجن قزل قلعة فانه بالرغم من قصر مدة مهمته هناك ، وحملات الدعاية القوية التي تشنها اجهزة السلطة ضد المناضلين السجناء ، وتعريفهم بأنهم لصوص وقتلة وجناة تعاقبهم العدالة وبالرغم من اعمال غسل الدماغ المستمرة والتربية العسكرية الفاشستية وتلقين الجندي بأن لا يفكر في غير واجبه العسكري ، يظل متسائلا ما هو السبب الحقيقي وراء اعتقال هؤلاء الشبان ، وكثيرا ما يعبر هؤلاء عن فضولهم وتنهال اسئلتهم على السجناء عند النقل من والى السجن او شراء الحاجيات لهم او غير ذلك عن السبب الكامن وراء تحملهم كل هذا العذاب ، كما ان وقائع حياته المادية ومئات الصور التي يشاهدها يوميا والتي لا تعكس غير فساد النظام وطغيانه ، تدفعه الى ان يشعر بالعطف نحو هؤلاء الشبان الطيبين ، وعندما يرى بأم عينيه كيف ان هؤلاء يرفعون لواء التحدي والكفاح ضد السلطة ولا ترعبهم جميع اساليبه واجهزته الفاشستية ، فانه لا يملك سوى ان يشعر بالتقرب

اليهم وتفند لديه جميع ادعاءات السلطة عن كون هؤلاء قتلة ولصوصا ... اجل انه لا يشعر بغير الفخر عندما يرى هؤلاء الناس الذين تقيد ايديهم وارجلهم السلاسل ، يسخرون امام ناظريه من مأموري السلوك ومراتب الجيش وجميع الرؤساء المنفورين في السجن ويحقرونهم . وهكذا فان مبدأ مواصلة النضال في ظروف السجن والاسر ، وكسب الانصار والمؤيدين للحركة الوطنية يقتضي عدم سلوك ما ينطوي على الضعف والتخاذل امام العدو حتى يصبح المناضل الاسير قدوة في التحدي والمقاومة لدى جميع ابناء الشعب ، أقول ذلك ، وانا رأيت بأم عيني كيف كان الجنود ينظرون الي بحقد وشزر وانا واقف بذل في ممر من ممرات سجن قزل قلعة . فلم يكونوا يدرون بأني انما انفذ مخططا مرسوما ليس الا . لقد كانت نظراتهم القاسية كالسهام تخترق قلبي ، وانا لا استطيع ان اقول شيئا ينيرهم ، لقد كانوا يتصورون بأني قد خنت رفاقي وتخاذلت امام العدو !

غادرنا سجن قزل قلعة وتوجهنا نحو معتقل « اوين » ، وعندما وصلنا الاخير وترجلنا من السيارة التي اقلتنا سلمت الى احد العرفاء وأمر بأن يقتادني الى زنزانتي السابقة ، ويظهر بأن الكيفية قد ابلغت من قزل قلعة الى مسؤولي المعتقل لذا لم تبق ثمة حاجة لاعادة التحقيق معي مرة ثانية .

كان الرفاق ينتظرونني بفارغ الصبر ، وعند دخولي ظلوا ينظرون الي دون ان يسألوني شيئا وبقيت ابصارهم شاخصة الي للحظات تستفسر « أأنني اسد ام ثعلب ؟ » ، لم اقل شيئا لكني محياي كان يدل على انني أسد فلم اتمالك نفسي من هذا الصمت العجيب الذي يلف الزنزانة وقهقهت عاليا ، وتعالت ضحكاتهم وامتزجت ببعضها بشكل لاشعوري وتعانقنا ورقصنا بشكل عفوي لدقائق ... ويبدو ان كل هذه الضحكات والرقصات لم تعط الجواب الشافي لتساؤلات الرفاق ، فانبرى احدهم قائلا : يكفينا رقصا وضحكا ، قل لنا أيها الرفيق العزيز بصريح العبارة ماذا جرى لك ، وماذا عملت ، وماذا كانت النتيجة ؟ قلت مبتسما : لا شيء ... هزم الغريم .

ويبدو ان احد الرفاق ، وهو شخص لم يتمرس بعد في النضال السري ولم يخبر بعد مسالكه ودروبه واساليبه ، يبدو انه لم يستطع اقناع نفسه بهذه العبارة ولم يتأكد حقيقة الامر وفيما اذا تسببت في الايقاع بناس آخرين في براثن العدو ، فظل يطلب مني توضيحا اكثر ... فطمأنته بطريقة ما ، ومع اني اعتبر الآن ذلك العمل ، أي البوح للغير بما عملته وانا لا اعلم بحقيقتهم وارتباطاتهم ، نوعا من السذاجة والتسيب ، فاني شرعت

بعد ذلك بالتكلم بصراحة لغير الساواكيين الرسميين ، خصوصا بعد ان نجحت الخطة التي اشير اليها آنفا وطمئنت الى عدم وجود خطر يهددني من قبل الساواكيين ينطوي على الالحاح علي للحصول على المزيد من المعلومات ، ولقد ارتكبت في هذا المضمار خطأ عدم التقيد بأصول العمل السري – اخطاء جسيمة ومحفوفة بالخطر بسبب الافراط في التفاؤل ، وكان من شأن هذه الاخطاء ان تكلفني الكثير في حالة وجود اناس ضعاف النفس (الذين يفتحون قلوبهم للساواكيين تحت تأثير شتى الاساليب المستعملة من قبلهم) ، فمثلا تولدت لدي ثقة مبكرة لا مبرر لها بنزلاء الزنزانة التي كنت فيها ، وكنت كثيرا ما ادلي لهم بمعلومات عن اتجاهي وكيفية تفكيري ، عند تناول القضايا العامة موغلا بذلك في السذاجة والمخاطرة ، اذ كان من المحتمل ان تنتقل هذه الكلمات بطريقة او بأخرى الى الساواك ، لذلك فان بعض المعلومات التي ادليت بها الى احد الزملاء ، وهو شخص نشط مفعم بالحيوية ، دائم التحرك ، حول الاحتيال على الساواكيين وتضليلهم ، غدا فيما بعد ، مبعث قلق لي خصوصا بعد ان نضج ادراكي السياسي ووعيت القضايا بوضوح اكثر ، اذ كنت أخشى ان هذا الشخص قد تحدث عن الموضوع عن حسن نية وبسبب قلة التجربة ، واخلاصه للقضية بحيث جعلها اطراء لي وهو يتحدث عن رفيق ثوري يشاركه الزنزانة !! وان يكون هذا الحديث قد وصل الى آذان الساواكيين بوسيلة ما ، ان هذا التصرف اللامسؤول نجم ، بطبيعة الحال ، عن قلة الخبرة والممارسة الثورية وضعف الوعي والضبط التنظيمي لدي .

على المناضل ان يصون في كل الظروف ، مهما تعقدت هذه الظروف، التزاماته التنظيمية وان يعمل بجد وفق المبادىء والاسس الثورية المكتسبة خلال التجربة العملية والمدفوع ثمنها بالدم ، عليه ان يعمل بشعور عال بالمسؤولية وان لا يسمح لاي خرق للمبادىء التنظيمية وما دمنا تحت رحمة العدو ، ولم يتقرر مصيرنا بعد ، فانه يجب ان نصون الاسرار والمعلومات بنفس الدقة التي عملناها مع الساواكيين ، حتى وان كان الطرف المقابل هم رفاقنا في السجن .

وبطبيعة الحال يجب ان أقر ، بأن الرفاق المتمرسين جيدا في النضال الذين تحول العمل المنظم والانضباط النضالي الى جزء من وجودهم ، كانوا يتصرفون بصواب في هذه المجالات ولا تغيب عنهم اليقظة الدائمة عند التعامل والاختلاط مع السجناء ، فعلى سبيل المثال يقال ان الرفيق مسعود احمد زاده ، لم يكن يتطرق عند التحدث مع مشاركيه في الزنزانة ، الا عن القضايا

العمومية للنضال وفي نطاق ضيق جدا ، ذلك لأنه ما توضح بعد مصيره ومسار قضيته ، ولا اكتسب بعد معرفة جيدة بمن حواليه . اما أحد رفاق فرع تبريز فبقي مدة طويلة بعد اعتقاله معروفا كأي شخص اعتيادي واخفى حقيقة ارتباطاته وافكاره الى مدة غير قصيرة ، اي الى ان تقرر مصيره وحكم عليه وانكشف امره لدى السجناء والساواكيين على السواء ، ولقد تحمل جزاء سلوكه هذا الذي ينطوي على شعور بالمسؤولية ، تحمل كثيرا من العذاب لكنه لم يتخل عنه بحيث الساواكيين وجميع السجناء على السواء كانوا قد صدقوا بأنه ليس غير شخص اعتيادي ! وارى من واجبي ، لكل ذلك ، ان اؤكد على وجوب التعرف مع السجناء الآخرين بحذر شديد ويقظة عالية ، ذلك لانه ، على حد قول احد الرفاق ؛ هؤلاء السجناء ليسوا جميعا من رفاقنا وانصارنا بل وهناك احتمال كبير ان يكون بينهم من تواطأ مع العدو وباع نفسه له ، فغدا عينا للعدو بيننا يترصد حركاتنا ويراقب اتصالاتنا وينصت الى اقوالنا ثم ينقلها جملة وتفصيلا اليه ، كما وهناك اناس لا دخل لهم في السياسة وقد اعتقلوا على اساس الظنون والشبهات فقط ، وكثيرا ما يتحول هؤلاء الى عيون للعدو وآلات بيديه ، وبنفس الطريقة التي يغدو بها التظلم للعدو والثرثرة مصدرا للمتاعب ، فان الاطمئنان الى كل شخص وفتح ثنايا القلب له ، في وقت لم يتقرر مصيرنا بعد ، قد يكون هو الآخر مصدر خطر جسيم لنا ، وكما تعلمنا التجارب السابقة فان المعلومات التي قد ندلي بها لاي شخص في ظروف واحوال معينة يجب الا تخرج عن حدود المعلومات الموجودة في الاضبارة لا اكثر مطلقا ! ان الرفاق الذين مارسوا النضال طويلا وعرفوا ظروف السجن كثيرا ، غالبا ما جوبهوا ، وهم يؤكدون على هذه التوجيهات ، بسؤال مفاده : حسنا متى وكيف يجري انتقال التجارب ؟ فكانوا يجيبون :

ـ ان انتقال التجارب ، يجري بعد انجلاء مصير القضية حيث يصبح السجين حرا في ان ينقل خلاصة خبرته النضالية الى الغير .

× × ×

لنرجع الآن الى اصل الموضوع ، ولنر كيف تطورت القضية ؟ كنت قد اصطنعت موعدا ثانيا وابلغت رجال الساواك بأنه في حالة عدم مجيء كريم في الموعد الثاني لسبب من الاسباب ، فان علي ان ارسم بالطباشير الازرق خلال المدة الممتدة بين صباح وظهر اليوم التالي للموعد الثاني علامة لا نهاية ∞ على اطار القسم الغربي من باب (امام زادة معصوم) ،

وسنلتقي في الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي ليوم وضع العلامة في شارع الفريق رزم آرا .

كانت رجلاي لا تطاوعانني على النهوض لشدة الالم خصوصا بعد فترة جلوس طويلة ، وكان الالم على أشده في مفصل رجلي ، وهذا جعل علي من المستحيل ان اخرج لقضاء حاجة ما الا بعد ان يعينني شخص على النهوض والمشي ، كانت هذه الوضعية مبعث راحة لي ذلك لانها كانت تعطيني حجة مقنعة مقابل استنطاقات الساواكيين المتكررة وسؤالهم العتيد : « ــ حسنا، والآن لماذا لم يأت ؟ » وكان هدفي هو اظهار المسألة بشكل طبيعي محض، والا اعطيهم ، بهذه الوسيلة ، مستمسكا حول نفسي واتخلص من قيد الاسارة . ولقد تكرست لدي هذه الفكرة بشكل اقوى بعد تنفيذ الموعد الملفق الثاني ، ذلك لانني بعد الاختلاط مع الرفاق وطرح المواضيع الموجودة في اضبارتي ، توصلت الى استنتاج مضمونه انني لو سرت قدما بهذه الطريقة وابقاء القضية في نفس الحدود والحيثيات ، فانهم لن يحتفظوا بي طويلا رهن الاعتقال .

١٤ شهر يور ــ سبتمبر (ايلول)

قضيت فترة الصباح بالحديث والمناقشة مع الرفاق . بلغت الساعة الحادية عشرة ، ثم انتصف النهار ولم يظهر من يطلبني او يسأل عني، شرعت الابواب تفتح وتغلق وتحدث في كل مرة الصوت المزعج المعهود ، ووزع الطعام ، وبعد الفراغ من تناول الغداء حان وقت خروجنا ، اذ كان علينا ان نغسل الصحون والاطباق بأنفسنا ، ولما كنت انا عاجزا عن القيام بهذا الواجب ، فان الرفاق الآخرين كانوا يهتمون به نيابة عني . الخروج يجري عادة بشكل متسلسل ، يذهب شخص ، وعند رجوعه يتلوه ثان وهكذا الى ان يقضي آخر سجين حاجته .

كان الرفاق يمشون في داخل الزنزانة بالتناوب ، ويستمرون في التمشي لساعة وجزء من الساعة ، وكنا نرسم خطا على الحائط بعد مضي كل اربعة وعشرين ساعة ، مضت ساعة من الوقت بعد انتهاء الغداء ، وفتح احدى مصراعي الباب ، ثم فتحت البوابة الصغيرة التي تتوسط المصراع الآخر وادخل شخص رأسه يسميه الرفاق تندرا بـ « العنكبوت » ، وطلب الي ان أهيء نفسي للذهاب معه ، ولم يكن في هذه المرة على عجل من أمره فتريث برهة الى ان هيأت نفسي ، وربت الرفاق كثيرا على ظهري

وشجعوني ، على عادتهم ، على التمسك ببرودة الاعصاب والثبات وودعوني الى الباب واكفهم ترقص ربتا على كتفي ، ساعدني « العنكبوت » على السير وانزلني من السلالم ، مررنا بباب حديدي وتوجهنا نحو سيارة كانت تنتظرنا . كان المرافقون لي هم : بيروز رجل الساواك ذو الوجه المنمش (نتيجة لاصابة قديمة بالجدري) ، واثنين من المرتزقة الآخرين ، وحيث ان المسألة لم تكن في هذه المرة بنفس اهمية المرة السابقة ، فانه لم يستنفر ذلك الحشد ، الذي أشرت اليه ، من رجال الامن بل اكتفي بأربعة اشخاص يحمل احدهم حقيبة سوداء كبيرة اضافة الى الثلاثة المذكورين آنفا ، صعدنا الى السيارة التي سارت بنا الى المكان الموعود وامروني بأن احني رأسي ففعلت الى ان لامس رأسي ركبتي ، حتى لا أرى بهذا الترتيب ما يحيط بي من اماكن واشخاص وغير ذلك ، ولم يسمحوا لي برفع رأسي الا بعد الدخول في طريق (ونك) الرئيسي .

كانت الشمس قد مالت تماما الى المغيب وقد اختفى نصفها تقريبا وراء الافق مشكلة نصف كرة حمراء ، وكانت الظنون والوساوس قد غالبت الساواكيين ودخل الرعب الى قلوبهم ، وحاولوا عبثا اخفاء واقعهم هذا عني فأخذوا يتحدثون فيما بينهم عن جمال هذا المنظر وخصوصا كرة الشمس واصطنعوا مرحا وجذلا لا مبرر لهما ! لكن كل ذلك لم يستطع اخفاء الاضطراب والارتباك اللذين غالباهم وانعكسا على وجوههم الطالحة مع اقترابنا من المكان المعين ، فلقد اصفرت وجوههم تماما وبحت اصواتهم وغالب بعضهم السعال الحاد !

اجتزنا منطقة (اميرية) ، وفي منطقة (ملك) اوقفوا السيارة ، واشترى احدهم من احدى الدكاكين طبشورا اخضر ، ورجع الى السيارة التي واصلت سيرها ، مررنا بدروازه قزوين ، واجتزنا جسر (الامام زادة معصوم) ، وعند وصولنا مقدمة الطريق المؤدي الى صحن (الامام زادة) ، اوقفوا السيارة وترجلوا منها بتحفظ وحذر بالغين ، نظروا مليا الى الاطراف ثم امروني بأن اتقدمهم ، ففعلت ، وساروا هم خلفي . كان احد باعة المواد الانشائية (الابواب والشبابيك) يتحدث مع احد جيرانه بصوت عال ، فاستلفت نظره منظري وانا بهذا اللباس الممزق والشعر الكث والوضع الباعث على العطف ، وبقي محدقا في لدقائق ، ثم استأنف الكلام مع زميله بعد ان ابتعدت عنهما قليلا ...

كان مأمورو الساواك يجرجرون ارجلهم بصعوبة بالغة وراءهم وكأن قوة طاغية تجرهم الى مصير محتوم رغما عنهم ، كانوا يمشون خلفي وكأنهم

اشباح ، وقد اصفرت وجوههم وجفت الدماء في عروقهم فبدوا كالاموات تماما ، كنت اسير امامهم ببطء وبصعوبة بالغة . اقتربنا من الامام زادة وناولني برويز الطبشور فرسمت العلامة على المكان المعين . دخلنا ضمن المسجد ، وشرع الساواكيون يؤدون مراسيم الزيارة ! فأخذ احدهم ، وهو شخص بدين قبيح المنظر ، يقرأ بصوت هزاز دعاء الزيارة ورفع يديه الى السماء ليكفر عن سيئاته ثم تضرع الى الامام ان يشفع له ذنوبه وخطاياه ، وكان الباقون يتمتمون بكلمات غير مسموعة الادعية والصلوات .... حقا ان الكفرة والفاسقين لا يعرفون الله الا عندما تداهمهم الاخطار !!

كان الجو حارا جدا ، والصيف في عنفوان حرارته ، وكان خادم الحرم قد نشر سفرته في وسط الصحن واجتمع هو وافراد عائلته حولها ، كدت اختنق من شدة العطش ، فتقدمت منهم وطلبت ان يعطوني ماء ، فاندهشوا لمنظري وارتابوا كثيرا ، ونهض غلام ليعطيني الماء فبقيت عيناه معلقتين بي ، فمد الي بالطاسة خالية ظنا منه انها مليئة بالماء ، ولم ينتبه الى ذلك الا بعد ان قلت له انها لا تحوي شيئا ، فهز رأسه ، ثم دخل الغرفة مسرعا فملأ الطاسة وناولني اياها . كان احد المأمورين يراقبنا بدقة شديدة ويبدو انه فاق زملاءه ارتعابا فخشي ان يكون الولد قد ذهب الى الغرفة ليأتيتي بشيء قد يحوي خطرا عليه وعلى الآخرين .. تركنا الحرم بعد ان شربنا الماء وتوقفنا هنيهة ، وفي الطريق اقترب مني المأمور المذكور وسألني : ـ

ماذا همست في اذن ذلك الغلام ، اخشى انك اعطيته اشارة من نوع ما !!!! ، قلت : عم تتحدث انت، ألم ترني اطلب ماء وهل اتاني بغير الماء ؟ فسكت ولم يضف شيئا آخر ، لكنه سرعان ما اقترب مني مرة اخرى ، وقال لي همسا : ـ

ـ قل الصدق ، هل تملكون هنا مخزنا للاسلحة او غيرها ؟ قلت :

ـ صدق بأنه لم يسبق لي ان اتيت مرة اخرى الى هذا المكان ، وهذه اول مرة في حياتي اشاهده ، فعن أي سلاح تتحدث ؟

صعدنا الى السيارة وتحركنا ، ولاحظت بوضوح انه كلما ابتعدنا عن موقع الخطر ، كلما استعادت وجوه (الابطال !) لونها الطبيعي ، ورجعت الى اصواتهم نبراتها الاصلية ، وهكذا تنفسوا الصعداء بعدما خرجنا من دائرة الخطر تماما ! كم كان منظر برويز ، وهو قائد العملية ، مثيرا للسخرية ، فلقد كان يشبه الديك اكثر من اي مخلوق آخر ، يتكلم باختيال وقد انتفخت اوداجه ، فهو يستصغر الثلاثة الآخرين ، قائلا دون

ان يوجه الحديث الى أي منهم : اية طريقة للترميز هي هذه ؟... وراء احدى اكشاك التلفونات ... على احدى اعمدة الكهرباء ... ألم يكن هناك مكان افضل من اطار باب الامام زاده معصوم ؟ حقا اني اشك جدا في حقيقة الامر ، نعم أشك في مغزى انتخاب هذا المكان بالذات !! فلزمت الصمت وكأني لم اسمع ما قال قط . وعرفت من تغيير فجائي في سير السيارة اننا نسير نحو معتقل (اوين) ثانية ، ولما اجتزنا حديقة (وي) احنوا رأسي مرة اخرى ، ودخلت السيارة شارعا ترابيا يتجه نحو الغرب ... وبعد مدة اصبحنا على مشارف (اوين) ، ولما وصلنا الباب توقفت السيارة كعادتها ، وبعد اعطاء كلمة السر واستحصال الموافقة دلفت داخلا ... توقفت السيارة بنا ، فترجل الساواكيون بينما أمرت ان اقف في مكاني دون ان اتحرك الى ان يأتي العريف فيتسلمني !! ولحسن الحظ لم يطل انتظاري كثيرا ، فلقد أقبل علي عريف اسمه (كيقبادي) واقتادني نحو احدى الزنزانات بعد ان وضع على عيني النظارة السوداء التي لا يمكن رؤية أي شيء خلالها ، وفي الممر رفع النظارة عن عيني وفتح باب الزنزانة وادخلني اليها وقفل الباب ... كان الرفاق ينتظرونني بفارغ الصبر عند عتبة الزنزانة كعادتهم ، وبعد قليل من السؤال والجواب آتوني بشيء من الطعام كانوا قد استبقوه لي ... قضينا الليلة الى وقت متأخر منها بالحديث حول المواضيع المختلفة ...

١٥ شهريور – ٦ سبتمبر (ايلول)

استيقظنا صباح ذلك اليوم على وقع اقدام العريف وهو يذرع الممر جيئة وذهابا ، ويفتح ابواب الزنزانات الواحدة بعد الاخرى ثم يغلقها خلفه وتبعث الابواب اللعينة هذه صوتا في غاية الازعاج وهي تغلق بينما يدفعها العريف بقوة بحيث يحرم من النوم حتى من في اذنه صمم ، ... كان احد الرفاق الدينين هو الوحيد الذي لا تزعجه هذه الاصوات الى حد بعيد ، اذ انه يستيقظ مبكرا كل يوم لاقامة الصلاة ، ويبقى في اكثر الايام يقظا بعد الصلاة منشغلا بالادعية وتلاوة القرآن الكريم ...

كان ألم شديد في رجلي يقض مضجعي ، وعلاوة على ذلك اعاني من ألم شديد في القسم الايسر من مؤخرة رأسي ... وثمة شيء آخر يزيد في الطين بلة ، ففي الساعة الخامسة من هذا اليوم ستنفذ آخر فقرة من الموعد المصطنع ... وكان هذا بمثابة آخر عارضة يجب اجتيازها من

قبلي ، لذا فأني غارق في التفكير بحثا عن طريقة للتملص من الموعد المذكور بشكل اصولي وكامل حتى اعطيهم بذلك حجة مقنعة لعدم مجيء كريم الى الموعد وفق الاتفاق ...

قبل كل شيء ، يجب ان اعيد الى الاذهان ، بأن طهراني كان قد ابلغني بعد احدى العمليات ان اطلب حضوره او حضور الدكتور جوان عند شعوري بأقل انزعاج ، وكان يتصور في نفسه بأنه قد فعل هذا كشيء من قبيل البراعة المسلكية ، فقررت في نفسي ان اقوم بما يفشل براعته هذه وعلى الوجه التالي : ـ

في « اوين » لا يسمح للجندي بأن يكون له مع السجين اية علاقة مهما صغرت ، ولا يغتفر له اذا تجاوزت اتصالاته مع السجناء اكثر من فتح الابواب لهم وغلقها عليهم ، وفي بعض الاحيان اشعال الكبريت (الشخاطة) له ، اما تنفيذ طلب للسجناء كنقل الرسائل الشفوية بينهم او حتى الكلام معهم فيعد من المحظورات التي تضع مرتكبها تحت طائلة العقاب الشديد ... ومستفيدا من تقنين العلاقة بين الجنود والسجناء بهذا الشكل ، شرعت الح عليهم لعشرات المرات ، تارة بالصياح وتارة بدق الباب بقوة وبشكل متواصل ، ان يسمحوا لي بالذهاب الى الدكتور جوان ليعالج لي ألما شديدا في رجلي ، ولم اكن اذكر هذه الطلبات بلحن ينم عن الجد او الالم الحقيقي بل وفي بعض الاحيان كنت اصرخ وعلى شفتي ابتسامة عريضة !! كنت أدق الباب بقوة واصرخ قائلا : خذوني الى طهراني ، فلقد قال لي هو بالذات ان اذهب اليه اليوم، او خذوني الى الدكتور جوان فهو طلبني بالامس ، لكنني لم اجد اذانا صاغية من الجنود الذين كانوا يكتفون بالقول :

ـ حسنا ، سنخبرهما بذلك عندما نراهما ...

كنت احس بأن الرفاق يشعرون بالضيق عندما ألح في طلب طهراني والدكتور جوان ولا يجدون لهذا الالحاح تفسيرا ، لكنهم لم يعلقوا ولم أقدم انا اليهم أي توضيح .

مر بعض الوقت ، ومرت ساعات اخرى وانا انتظر ، واخيرا انفتح الباب في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر ودس عريف رأسه فناداني وطلب الي الخروج ... كانت رجلي تؤلمني بشدة بحيث لا استطيع السير اطلاقا وكان اشتداد الالم بهذه الصورة يعود الى مكوثي وقتا طويلا وانا جالس ... ساعدني العريف ، مكرها ، في السير وعندما اوصلني الى السيارات وهي على أهبة الاستعداد للحركة ويحيط بها رهط من رجال الساواك ، نظر الجميع الي نظرة ذات مغزى وبادلوا بعضهم البعض مثلها

وساد المكان صمت ثقيل ... ثم كسر احدهم جدار الصمت قائلا : يوه ، ان هذا يعرج ، بل ولا يقدر على السير اصلا ...

طلبوا حضور طهراني ، اما انا فلقد كنت متظاهرا باضطراب وتضايق شديدين ، ووجهي ينضح براءة ، قدم طهراني ، وحالما شاهدني اعترته دهشة شديدة وغالبه الارتباك ، كمن اصيب بصدمة عنيفة فصاح بي قائلا : ماذا بك يا (....) ، هل من احد ضربك مرة اخرى ، انت كنت في أتم الصحة بالامس وكنت تستطيع السير بشكل جيد ، اخشى انك قد جلبت على نفسك مكروها ، قل لي ، تحدث ...

فقلت بارتباك : لقد طلبت حضور الدكتور لعدة مرات وطلبتك مرات اخرى ، ومنذ الصباح الباكر وانا اصرخ واستغيث بالجنود بأنني اريد الذهاب الى الدكتور ... اريد الذهاب الى طهراني !! لكنني لم اجد هناك من يسمعني مطلقا !! لم يكن بوسعه ، وانا في هذه الوضعية البائسة ، ان يتردد في تصديق ما أقول ، فصرخ كالثور الهائج : قل لي، من أي من الجنود طلبت ذلك ؟ ما اسمه ؟ ما شكله ؟ ثم هدأ فجأة وقال : ولماذا لم تطلب ذلك من العرفاء ؟ لماذا لم تناد عليهم ؟

قلت : بعد كل دقائق من نقر الباب ، كان الجندي يستفسر مني عن الشيء الذي اريد ، فأخبره بما اريد ، فيكتفي بالقول : حسنا سنخبرهما اذا قدما ، ولم اجد احدا من العرفاء ...

تقدم الي طهراني ، وكمن يلتمس ان اسدي اليه خدمة كبرى ومعروفا لا ينسى فأجعله وعائلته شاكرين لي مدى الدهر ، قال لي متضرعا :

ـ يا (....) الحبيب ، انظر الآن ... انظر انك تستطيع السير ، فتعاون معنا ولا يتطلب الامر سوى عشرين دقيقة من السير الطبيعي ، تعال واعمل المعروف وسر لهذه الدقائق العشرين مهما كلفك ذلك ، انا اعرف ، بل واشعر بالالم الذي تعاني منه ، لكننا نحتاج الى مساعدتك ... ان هذه افضل خدمة تستطيع اسداءها الينا ...

حقا انه ليبعث على الهزؤ والسخرية ، يطلب مني التضحية والمروءة !! لاي شيء ؟ لاساعدهم في ايقاع رفيق لي في شركهم !! يحتاجون الى مساعدتي ويعدون انفسهم مدينين لي فيما اذا استجبت لطلباتهم الشريرة وكأنهم نسوا من أنا ! ترى ما الهدف من هذه التضحية والمروءة المتوقعتين مني ! لمن أقدم انا هذه المساعدة ؟! لقد كانوا يتحدثون وكأنهم يطلبون الى أقرب اقاربهم ليستضيفهم الى بطل عرق !! انهم نسوا بأنهم انما يتحدثون مع عدو طبقي لهم ، وان من يطلبون اليه ايقاع رفيقه في الشرك ، الرفيق الرمز

الذي يرمز الى الآلاف من المناضلين الذين يضطلعون الآن في أصعب الظروف بأعباء الثورة ، انما هو بالذات عدو لدود لهم ، الا تبا لهذه الوضاعة وتبا لهذه الحماقة !!

بعد ان قدم الي طلبه الوحيد بهذا الشكل ، ثم شعر بأن الاستجابة اليه صعبة التحقيق ، ساعدني على الصعود الى السيارة التي تحركت بنا. وحالما وصلنا الشارع الترابي المؤدي الى (اوين) وضعوا النظارات السوداء التي سبق وان اشرت اليها في مكان آخر من هذا الموضوع ، على عيني ، وبعد برهة من الزمن وقفت بنا السيارة وكنت استطيع من طرف النظارة ان أتبين سبب هذا التوقف اذ وقع حادث اصطدام بين سيارتين بحيث انقطع السير ورأيت رافعة كبيرة تحاول رفع احدى السيارات ووضعها جانبا ، لكن الذي بدا لي هو ان الرافعة هي الاخرى كانت قد انحسرت بسبب ضيق الشارع بحيث لم تكن تستطيع التحرك في الاتجاه المطلوب ، اما السيارات التي ازدحم بها الشارع فظلت تدق على الابواق بحيث طغت على الشارع ضوضاء عجيبة . اختلست نظرة الى اقارضا قائد العملية فرأيت وجهه يفيض قلقا وقد تضاعفت لذلك تجاعيده . اما انا فكنت اتمنى الا ينفتح الطريق الى ان يمضي وقت على ساعة الموعد ... قائد العملية ، كما ذكرت في مكان آخر ، هو شخص اسمه اقارضا رجل طويل القامة ، اسود العينين والحاجبين ، اسود الشعر وقد مشط شعره بعناية بالغة ، يبلغ من العمر حوالي الـ (٣٤) سنة تقريبا ... كان يفقد صبره رويدا رويدا وكان يتقدم بالسيارة ويرجع بها الى الوراء سعيا للحصول على مفر يخرج منه ، وحاول الانتقال الى شارع آخر خصص للسير في عكس اتجاهنا ، لكنه اعلم بأن ذلك غير مسموح به وان الطريق الذي سلكناه هو الطريق الوحيد الممكن سلوكه ، فزاد هذا من قلقه ... ولم يكن بوسعه ان يرجع الى حيث أتى فيقول لهم بأن الطريق مسدود اذ عند ذاك سيسخرون منه ويحقرونه ويعدونه جبانا وغير لائق للوظيفة ، ففي نظر هؤلاء المتفطرسين لا يمكن ان تشكل موانع مثل انغلاق الطريق وشدة الازدحام سدا امام رجل الساواك !!

انفرجت اسارير اقارضا فجأة ، اذ تنحت الرافعة جانبا وكان الطريق قد انفتح فاندفع بسرعة وطوينا طريق (ونك) الرئيسي في وقت قليل ، اقتربنا من سجن (قزل قلعة) ، الزقاق رقم ٦ ... الزقاق رقم ٥ ، توقفنا امام الزقاق رقم ٤ ودلفنا داخلا وفي نهاية الزقاق نحى اثنان من الحرس الخشبة المانعة للدخول جانبا ودخلت السيارة الى مكتب ساقي !. كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف ، وشاهدت سيارات على أهبة

الاستعداد لمرافقتنا ورهط من رجال الساواك يحيطون بها ، توقفت سيارتنا وترجل من عليها الواحد بعد الآخر باستثنائي واغلقوا الباب وراءهم فانسحبت الى زاوية داخل السيارة اتكأت باطمئنان على العارضة ... وعيناي تسرحان في الخارج . شاهدت الدكتور جوان متكئا على سيارة (بيكان) بيضاء اللون وهو يتطلع الى المأمورين الذاهبين اليه بهدوء ، وعندما وصلوه ، تبادل مع اقارضا بعض الكلمات التي لم أفهمها لبعدها عني ، ورافقت احاديثهما اشارات باليد الي ، وبعد ان استمرا في الحديث قليلا اقبلا نحو السيارة التي كنت فيها ، فنهضت مترصدا ردود فعلهم ، فأشار الي اقارضا ان اخرج من السيارة ، قال ذلك بلحن يحمل في طياته ما ينذر بالشر واليأس المسبق من الحصول على أي شيء من هذا الموعد . فتحت الباب وخرجت متكئا على السيارة . تصدى لي جوان ، وكرشه البغيض يتدلى ، وتقدم نحوي والشرر يتطاير من عينيه المحمرتين غضبا فقال لي وفي نظرته مغزى :

ـ لدينا ربع ساعة من الوقت فقط . سر هنا قليلا لارى مشيتك . فمشيت ، لكنني لم استطع ان امشي تلك المشية التي يريدونها هم ، وشعرت عند السير بأن رجلي تؤلمانني اكثر عندما ادوس صخرا او شيئا ناتئا عن الارض وحينذاك يظهر عرجي على شكله الطبيعي ، لذا اخذت ادوس برجلي جميع الاشياء البارزة من الارض حتى يبدو العرج طبيعيا ...

كان جمع من الجنود يلعبون كرة السلة (فالي بول) في الساحة الجنوبية لمعسكرهم ، ولاحظت ان بعض النظارة قد استلفتهم التجمع فأخذوا ينظرون الينا بدلا عن الجنود اللاعبين ، كنت محاطا بمأموري الساواك من كل جانب لكنهم مع ذلك طلبوا جنديا لحراستي ، فجيء بجندي اسمر اللون طويل القامة يبدو شديد العصبية وكأنني انا الذي تسببت في اقحامه في هذا العمل ! على أي حال ، كنت اعرج اثناء المشي وكان الجندي المسكين يمشي خلفي كظلي حاملا بيده بندقيته الـ (G-C) فاقترب مني الدكتور جوان وبعد ان حملق في قليلا قال : ايها الفلام ، سر جيدا ، فهم لم يسحقوا عظام رجلك . قلت : ـ لو كنت استطيع لمشيت ، فلم يكن الضرب بشكل يبق لي القدرة على المشي ! قال : ـ حسنا ، كان هذا من الطبيعي ، اذ لولاالتعذيب والضرب ، لما كنت تتكلم ، اذا فلقد كان هذا تقصيرا منك بالذات ، كان بامكانك ان تعترف بكل شيء وتتجنب التعذيب . لكن ما مضى مضى ، والآن حان الوقت لكي تؤكد لنا بأنك تريد

اثبات الصداقة وابداء التعاون معنا ، نحن نعرف بأنك غلام طيب ، وكما ترى فانك منذ ان بدأت تتعاون معنا ، لم تواجه أي تصرف متسم بالخشونة من جانبنا فحسب ، بل اننا ابدينا تجاهك ، في حدود الامكانيات المسموحة والوقت المتوفر ، كل لطف ومرونة ، فلا توجد بيننا عداوة شخصية او عائلية ، والآن حيث ابديت الاستعداد ان تظهر الرجولة والتضحية ، فان من واجبنا ايضا ان نغير من وجهة نظرنا وطريقة تصرفنا معك بشكل جذري اذن فمفتاح الحل في يديك : بامكانك اجبارنا على العودة الى نفس الاسلوب السابق معك ، وبامكانك ان تواصل اظهار الصداقة والتعاون معنا وتستمر في تزويدنا بالمعلومات المتوفرة لديك دون ان تخفي أي شيء او تهمل صغيرة تعرفها . ونحن نريد منك سلوك السبيل الاخير ، سبيل التعاون المطلق ، نحن نطلب منك ان تضاعف من جهودك فتسير بشكل طبيعي فالطريق ليس طويلا والوقت الذي نريدك ان تمشي فيه هو عشرون دقيقة فقط ... حتى وان فرضنا ان المشي يسبب لك بعض الالم ، هل ان مقاساة الآلام لعشرين دقيقة فقط لا يكافيء تعميق وتوثيق صداقتنا باطراد ؟

كنت ، طوال الحديث ، مطرق الرأس افكر بعمق وتركيز فيما يجب ان اعمله وكنت أسير وانا اعرج ، ولا تزيدني نصائح عميل العدو هذا سوى نفور منه ، تقدم نحوي وهمس في اذني قائلا : ـ

انظر يا (...) ، اني لم التمس احدا طوال حياتي ، لكنني ، لكي اثبت لك صدق نواياي تجاهك وبأننا لسنا سوى اصدقاء اوفياء لبعضنا ، فاني اتقدم اليك برجاء حار ان تحاول السير بأحسن ما تستطيع خصوصا عندما نصل الى المكان المحدد للقائكما ، لقد حان وقت الانطلاق ، فأرجو الا ترجع خالي اليدين !!

هنا ، أود الاشارة الى حقيقة هامة وهي انه الآن حيث تمضي سنتان على اندلاع نار الكفاح المسلح ، فان مأموري الامن قليلا ما يسمحون لانفسهم ان يطلبوا الى أي من المناضلين ، بكل هذه الصلافة والوقاحة ، وضع المعلومات المتوفرة لديه تحت تصرفهم ، ذلك لانهم يعلمون بأنهم سيجابهون بالمقاومة البطولية والعناد المتواصل ولا يجدي التعذيب الوحشي وجميع الاساليب الجهنمية الاخرى نفعا مع هؤلاء المناضلين مطلقا ، واذا كان العدو السابق يصر على موقفه ، موقف طلب المعلومات وحتمية الادلاء بالاعترافات (وقد يحقق بعض النجاحات في هذا السبيل) فان السبب في ذلك كان يكمن وراء قلة خبرة وتمرس بعض المناضلين وضعفهم . ان اولئك الذين لم يتمرسوا على العمل في ظروف النضال الصعب للغاية ولم يكتسبوا

التجارب الكفاحية خلالها ولم تتسع قابلياتهم العملية ، لم يتوصلوا ، بطبيعة الحال ، الى تشخيص صائب للقضية ولم يتفولذوا بعد بمبادئها بل ان الكثير منهم لا يزال يعيش في ظلام حالك عن ماهية القضية والاستعداد الذاتي اللازم للتضحية في سبيلها وتتراوح ابعاد هذا الظلام الحالك بين التقدير الخاطىء للقابلية الشخصية والبهلنة الفارغة والجهل بأساليب العدو ولقد لعب كلا البعدين دورهما في زحزحة ارادة هذه الفئة من المناضلين الذين لم يستطيعوا المقاومة امام احابيل العدو واساليبه ، فاستسلموا له بسهولة ...

لكن ازاء هؤلاء يجب الاشارة الى رفاق ذوي نقاوة ثورية فذة وتصد ثوري صائب لمعالجة القضايا المختلفة ، تحلوا بعزيمة لا تقهر وبصيرة نافذة واكتسبوا خلال العملية النضالية تجارب غنية استفادوا منها عند الوقوع في مصائد العدو او في المجابهات معه او عند التصدي للمشاكل الاخرى التي يدخل العدو طرفا فيها ، فلم يفقدوا وعيهم العميق واصالتهم الثورية حتى في احلك الساعات ... ومن هذه الفئة يمكن الاشارة الى رفاق مثل وارطان ، كوجك شوشتري ، روزبه ، كتيرائي ، صفائي وشاهرخ هدايتي وكثيرين غيرهم ، فلقد انطلق هؤلاء عند المجابهة مع العدو من مواقع نضالية ثابتة وقوية ومرغوا بالوحل انوف مرتزقة الساواك والشرطة ولم يسمحوا لهم مطلقا ان يمثلوا ادوارا أخوية او أبوية !! ولقد ادخل ثوريون مثل جواد سلاحي ، رحمت بيرونذيري جنكيز قبادي ، اسكندر صادقي ثراد احمد رضائي ، مهرنوش ابراهيمي واحمد زمبيرم وآخرين غيرهم الرعب والهلع في صفوف العدو نتيجة مجابهتهم البطولية له وعدم مهابتهم من اساليبه وتهديداته ، واجبروا الشاه العميل على ان يحرم على نفسه النوم والراحة والطعام ويظل ساعات في قصره يقظا يأكله القلق وتتردد في مخيلته المقولة الشعبية عن الفدائيين : « هؤلاء فدائيون وارواحهم على أكفهم ولا يأبهون ان يحصدوا بالرصاص وهم يرتقون حيطان القصر يوم تقوم ساعة الحساب » .

اجل ! لقد حير هؤلاء الابطال مغاوير وفدائي الجيش الشاهنشاهي ! بكل تجهيزاتهم واسلحتهم العصرية الفتاكة ، لا بشيء سوى بعظم تضحياتهم ونكرانهم للذات ، ولقد غدت الازقة والدروب من جملة الاماكن المحظور دخولها من قبل رجال الساواك والشرطة بدون اتخاذ تدابير أمنية مسبقة ، فقد يصبحون اهدافا سهلة في كل لحظة لرصاصات من تسميهم السلطة « عناصر الشغب » ! ، وعلى ايديهم تكرست سنن المجابهة الثورية مع العدو

واليوم ، فان الحركة تتحدى عنجهية السلطة وغطرستها بنماذج من هؤلاء الابطال ، ولقد سمعت ذات مرة رفيقا من ذوي التجربة والخبرة النضالية الوفيرة يقول : « كنا ، سابقا نوصي رفاقنا بتحاشي الوقوع في قبضة العدو واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لذلك ، وتوصيات كثيرة اخرى تفتقر الى السند العملي الصحيح او المعلومات الدقيقة التي تكسب التجربة ، فمثلا كنا نقول بأن الشرطة ستشن هجوما على العناصر الثورية وتعتقل منهم من تعثر عليه . اما كيف ومتى وفي اية ظروف ، فلم نكن نملك اجوبة كافية لهذه الاسئلة على رغم اهميتها ، وحتى لو تمكنا من تقديم تلك الاجابات ، فلم نكن نملك وسائل عملية للوقوف بوجه هذه الحوادث بسبب انخفاض مستوى التجارب في مضمار حرب الانصار داخل المدن ، اما اليوم حيث نترك وراءنا سنتين من النضال المسلح اكتسبنا خلالهما تجارب غنية دفعنا ثمنها دماء رفاقنا الشهداء الزكية ، فاننا نعرف متى تنشط الشرطة وكيف ، ما هو مجال نشاط القوى المعادية لنا وفي أية ظروف تنشط وتستشرس ، وتضعنا هذه المعلومات القيمة في مواقع نستطيع منها ترصد تحركات الشرطة والساواكيين وتنقلاتهم ، ونستطيع تخطيط حركاتنا وعملياتنا ومجالات نشاطاتنا المختلفة على ضوء ذلك بهدوء وتؤدة ونفاذ بصيرة اكبر ، واضافة الى ما تقدم ، فاننا الآن لن نكتفي « بتوصية » رفاقنا لتحاشي الوقوع في قبضة العدو ، بل ان وقوع الرفاق اسرى في يد هذا العدو ، وتحت طائلة التعذيب الوحشي من قبل اجهزته القمعية ، ثم اصرارهم بعناد على عدم الادلاء بأية معلومات له غدا من البديهيات والمستلزمات الضرورية لاحراز النصر وان كل رفيق معنا في هذا الطريق المقدس يدرك هذه الحقائق باعتبارها من اوليات الدخول الى حلبة الصراع ... نعم ، اننا نعرف بأن الدرب الذي سلكناه مليء بالعثرات الكبيرة والاشواك الحادة ، ولقد وضعنا منذ ان خطونا الخطوة الاولى فيه ان خير مكافأة ننالها من وراء التصدي للاشرار هو الاستشهاد ، ولم نخدع أنفسنا في يوم من الايام بزيف النضال في ظل الحريات العامة ، بل اننا نعتبر الاسر ، التعذيب الوحشي ، الموت رميا بالرصاص او على اعواد المشانق ، او قضاء المدد الطويلة في السجون ، أجزاء لا تتجزأ من عملية النضال الثوري ، وان : « الثوري يظل ثوريا في جميع الظروف » هو الشعار الذي رفعناه ونحن نضع اولى اقدامنا في هذا الميدان الفسيح . ونحن لا نرى ، في أي حال من الاحوال ، ان تجارب الحياة ، والتجارب المكتسبة خلال فترة النضال السابقة للوقوع في الاسر والتجارب الاخرى المكتسبة في محيط العمل تكفي لاغناء أي مناضل بالخبرة الثورية ،

بل ان كل مناضل من مناضلينا ، يحتاج الى اكتساب تجارب هي حصيلة حالات الصدام المباشر مع العدو ، طرق الاجابة عند الاستجواب ، التعرض لمختلف انواع التعذيب ، انعكاسات التأثير النفسي للتعذيب ، سلوك مرتزقة الساواك ، مجابهة السجناء الآخرين للساواك ، روابط وعلاقات السجناء مع بعضهم وقضايا اخرى تؤثر في رفع معنويات الافراد والاساليب التي يلتجيء اليها الساواك في السجون من اجل زحزحة ارادة المناضلين وخلق عوامل الشكوكية واليأس والتردد لديهم ، اننا نعطي هذه التجارب أهمية بالغة جدا ، ومن خلال وضعها امام رفاقنا ونقلها اليهم بكل السبل ، فاننا نعلمهم بأن فترة الاسر بالذات هي فترة نضالية وامتداد لنضالنا ونحن طلقاء ، لذا فان الرفيق السجين لا يعتبر نفسه فردا خارجا عن الحلبة قط ، فهو يساهم في رفع وعي السجناء ونقل تجارب الرفاق الذين يقارعون العدو خارج السجن اليهم ، يساهم في طرح المسائل والقضايا النضالية المطروحة خارج السجن معهم وبحثها وفي وضع الخطط والاسس اللازمة لتقوية التنظيم في صفوف السجناء ودفعهم على ضوء المستلزمات والامكانات الواقية ، الى التظاهر والاضراب وحتى العصيان لكي يلعبوا بذلك دورهم النضالي الثوري وكأنهم احرار خارج السجن ، وثمة عامل مهم آخر وهو ان وضع هذه التجارب في متناول يد الرفاق السجناء واكسابهم المعرفة الحقيقية لكيفية مجابهة العدو واجهزته وهم في الاسر ، يؤدي الى ابقاء هؤلاء على اتصال مستمر بالعملية النضالية وتطوراتها يوما بيوم ، ولن يؤثر فينا بعد ، كالسابق ، الجهل بمخططات العدو ومناوراته ، واساليبه القمعية المختلفة ، والاوضاع النفسية التي يخلقه لنا . لكل ذلك ، فانه لا يمكن تعليل الضعف الذي قد يبديه بعض المناضلين عند التصدي للعدو بقلة تجاربهم ، وان شاء احد المناضلين ان يظهر ضعفا من هذا القبيل امام العدو فانه ليس سوى خائن للشعب ومرتد ، لن تغفر له خيانته وارتداده قط . لنرجع الآن الى قزل قلعة : ـ

بعد ان انهى الدكتور جوان مواعظه ! صعدنا الى السيارة وتحركنا كنت انا لابسا سترة ضيقة تعود الى انوش مفتاحي ، وسروالا برتقالي اللون رثا ممزقا ، وحذاء دونه حذاء ابو القاسم الطنبوري ، ولقد طال شعر رأسي ووجهي بشكل فظيع ، فبدى اجعد كثا شعثا ، ولا تزال اثار اللكم والضرب الكثير بادية على وجهي بوضوح . سارت وراءنا خمسة سيارات اخرى وعلى متنها ما يقارب التسعة عشر نفرا من مرتزقة الساواك ، تكررت عملية احناء رأسي الى الركبتين الى ان ابتعدنا عن قزل قلعة بمسافة معينة ، ولما وصلنا

المكان المعين للقاء المصطنع كانت الساعة قد بلغت الخامسة تقريبا ، فأصدر اقارضا اوامره الى افراده بالتفرق والكمون في الاماكن المعينة لهم ، وترجلنا نحن من السيارة التي وقفت بنا شمال ميدان فرح اباد وفي القسم الغربي من الشارع ، فسلمني اقارضا اطار دراجة قديم اشتراه في الطريق من احد مصلحي الدراجات .

والآن ، لنر كيفية توزيع الافراد في المنطقة : وقفت احدى السيارات في القسم الشمالي من ميدان (شوش) وعليها اربعة مسلحين مجهزين باللاسلكي لسهولة الاتصال بالبقية حال مشاهدة الشخص المطلوب والتصدي له من الخلف . بدأت انا السير من ميدان (فرح آباد) ومن الجانب الايمن للشارع بمحاذاة ساقية الماء الموازية للشارع ، جنوبا . أمر اقارضا احد الافراد الذي كان يحمل رشاشة في يده بالتحرك امامي داخل احدى السيارات ، والقفز من السيارة عند تلقي اول اشارة بقدوم الشخص المطلوب ، وامطاره بوابل من الرصاص في المنطقة الواقعة بين (الخصر) والى القدمين ، وهكذا فان سيارة تحمل اربعة مسلحين كانت تتحرك امامي ببطيء وعلى بعد مائة متر مني ، وسيارة اخرى تتحرك ورائي على بعد نفس المسافة مني ، اما ركاب السيارتين الاخريين الذين يبلغ عددهم سبعة اشخاص فكانوا يرافقونني من الجانبين : احدهم على بعد خمسة عشر مترا خلفي (كان هذا الشخص هو اقارضا شخصيا) ، وشخص آخر على بعد نفس المسافة امامي على الرصيف ، وآخر من الخلف وعلى بعد نفس المسافة من هذا ، وآخر يسير بمحاذاتي بالضبط بحيث يتوسط الاثنين الآخرين ، وكان من السهولة والوضوح بمكان مشاهدة هذا التوزيع من الجهة المقابلة من الشارع .

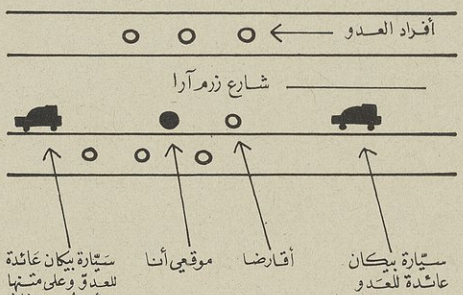

كانت الشمس تميل الى المغيب ، والشارع غارقا في هـذه الاثناء في بحر من الهدوء ، ولم تكن باصات النقل ووسائل النقل الاخرى مسرعة في سيرها ولم يكن في الشارع غير قلة من الرجال واكثرهم من العمال يسيرون ببطىء وتؤدة ، وعلى وجوههم امارات الارهاق والبؤس الشديدين ، وكنت انا الآخر ، وفي يدي الاطار اتحرك ببطء وهدوء بحيث لا يبدو عرجي كثيرا . سرت لمدة سبعة او ثمانية دقائق ولما التفت الى مرافقي شاهدتهم وقد تراجعوا وانظارهم شاخصة الى نقطة ما في المؤخرة ، فرأيت ان بعضهم قد تجمع حول غلام يمتطي دراجة بخارية وهم منهمكون في استنطاقه بتلهف، فتساءلت في نفسي عن حقيقة الامر ، وفهمت فيما بعد بأن راكب الدراجة عندما شاهد سيارة الـ (بيكان) وهي تسير ببطء في وسط الشارع ظن بأنها تحمل احدى العاهرات ، لذلك اقترب كثيرا من السيارة من باب الفضول وسعى الى دس رأسه داخلا ليكتشف حقيقة الامر ، لكنه لم يستطع رؤية ما في السيارة فكرر المحاولة عدة مرات فشك بأمره الساواكيون وقبضوا عليه ولم يطلقوا سراحه الا بعد ان تأكد لديهم انه لم يكن يحمل نوايا غير تلك التي ذكرت . وبعد دقائق ، تقدم نحوي أحد المارة وتفرس في وضعي قليلا وبدقة ، فظن انني انوي الصعود الى الباص لكنني لا املك بطاقة صعود او ثمنها ولهذا تملكتني الحيرة ، فمد يده الي وفيها بطاقة ، فنظرت اليه دون ان امد يدي لتناول البطاقة ، لكنه لم يقتنع فقال لي : ايها السيد ، أتريد ان تصعد الى الباص ؟ تعال معي . فأجبته : كلا ، امض في سبيلك ، فلم يملك غير الابتعاد عني وهو ينظر الي بشك وحيرة ، واعترض رجال الساواك طريقه وفتشوه بدقة وبعد ان تأكدوا من انه لا علاقة له بالسياسة من قريب او بعيد اطلقوا سراحه ! اما سيارة الـ (بيكان) الواقفة في ميدان (شوش) فكانت قد اوقفت عدة اشخاص من المارة وفتشتهم بدقة .

كلما اوغلنا بعيدا في الشارع ، خلا جانبه الايمن من العمارات والبيوت وظهرت الحفر والعثرات ، وكان المأمور الذي يمشي بمحاذاتي من هذا الجانب ، يقف بين الفينة والفينة ويلقي بعض الأسئلة على زميله ثم يواصل السير . كانت الدقائق العشرون تمضي نحو الانتهاء . لكن أي أثر للدراجة لم يظهر « ولم تصطدم بي أية دراجة من الخلف كما اقتضت علامات اللقاء » !. كان ركبنا في هذا الاثناء قد وصل الى مخازن تجهيز الماء العمومية ، وكانت هذه خاتمة الدقائق العشرين التي كان الموعد يجب ان يجري خلالها !. شاهدت اقارضا متكئا على احد المخازن وعلى وجهه امارات

التوتر الشديد ، فأشار الي بيده قائلا : تعال ، تقدم ، يكفي ... كانت الساقية التي تفصل بيننا عريضة وقد تخرب جانباها (شاطئاها) ، كدت أرقص من الفرح الفامر الذي تملكني أثر انتهاء مدة الموعد واجتيازي هذه المرحلة ايضا ، وبدون ان أشعر بأي ألم في رجلي قفزت الى الجانب الآخر ناسيا بأن « رجلي يجب ان تؤلماني !! » الا عندما كنت في الجانب الآخر من الساقية ، لكن السيف كان قد سبق العذل وكنت قد اجتزت الساقية قفزا، ففكرت في تغطية الخطأ وتظاهرت بالانزلاق والوقوع في الوحل ، ولم اخرج الا بعد تظاهر شديد بالعناء وبآلام شديدة في رجلي !، كان اقارضا ينظر الي باهتمام بالغ ، وكنت اتوقع ان ينقض علي ركلا وضربا ، ويطلب تكرار العملية مرة اخرى من الجنوب الى الشمال ، او يمكث مدة اخرى في المنطقة ، لكنه لم يفعل أيا من هذه ، فالدقائق العشرون تلك على قصرها مضت عليهم وكأنها عشرون سنة ! فكيف يمكنهم السماح لكل هذا العذاب بالاستمرار لدقائق « وبالاحرى ساعات ، اخرى ؟ وكان قائد العملية قد وضع الحد لكل شيء اذ كان قد اصدر اوامره بالكف عن التعقب والانسحاب فورا ...

تحركت بنا السيارات ، ووجوههم اسودت غضبا ، اما اقارضا نفسه فكان مشدوها طوال الوقت يناجي نفسه : بدأوا جيمز باندياتهم مرة اخرى ... ان ماذا كنتم تريدون ... أي مكان تحتلون ... يمسك بيده اطار دراجة ويتحرك من اول الشارع ... يتوجه شمالا ... يرتطم به شخص من الخلف ... ، واخذ يكرر هذه العبارات المبهمة مع نفسه لشيء من الوقت . رجعنا على اعقابنا مرة اخرى بخفي حنين وبخيبة أمل أكبر من المرات السابقة ، توجهنا نحو مكتب ساقي ... وصلنا السجن ، ونحي المانع جانبا ودخلنا ، هدوء عميق يخيم على الساحة ، ولا خبر عن هرج لاعبي الفاليبول ومرجهم ، توالت السيارات في الوصول ووقفت وراء بعضها ، ترجل الافراد ، بينما بقيت انا لوحدي في احداها . كدت اطير فرحا ، كثيرا ما يعتري الانسان فرح شديد لا يمكن وصفه باللسان . حقا انه لمكسب ثوري عظيم : ان تشرد عشرين نفرا من العدو في احدى الشوارع العامة بحثا عن الخيال دون ان ينتبهوا الى الحقيقة . ان يسيروا في الشارع لمدة طويلة مقطوعي الانفاس ، ويكمنوا هنا وهناك ، ويتربصوا في المنعطفات، ويعيشوا حالة ذعر وهلع شديدين لمدة طويلة . ثم يرجعون خالي اليدين يجرون وراءهم اذيال الخيبة والمرارة ، اما انت مدبر الخطة ، فتجلس في مكان قصي تضحك عليهم من الاعماق حتى وان لم يكن من الممكن غير ضحكة

القلب ... دخل بعضهم الى الفناء المحيط بمكتب ساقي ثم عادوا بعد برهة برفقة الدكتور جوان ، ها هو جوان ، يقف بجانب احدى السيارات متكئا عليها ينظر الي بعيون مغمضة تقريبا دليلا على مزيج الحقد والسخرية اللتين يكنهما نحوي ، اما آقارضا فكان منهمكا في شرح تفاصيل العملية الفاشلة له ، سمعته يرويها على الشكل التالي : ـ عندما ترجلنا من السيارة ، وطلبنا اليه ان يبدأ السير ، سار هو لهذه الدقائق العشرين كمريض يعاني من حمى بلغت درجتها الاربعين ، يرتجف ويعرج ، كان منظره يهتف من بعيد : اني معتقل ... وعندما انتهى الوقت وطلبنا اليه ان ينتقل الى الطرف الثاني من الساقية ، قفز كأي عنز جبلي ! ثم اخذ يعرج مرة ثانية ويمشي بصعوبة بالغة مدعيا بأن رجليه يؤلمانه ، ولما اعترضت على ادعائه هذا ، انبرى لي بلحن ينم عن النزاكة والادب ! مطرقا رأسه : انا لا اكن عداء شخصيا نحوك وانت كذلك ، فلا تلح علي بعد ـ كان الدكتور جوان ينصت باهتمام الى اقارضا وهو يتلو عليه هذه التفاصيل ، وعيناه لا تفارقانني ... تقدم مني فجأة كمن تذكر شيئا لتوه ، وقف على بعد خطوتين مني وتفرس في وجهي لثوان وهو يعض شفته السفلى ، ومن عينيه تتطاير آلاف السباب ، ثم التفت الى احد الساواكيين قائلا : كان علينا ان ندرك منذ اول وهلة بأنه لا خير يرجى من ابن العاهرة هذا ، وهكذا فاننا تكبدنا كل هذه المتاعب معه بدون مبرر وجدوى ، هيا ، اذهب ، وهات دراجته وسلمها اليه ، ليولي عنا ونتخلص من شره . تملكني شعور مفاجيء بفرح شديد لا يمكن تصوره شعرت بالراحة تظللني بأجنحتها الدافئة ، لكن كل هذا الفرح لم يدم سوى لثوان معدودات فلقد انتبهت بسرعة الى ان هذا الامر ليس سوى احدى (البلوفات) الصغيرة للدكتور جوان يبغي من ورائها ان يتأكد من ادعائي بالآلام التي اعاني منها في رجلي ، وهل استطيع الصعود الى الدراجة ام لا ؟ لذا قلت له ، والمأمور متوجه الى الدراجة :

ـ انا ، لو كانت قدماي تسمحان لي بالسير عليهما ، لذهبت مع الجماعة مشيا الى الموعد ، كيف استطيع اذن ركب الدراجة وقيادتها ، فأما ان تأخذوني الى البيت بالسيارة وهذا ما اشكركم عليه ، والا فاني لا استطيع ان أخطو خطوة واحدة ... تملكته ضحكة رغم انفه ، فحال دونها مخاطبا المأمور : تعال ... تعال خذه بالسيارة ، وتوارى هو عن الانظار . بعد ساعة واحدة كنت في (اوين) في الزنزانة أقص على الرفاق وقائع ما حدث لي ...

١٦ شهريور – ٧ سبتمبر (ايلول)

وضعوا اليوم ضمادات جديدة على الاماكن المجروحة والمكدومة من رجلي ، ولم يبق من الصداع الذي لازمني لعدة ايام ، أي أثر ، وغدوت قادرا على السير بشكل طبيعي ولذلك فلقد اشتركت في برنامج التمشي لهذا اليوم ، وحيث لا زلنا في الايام الاوائل من الاعتقال ، فان جميع تصرفاتنا تجري بحذر وحيطة بالغة ، ذلك لان احدا منا لا يعرف مصيره بالضبط ولا يعرف المحيطين به من السجناء ، ولا تتجاوز اغلب احاديثنا القضايا التأريخية او العلمية البحتة لنفس هذا السبب . تعالى الضجيج في الممر وشرع الحراس يذرعون الممر جيئة وذهابا ، فعلمنا ان الوقت ظهر ، طرقنا الباب ليفتحوها لنا ونذهب الى المرافق ، ونضمن بذلك الخروج مرة ثانية بعد تناول طعام الغداء بحجة غسل الصحون والمواعين ... تناولنا طعام الغداء وشرعنا نتمشى ، فلما فرغ الجميع وحل وقت غسل الصحون ، استغل الرفاق الفرصة وغسلوا عدة قطع من الملابس الداخلية اضافة الى الصحون ... ولقد حصل الرفاق على عدة اوتاد حديدية ثبتوها على الحائط ... وكانت هذه الاوتاد عزيزة علينا جميعا اذ عليها كنا ننشر الملابس بعد غسلها ، وبطبيعة الحال كان علينا ان نهرع اليها فنقتلعها عند الشعور بمقدم الحراس او المسؤولين حتى لا ينكشف امرها اذ كانت من جملة الاشياء المحظور حيازتها من قبل السجناء !

الساعة الآن هي حوالي الثالثة، أتى الجلادون يستفسرون عن احد الرفاق ، فأخذوه وكنا نظن انه قد اقتيد الى التحقيق لذا ساورنا قلق شديد عليه ، لكنه عاد بعد مدة حاملا معه اكياسا مليئة بالفواكه والخبز والقند فعلمنا انه كان قد اخذ لمواجهة اقاربه وانه تأخر لذلك السبب ، اذ لا يسمح لاي شخص بمواجهة أقاربه في معتقل اوين وكان هذا الرفيق قد اخذ الى سجن قزل قلعة لهذا الغرض ..

اضاءة المصابيح ، تعني لدينا ان شمس يوم آخر قد غاب وطويت من حياتنا صفحة اخرى ، واول شيء نتوقعه هو فتح البوابة الصغيرة ودخول يدين تمسكان بصينية تحوي طعام العشاء . فتحت البوابة كالعادة ، لكن اية ايد لم تدخل حاملة الصينية التقليدية بل دس حارس رأسه داخلا وبعد ان نظر الى القائمة الصغيرة التي كان يحملها في يده ، تلا اسمي وطلب الي ان اجمع جميع امتعتي فورا . تبادلنا مع بعضنا نظرات تساؤل لكن أيا من الافواه لم تنطق بشيء فلقد عجزنا جميعا، كما يبدو، من معرفة السبب.

قال احد الرفاق بأنه من المحتمل ان ينقلوني الى السجن العمومي ، وهذا ما افرحني كثيرا ، لكنه لا يعدو كونه احتمالا فقط ، على أي حال ، جمعت امتعتي التي لم تكن سوى سترة واحدة ! حملتها وسألت الحارس عند عودته الينا عن الجهة التي سيأخذني اليها ، لكنه لم يجب بشيء ... انهم لا يجيبون على أي سؤال من اسئلة السجناء ، وحتى فيما لو سألتهم عن اسم المكان الذي انت واياه فيه ، لما قالوا لك مطلقا انه « معتقل اوين » ... هكذا تقضي الاوامر ، فالسجين ، وفق مخطط مرسوم بدقة من قبل اجهزة الامن ، يجب ان يبقى معزولا عن العالم الخارجي تماما ، وهكذا فانه، أي السجين ، يبقى دوما في دوامة من القلق والارتباك . ارتديت سترتي وانتعلت حذائي المطوي عقبه ، ودس احد الرفاق في جيبي عدة تفاحات وبعضا من الحلوى ، تعانقنا وتبادلنا القبلات وشددنا بقوة على أيدي بعضنا البعض وعبارات الوداع : ليكن النصر حليفك ، وربت الرفاق على كتفي عدة مرات ، ورنت في الزنزانة وفي الممر لعدة مرات عبارة « ليكن الله في عونك » . سمعت وانا اجتاز الممر صوت باب الزنزانة تغلق ثانية ، اجتزنا الممر ، شاهدت في اسفل السلالم شخصا يحمل قليلا من الامتعة تحت ابطه ، متقدما في العمر ، علمت ان اسمه عاقلي زاده وسألته عن المكان الذي سنؤخذ اليه فأجابني بأنه على الاغلب سنلحق ببقية الرفاق في السجن العمومي . حقا ، لقد أصاب ، ادخلنا الى البناية رقم (٢) وصعدنا السلالم، فانفتح امامنا باب غرفة واسعة ، وكان بعض نزلاء الغرفة قد تجمعوا خلف بابها لدى سماعهم وقع الاقدام وصوت المفتاح وهو يدور ، واستقبلنا في عتبة الغرفة بوجوه مستبشرة وباسمة ، حقا ، انه لامر باعث على الغبطة الشديدة ، ضحكنا جميعا فرحا ، نهض الآخرون جميعا حتى اولئك الذين كانت ارجلهم مثخنة بالجراح . اغلقت الباب ثانية وتجمعوا حولي في حلقة ضيقة رغم كبر عددهم ، وتعارفنا على بعضنا البعض وتصافحنا . ان المرء ليشعر بأنه سبق وان رأى جميع هذه الوجوه ، لذا تتزاحم في المخيلة الاسئلة المتلاحقة : اين رأيت هذا ؟ واين ذاك ؟ واين الآخر ؟. انتهى التعارف، وجلس الواقفون ، وتبين ان في جعبة عاقلي زاده بعض الاخبار ، فأمطروه بالاسئلة بولع متميز . كنت جالسا على وسادة صغيرة اتفرس في الوجوه الحالمة حولي ، فلربما عرفت احدا منهم باسمه ! والجميع هنا معارف واصدقاء ولا شيء يحجز بعضنا عن البعض الآخر ... اقترب مني شرف الدين وربت على كتفي فلما التفت اليه ، امعن النظر في ملامحي قليلا ثم قال مبتسما : ـ

ـ انك تشبه أخي بشكل يثير الدهشة ... ولقد كاد ان يشتبه علي الامر فأحسبك أياه . قلت له :

ـ لا فرق ، فأنا ايضا أخ لك . عانقني بحنان وقبلني . ما اشده مرحا ورقة ... ما اشد طيبة هؤلاء الثوريين وخفة ظلالهم ! لم أعد أحس بأي شيء من القلق والانزعاج هنا ، الجلاس والندماء كثيرون ، المكان فسيح والوسائد والاغطية متوفرتان ، وفوق كل ذلك هناك بعض الكتب مثل « سفرنامة ناصر خسرو » وكتاب فلسفي ، وعدة اجزاء من سلسلة « كتاب الاسبوع » ومجلات اجنبية مثل التايمز والنيوزويك . ليس هنا من يقول لك : « تكلم بصوت واطيء » او « لا ترفع صوتك » كلما اردت الكلام ، ولدينا برامج ترفيهية كالغناء ، التسلية ، الرياضة وغيرها وقد جرى تقسيم العمل بشكل منظم لا يليق الا بالمناضلين : ينتخب يوميا شخصان حسب توالي اسرة النوم يدعيان « رئيس البلدية » مهمتهما الاشراف على قضايا النظافة ، استلام الخبز والطعام وتوزيعه ، بسط السفر وغسل الفواكه والصحون ... وشخص آخر يدعى « المحافظ » يقوم بمهمة تقسيم الفواكه والحلويات وتعين اوقات التوزيع واعلان البرامج اليومية .. وكانت الاجتماعات تستغرق ساعتين او ثلاثة كل يوم يتم خلالها الاتفاق على وقت توزيع الحلويات والفواكه ، انتخاب رئيس البلدية من احدى المجموعات ويتم اقرار كل شيء بالاتفاق الاجماعي . وعلى أي حال ، فان هذه الاجتماعات لم تكن تخلو من المزاح والهزل طوال انعقادها .

في هذه الليلة شكل الرفاق حلقة دائرية ، وتعالى صخبهم وضحكاتهم ، لم يعلن البرنامج بعد بشكل رسمي . جلست بالقرب من مؤيد وهو منهمك في خياطة سروال عمل واسع الرجلين تمزق ، نظر الي وهو يحاول قطع الخيط بأسنانه وسألني عن التهمة التي القي القبض علي بسببها ؟ ، حلق رأسه لتوه وقد اكتسب بهذا الرأس المحلوق قيافة تفيض ذكاء وشيطنة ، ابتسمت وقلت :

ـ لا شيء ، بلا سبب ، اعتقلت من دون مبرر .

ضربني على صدري بظهر يده وبخفة قائلا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ الكلكات حتى معنا ، لم يعد هناك من مبرر نعم ! كل هذا العذاب للاشيء ؟ من يصدق ذلك ؟...

توثقت العلاقات بيننا الى حد بعيد بعد هذا الحديث القصير ونشأت بيننا علاقات ودية للغاية . كان اكبر رفيق سريع التآلف ، مندفعا ، يتدفق

نشاطا واخلاصا ، كان بمقدوره أن يلج كل قلب دونما اية مقدمات وأن يجد له مكانا فسيحا في كل قلب ، كان قطعة من الحركة والنشاط ، لم يكن يعرف للهدوء والاستقرار معنى حتى للحظة واحدة ، كان بمثابة «الدينمو» المحرك للنشاط في القائمة رقم (٥) ، الابتسامة لا تفارق شفتيه قط ، يقوم بحركات واعمال يقتلع الضحك والقهقهة من الاعماق يرهف الاحساس ، صعب وصارم في المسائل الجدية ، عميق الفهم لقضايا الحركة وسريع الاستيعاب لكل المسائل المطروحة ، لكنه كان يفتقر الى التجارب العملية لقلة ممارساته الثورية خارج السجن ، اذ كانت مثل هذه الممارسات قليلة بالذات عند ذاك ، كان يسخر من الموت ... ولم يكن يفكر قط بأن له أبا وأما على رغم كونه وحيدهما ... لم اكن استطيع التصور ولم يكن احد غيري يستطيع ، بأنه سيعدم ، كلا لم يفكر احد في ذلك مطلقا ، هل يستطيع الجلادون ان يقدموا على الجريمة النكراء مع مثل هذا الانسان ؟... لكنهم اعدموه ، لانه كان قد اشترك في مداهمة احدى محاكم الشاه العميل المعادية للشعب واصلاها بوابل من نيران رشاشته ... لانه لم يرض باساءة سمعة مجموعة من ثوار منظمة « فدائي الشعب » حتى في احدى المحاكمات السرية ولدى تلاوة المدعي العام ، الآلة المنفذة لاوامر الشاه الجلاد ، قرار التجريم ضده واصفا اياه ورفاقه « بالعصابات » ، صاح عليه اكبر مؤيد قائلا :

ـ يا عديم الشرف قل « فدائيي الشعب » .

لنعد الى السجن . اعلن البرنامج رسميا وساد القاعة صمت عارم وترك كل شخص ما كان منشغلا به ، شرع البرنامج ، الفقرة الاولى عبارة عن عشرين سؤالا ، انتخب احد الرفاق لالقاء الاسئلة وثلاثة آخرون للاجابة : ـ

١ ـ جامد ... ١٥ ـ ... ١٦ ـ ... ١٧ ـ نظرية خاصة ... ١٩ ـ سبيل الكفاح المسلح . (هكذا شرع الجميع يتهامسون بينهم بالاجوبة قبل الافصاح عنها) .

يوضح طارح السؤال بأنه يعني استعمال تاكتيك لا ينفصل عن السلوك المسلح المؤدي الى الكفاح المسلح ، ... ٢٠ ، ... ٢١ ، انتهت الاسئلة ، لا يمكنهم الاجابة على الوجه المطلوب ، يشرع رفاق آخرون بالقاء الاسئلة : ... أهو تشكيل الحزب ؟... كلا ... أهو حرب الانصار في الجبال ؟.. كلا .

اجاب طارح السؤال : الدعاية المسلحة (Armed Propaganda) ،

تعالت الهمسات : آه ... صحيح ... انا تصورت ...

حان وقت النوم ، لكن الرفاق لا يغلبهم النعاس . اطفئت المصابيح ... الساعة هي الثانية عشرة ... تعالت الهمسات ثم تضاءلت الى ان تلاشت بشكل تدريجي . اجفاني تأبى الانطباق على بعضها ، فهي ليلتي الاولى في السجن العمومي ... غط الرفاق جميعا في نوم عميق وتعالى الشخير من البعض ... لا أعلم كم هي الساعة ؟

١٧ شهريور – ٨ سبتمبر (ايلول)

في الصباح ، استيقظت مع اول قرقعة احدثها انفتاح الباب ... الجميع لا زالوا نياما ... خرج من القاعة واحد او اثنان من الرفاق الدينين للتوضؤ . نهضت وجلست القرفصاء على المنام ، ارتفعت الشمس شبرا أو اكثر من خلف الافق بينما انهزم آخر جحافل الظلام ... استيقظ الرفاق الواحد بعد الآخر وجمعت الاغطية ، بينما جلس البعض على مرتفع حول الحديقة ليعرضوا أنفسهم لاشعة الشمس التي لم تشتد حرارتها بعد . اوامر مدير السجن تقضي بألا يخرج السجناء في مجموعة تزيد على الخمسة اشخاص ، تتبعها مجموعة اخرى بعد ان تعود المجموعة الاولى ... وهكذا توالى خروج المجموعات وعودتها ... قضى كل فرد حاجته ، وبسطت السفرة كشريط ابيض طويل على امتداد القاعة ووزعت عليها قطع الخبز على مسافات متساوية من بعضها تقريبا وجلس الرفاق حولها . يحمل المحافظ وعاء مليئا بالجبن وشرع يوزع قطعا صغيرة منها على كل قطعة خبز ... اليوم يبعث على الراحة والاطمئنان ... لدينا شيء من مادة السكر اذا نستطيع ان نشرب شايا حلوا حيث ليس هنا حديث عن الشاي المفعم بالقند الوفير ولم يعد هناك ذكر للاقداح الاعتيادية الكبيرة .... رصفت الاقداح البلاستيكية الصغيرة بجانب بعضها وعدد من قناني الحليب المعقم واثنان او ثلاثة اقداح من اللبن في وسط الخوان ثم غطت بقطعة نايلون نظيفة ... فتح الباب ودخل اثنان من الجنود يحمل احدهم عليه قند والآخر ابريقا كبيرا «انبعجت» اطرافه من فرط قدمه... رفعت قطع النايلون من على الاقداح وملأها الجندي بالشاي الواحدة بعد الاخرى ثم ناول زميله احد الرفاق شيئا من القند ، غادرا الغرفة واغلق الباب مرة ثانية ... تناولنا الفطور بشهية فريدة ، ونظف كل امامه مما تجمع من فضلات ثم تنحى جانبا وانهمك رؤساء البلدية بطوي السفرة وصبت خميرة

الخبز في كارتون خاص .. حان الان موعد كنس القاعة فتولى امر ذلك احد الرفاق حسب الجدول وكنس الغرفة الى العتبة بعناية بالغة بحيث لم يثر أي غبار ، ثم نظف الرفوف من الغبار العالق واعيدت الادوات والحاجات المستعملة الى اماكنها بشكل مرتب وشرع احدنا بغسل الفواكه المخصصة للتوزيع لهذا اليوم ... انقسم الرفاق خلال ذلك الى مجموعات متفاوته في العدد ، البعض يتحدثون ، وآخرون يضحكون لنكتة اطلقها احدهم ... المحافظ منهمك في صنع بيارق الشطرنج من خميرة الخبز الطرية ، اربعة من الزملاء يلعبون النرد واثنان يلعبان الشطرنج باهتمام وولع خاصين وجمع من الرفاق يراقبون اللعب حولهم ، وتتوالى التعليقات حول اللعب .

احد الرفاق متوعك قليلا ، مضطجع على فراشه يتمتم مع نفسه اشعارا لرية (١٥) ويحفر كلمات الاشعار على ورقة المنيوم بواسطة مسمار ... وفي طرف آخر من القاعة اثنان من الرفاق يطالعان بعناية موضوعا حول حركة « الفهود السود » في احدى المجلات الاجنبية وعدد آخر يذرع القاعة جيئة وذهابا ... وثمة فئة اخرى تجمعت حول الاستاذ بي وهو يتحدث اليهم ، وآخرون يتلون القرآن الكريم في احدى زوايا الغرفة ... وبيننا شخص آخر اختار العزلة عنا جميعا قابعا خلف الشباك غارقا في تفكير عميق ... هكذا شأنه طوال اليوم ، لا يكلم احدا ولا يقوم بأي عمل ولا يترك مكانه الا في حالات قليلة فيخطو خطوات معدودة في وسط القاعدة ثم يقفل راجعا الى صومعته !

الساعة الآن هي العاشرة ، فتح الباب ونودي على ثلاثة من الرفاق ، وتعالى صوت البعض قائلين : ماذا هناك ، هل عادت القصة مرة اخرى ؟ اقتيد الثلاثة المذكورون الى الخارج ثم عادوا بعد ساعات قلائل . كان احدهم قد اشبع ضربا ، بينما اكتفى الجلادون باستجواب الاثنين الآخرين ... ترك الجميع اعمالهم وتجمعوا حول هؤلاء الثلاثة : ـ

ـ حسنا ، ما الخبر ...؟ ما الذي طلبوه منكم ؟ من من المحققين كان هناك ؟ من حقق معك ؟.. هل ضربوك كثيرا ؟ هات بالمرخم ... هل رأيت ايا من المعتقلين الآخرين ؟

ـ نعم ...

ـ وماذا قال لك ... هل هناك اخبار جديدة ؟

ـ الطلبة اضربوا عن الدوام والجامعة اغلقت ... اعتقلت مجموعة اخرى ولست ادري عنهم وعن اسمائهم شيئا .

(١٥) اللر احدى العشائر الكردية الايرانية تتكلم بلهجة خاصة ـ المترجم .

احداهما واقفة تنتظر التاكسي . فقال لي الساواكي : لو كنت اعلم انهم سيمكثون في الداخل لهذه المدة ، لكنت قد اخذتها الآن ونلت منها بغيتي!، آه لسوء حظي !!. تمنيت لو كنت احمل سكينة اغرقها الى المقبض في قلب هذا التافه القذر واتخلص منه . عاد الثلاثة . ولئلا ينطبق عليهم المثل المشهور (عادوا بخفي حنين) ، جلبوا معهم ما يقارب الستة من الكتب المختلفة ، اخذوها من الطاق الصغير الواقع في غرفتي وكانت امارات الخجل والشعور بالفشل وخيبة الامل بادية على وجوههم بجلاء ، وبدا لي ان خوف التعرض لهجوم مفاجيء في اية لحظة لم يبارحهم طوال تلك الفترة ، لذا ظلوا مبهوتين لمدة طويلة لا يتحدثون بشيء ... واخيرا ، تجرأ المأمور الذي بقي معي على كسر جدار الصمت مستفسرا : ـ

ـ ماذا كانت النتيجة ، هل حصلتم على شيء ؟

كان اقارضا يحترق غيظا لفشله الذريع في تحقيق ما كان يهدف اليه ، فانفجر في وجهه غاضبا ككومة بارود اضرمت فيها النار :

ـ ماذا كنت تتوقع ان نحصل عليه ، غير سيل من عبرات امرأة عجوز ، تجد نفسها وقد قضت زهرة شبابها تربي ولدا ، لكي يأتي ذلك اليوم الذي تستطيع ان ترتاح في كنفه ، وقد حان ذلك الوقت فعلا ، لكنها لا تدري بأن ابنها البار ! قد تورط في السياسة !! وبطريقة جيمزباندية ، حاملا اطار دراجة في يده يمشي في الشارع ... قل لي ايها الفلام ، اين ولى عقلك ؟ ما شأنك بمثل هذه الاعمال وانت لست سوى عامل بسيط ؟ ان الانسان ليتحرق بكاء عليك وعلى تلك العجوز امك وعلى الحياة القاسية التي كنتما تعيشانها ... ماذا كنت تتخيل ان تجني من وراء هذه الاعمال ؟ ... كيف كنت تبغي اشباع بطن امك وبطن اخيك ؟ أبكتب ماركس وانجلز وماو ؟ حقا ان الانسان لتأخذه الحيرة بشأنك ، ألم تأخذك الرأفة بتلك العجوز على الاقل ؟ ... لقد كانت المسكينة تبكي وتنوح وتصرخ : ابني ... اين ابني بشكل يذيب الصخر !!

توقف هو عن الكلام ، فانبرى لي شخص آخر منهم ـ يشبه مجرما محترفا على حد تعبير امي كما وصفته لي بعدئذ ـ وهو يقلب الكتب : ـ

ـ ما هذا الكتاب الاجتماعي ، وما هذا الكتاب الجنسي ؟ قلت :

ـ ما وجه الضرر فيهما ؟ كنت ابغي مطالعتهما (ولا بد ان اذكر هنا بأني لم أكن اعرف اصلا من أين اوتي بهذين الكتابين ، ومن المحتمل ان واحدا منهم اخرجهما من جيبه ودسهما بين الكتب نيلا مني) .

وقال آخر : التقينا في داركم بعمتك وابنتها ، وابلغتنا انه مضى على

فتح الباب بعد قليل ، والمطلوب هو أنا في هذه المرة ، امرت بالتهيؤ فانتعلت حذائي ، وغطى الحارس وجهي بسترتي وسحبني من يدي خارجا، نزلنا من السلالم ودخلنا الفناء ، فتح امامنا باب حديدي ودخلنا القسم الاول من السجن وصعدنا سلالم اخرى ووجدت نفسي فجأة في الممر المؤدي الى غرفة الاستجواب والتعذيب ... رفع احدهم السترة عن رأسي وسألني :

ـ هل انت (...) (ذاكرا اسمي)

ـ نعم . فتوجه الي آقارضا قائلا :

ـ انظر ، نحن نبغي الذهاب الى منزلك ، دون العنوان الكامل الدقيق لمنزلك على هذه الورقة (ناولني ورقة) .

فدونت على الورقة اسم الشارع الرئيسي والشارع الفرعي وأشرت موقع الدار . نزلنا من السلالم ودفعني اربعة اشخاص الى داخل السيارة تحركت بنا حالا . كان احدهم يحمل رشاشه غطاه بسترتي عند وصولنا . كرر اقارضا في الطريق نصيحة علي لعدة مرات : ـ

ـ انظر ، ان كان هناك في بيتك مخزن ، او مخبأ او أي مكان خصوصي لاخفاء الاشياء ، فأكشفه لنا ولاتخلق لنا ولنفسك المشاكل والمتاعب ، وانت تعرف جيدا ما ينتظرك لو عثرنا على شيء من هذا القبيل .

ـ أؤكد لك بأنه لا شيء من هذا القبيل موجود في دارنا ، بل ان كنتم تريدون رأي ، فاني اؤكد لكم ان لا حاجة لتفتيش بيتنا اصلا ، اذ لن تعثروا على شيء ولن يؤدي التفتيش الا الى ارعاب امي ... انا لا املك شيئا سوى عدة كتب مهملة في احدى الرفوف وهي ليست سوى كتب اعتيادية .

كانت السيارة التي تقلنا الى بيتنا من نوع « بيكان » بيضاء اللون ، اوقفت امام دارنا ، وترجل منها ثلاثة منهم بينهم اقارضا نفسه . وابقيت انا مقيد اليدين تحت رحمة احد رجالهم الاقوياء . كنت قد اطرقت رأسي لئلا يشاهدني احد اقاربي ، وكان على مقربة مني يقف احد رجال الساواك . وثمة امرأتان تتحدثان بالقرب منا ، كانت احداهما تنوي توديع الاخرى . فابتعد الساواكي التافه عني ووقف بالقرب من المرأتين اذ لم ينس اهواءه الشيطانية حتى اثناء تأديته لواجبه ... شرع ينظر اليهما بعينين تقطران شهوة وشوقا ، فاقترب مني ثانية وهمس قائلا :

ـ حبذا لو كان بوسعي ان احملهما بهذه السيارة ، اية قطعة جميلة هي هذه !! طال مكوث الثلاثة الذين ذهبوا لتفتيش دارنا ، بينما ظلت

عدم ترددك عليهم ما يقارب الاسبوعين ، ولهذا جاءت هي وابنتها تستطلعان الحقيقة . اما النقطة المهمة هنا ، فهي موضوع خطيبتك ، فعندما القينا عليها بعض الاسئلة حول القضايا المختلفة ، اجابتنا بشكل دل على علو ثقافتها ، ويبدو لي انك كنت تثقفها بنفسك وتبغي تحويلها ، هي الاخرى ، الى سياسي مثلك ! أليس كذلك ؟... صرخ اقارضا في وجههم (عندما رأى انهم شرعوا يأخذون الموضوع بالسخرية الامر الذي يمحي تأثير موعظته الطويلة علي) قائلا : ما هذه السفاسف ، لماذا لا تدعونه يفكر في بيته ، وحياته ، ومأساته ، كفاكم هذرا . فسكت الجميع . حقا ان اقارضا حريص جدا علي !! حقا انه لثعلب ماكر !! انه ينوي تحويل انظاري الى اوضاعي الشخصية بحيث تسيطر رداءة الواقع المعاشي الذي كنت اعيش فيه على تفكيري ويدفعني باتجاه التفكير في ان واجبي هو السعي لتحسين هذا الواقع المعاشي المزري لا التورط في مسائل اخرى انا في غنى عنها !! وبالتالي استنتج بأني في وضعي الحالي لست سوى انسان مضلل ومخدوع ! وبأني قد تورطت في هذه المسائل عن غباء ذاتي دونما مصلحة خاصة ... لقد كرر عدة مرات الحديث عن الدموع السخية التي ذرفتها امي وبؤس اخواتي الصغار ، محاولا دغدغة عواطفي وتحريكها واثارة كوامن العطف في قلبي فيركعني امام هذه الروابط العاطفية ذليلا خانعا . لكني كنت على يقين تام بأن دموع التماسيح هذه التي ذرفوها على امي انما تهدف الى ارضاخي للامر الواقع واجباري على الشعور بالعطف عليهم وعلى اسيادهم ... حقا انه من السخرية التي لا يطيقها المرء الثوري : العطف على الاعداء !! هذا العدو الذي يثقل قلوبنا حقدا عليه وكرها له ، العدو الذي احدث في أفئدتنا كل هذه الجراحات العميقة التي لا تقبل الالتئام ! والا فمن ذا الذي يفيض حبا واخلاصا للآخرين بقدر الانصار الثوريين ؟ اننا نذوب حبا لامهاتنا ، لآبائنا، لاخواتنا ولاخواننا ولكل الناس الطيبين الذين تسحقهم طاحونة الدكتاتورية الجائرة وتمارس ضدهم ظلما طبقيا لا يطاق خدمة لاسيادها الامبرياليين .

عدنا الى « اوين » ، صعدنا السلالم وبقيت برهة في الممر انتظر ما سيستجد من الحوادث . قدم شخص نحوي ورفع السترة عن وجهي فلما لمحته ظهر لي انه طهراني وطلب الي ، بكل لطف وادب ، الجلوس على كرسي وضع في الممر مقابل مكتبه ثم امر لي بفنجان شاي ساخن وجلس هو بجانبي ومد يده ومسكني من يدي ! وادار شريط اللغو الفارغ الذي سئمت تكراره : حبيبي (...) ، مم تخاف ؟ لماذا كل هذا الامتناع عن ذكر ما في قلبك ؟ اليوم تفحصت اضبارتك بدقة ولعدة مرات ، فتوصلت الى

حقيقة انك قد تركت كثيرا من القضايا المهمة ولم توضحها لنا ، ألم تعد بأن لا تبقي شيئا في صدرك ؟ هل لا زلت تشك في صدق نوايانا وصداقتنا بحيث تتردد في سرد جميع المعلومات لنا ؟

قلت : انا ذكرت لكم كل ما اعرفه ولم استبق شيئا ، ما هي الاشياء التي لم اتحدث عنها ؟

أوتي بالشاي داخل فناجين كبيرة وجميلة مرصوفة بعناية على صينية خزفية ! وقبل ان يجيبني طهراني على سؤالي ناولني فنجانا من الشاي وطلب الي ارتشافها ، ثم استأنف الحديث مرة اخرى قائلا : انظر ، نحن لم نسلك معك سلوكا عدوانيا ، وسنسعى الى الاستمرار هكذا ، ولا نبغي ايذاءك مطلقا ، هيا امسك بهذا القلم واكتب كل ما يدور بخاطرك من صغيرة وكبيرة ، تذكر ، لماذا نسيت المكان الفلاني فأجبرتنا على ايذائك وتعذيبك ؟ نحن اعتبرنا ، في قرارة نفسنا ، هذه النواقص في اضبارتك من قبيل النسيان ، وهو كذلك ، ذلك لانك ابديت التعاون معنا ! ولنفس السبب فاننا سنتصرف معك بطريقة لا تنم عن غير الصداقة والاحترام تجاهك ، والآن ارجو انك قد اعرت آذانا صاغية الى ما ذكرته ، وسوف آتيك بالاوراق حالا وما اريده منك هو ان تجلس وتفكر بهدوء وعمق ثم تذكر باسهاب كل ما يمر بذاكرتك من وقائع منذ اول يوم بدأت فيه حياتك السياسية ، ما صادفك خلال هذه الفترة ، العلاقات التي كونتها مع الآخرين ونوعيتها ، عمليات مبادلة الاراء مع الناس الآخرين ذاكرا اسماءهم ، الكتب التي طالعتها ... اياك ان تترك شيئا او تغفل عن ذكر حادث مهما صغر ، او ان توجز في السرد اذ ان كل ذلك من شأنه الاساءة الى هذه الصداقة الوثيقة التي تكونت بيننا !! ثم قام واندفع نحو مكتبه وعاد حاملا معه رزمة من الاوراق تبلغ الـ (٥٠ ـ ٦٠) ورقة ويبدو انه كان يتوقع ان اسرد له رواية ! جلست على الكرسي ، تذكرت حديثه كلمة فكلمة ، ولم يكن بوسع فنجان الشاي الحار والعبارات الودية التي تنضح محبة واخلاصا ان تمحي من ذاكرتي لسعات سياطه التي هوى بها بكل وحشية على جسدي لمرات ومرات اذ لم تكن ضمادات رجلي قد رفعت بعد من على الجروح رغم مرور سبعة ايام بلياليها ، وكنت لا أزال احرك رجلي بصعوبة بالغة عند السير ، ولما تزل السباب البذيئة التي اطلقها لسان هذا الجبان المحتمي في لباس أم رؤوم ترن في اذني . دعنا من السياسة الآن ، لكن هل تستطيع العبارات الودية لحضرة السيد ! طهراني أن تمسح عن ذهني كل ما قاسيته على يد هذا الجلاد ؟ لم تمض مدة طويلة ، على تلك الايام والليالي السود حيث

كان ينقض فيها علي هذا الطهراني بالذات كالنسر الجائع يفرز مخالبه الحادة في جسدي ، يهوي علي باللكم والركل والسياط اللاسعة من الرأس الى أخمص القدمين ...

على أي حال ، كررت كتابة ما كنت قد كتبته وادليت به سابقا بدون أية اضافات ، بل اختصرت منه بعض الاشياء ، « انهم لا يبغون من وراء عمليات التكرار هذه سوى الاطمئنان على صدق ما كتب سابقا فلربما ظهر التناقض او الكذب عند التكرار ، وعندما يتملكهم اليأس من تحقيق اية اضافات جديدة ، فانهم يقتنعون من اني لا اعرف غير ما دونته وادليته به لهم مرارا » ، هكذا فكرت في نفسي ومن هذا المنطلق انطلقت عند تكرار العملية ، ولقد صدق ما ذهبت اليه فعلا .

ولا بد هنا ان اشير الى السلوك الودي الذي اتبعه الساواكيون معي اخيرا ! اذ ان ايا منهم لم يمسسني بأذى بعدما انقض علي جمع منهم لآخر مرة في سجن قزل قلعة الامر الذي اشرت اليه في مكان آخر من هذه المذكرات ، ويرجع سبب ذلك الى التصرفات المصطنعة التي قمت بها والسلوك الساذج الذي مارسته خلال عمليات الاستجواب والتحقيق الامر الذي حملهم على الاعتقاد الراسخ بأني لست سوى انسان ساذج وان تورطي في السياسة لم يكن لسبب غير السذاجة وعدم الفهم ! وكان احتفاظي بخط ثابت في التصرف والسلوك وهدوء وبرودة اعصاب عند الاستجواب ، بعيدا عن ايقاع النفس في التناقضات والمتاهات ، كل ذلك رسخ اكثر فأكثر التصور الذي أخذوه عني .

كان الوقت قد تأخر عندما رجعت الى الغرفة رقم (٥) ، وحال دخولي امطرني الرفاق ، الذين كانوا في بالغ الاستغراب من تأخري بهذا الشكل ، بالاسئلة المختلفة فأوضحت لهم كل شيء كما ينبغي ..

١٨ شهريور – ٩ سبتمبر

استدعي اليوم الرفيق اكبر مؤيد ، اقتادوه ووجهه مغطى بمنشفة ... بعض الزملاء مشغول في اعماله وواجباته اليومية ، ورفيق مضطجع في احدى زوايا القاعة على الفراش لاصابته بوعكة صحية لم يشف منها بعد ، وهو يتأمل الاسماء المدونة على الحائط فوق رأسه وبعدها ... فكل من يسوقه حظه الى هذا السجن يكتب اسمه على الحائط وهذا تقليد يمارسه أغلب السجناء ...

كانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف اذ فتح الباب ودخل منه اكبر مؤيد ، كان يحاول اخفاء حزنه ، لكن سيماءه لم يكن يدل على غير ذلك ، والح عليه الرفاق ليقص عليهم ما جرى له ، فنزل عند رغبتهم : لقد سقوني سوء العذاب ، بدأوا معي وكأني صديق حميم لهم وعزيز عليهم : ايها السيد المهندس ، أليس من الحيف ان تجلب على نفسك كل هذا العذاب ؟ وتقحم نفسك في هذا العمل مع شخص امي مثل جعفر نجفي ؟ فلم يكن هذا والله ليجدر بك ابدا . لقد كان بوسعك ان تحصل شهريا على اثنتين او ثلاثة آلاف من التومانات ، فماذا دهاك لتتورط في مثل هذه المتاعب ؟ هب انك كنت تشعر بنوع من الرضا او السخط في البلاد ، ألم يكن من الافضل ان تشغل منصبا في احدى ادارات الدولة وتقف بوجه مصدر السخط ؟ حسنا ، ليس كل ما حدث بذي اهمية فدعنا منه ! فلست الآن منزعجا لسبب من الاسباب ، اليس كذلك ؟ ما حدث حدث ، هل ترغب في ان نتمشى قليلا سوية ، وان نرتشف كأسا ، ثم نتجول قليلا في الميادين والساحات ...؟ آه ، تذكرت ، هل لا ينقصك شيء ؟ وهل لا تشكو من شيء ؟ لا تشعر بأي حرج او خجل ، اذا رغبت في معاشرة النساء او ما شابه ذلك فسنكون في منتهى السرور ان نوفرها لك ، وبين الاحباب تسقط الاداب كما يقول المثل ، أليس كذلك ؟... حسنا ، ماذا تقول الآن؟ ما رأيك ؟

ـ اجبتهم بخشونة قائلا : يبدو انكم نسيتم التهمة التي اعتقلتموني بموجبها ! ولما ايقنوا من انه لا خير يرجى مني ، تركوني جميعا ، وما لبث ان اقبل طهراني والقى علي بعض الاسئلة ، ثم قال لي : « كان هناك في سيارتك قميص وسروال ، وقد جلبتهما لك ، فاتبعني » وما جرى جرى ... كان اكبر طوال النهار يبدو كالمصعوق ، حزينا ، شارد الذهن .

كانت الساعة تشير الى الثالثة والنصف مساء ، والرفاق جميعا نيام ، عندما فتح الباب فجأة ودخل علينا طهراني لوحده . جلس على احد الاسرة واستيقظ الرفاق الواحد بعد الآخر من النوم ، فخاطبهم طهراني قائلا : ايها السادة ، ارجو ان لا أكون قد افسدت عليكم راحتكم ، اعذروني لدخولي عليكم في وقت راحتكم ! ولسوف لن أظل هنا كثيرا ! نادى على كلشائي وبعد ان همس في اذنه بعض الكلمات استدعى مؤيد (المقصود هو اكبر مؤيد ـ المترجم) وتبادل معه بعض الحديث ، ثم اطلق ضحكة عالية وشرع يصطنع بعض الحركات عند الكلام محاولا ان يظهر بأن علاقته مع

مؤيد ودية جدا !! ثم استدعاني ، وخاطبني بصوت عال بحيث يسمعه الآخرون :

ـ نفذنا العمل الذي اوصيتنا به وارسلت الى والدتك مبلغ (٢٠٠) تومان وسوف نرسل لها من الآن فصاعدا مبلغ (٤٠٠) تومان شهريا كمعونة لها لادارة شؤون البيت الى ان يتقرر مصيرك ، والآن ، ليس هناك ما يستدعى القلق عليهم ، أليس كذلك ؟ وسوف نطلق سراحك خلال هذه الايام ان شاء الله !

ليس خافيا ما كان طهراني يقصده من وراء هذه المناورة ، الا وهو اثارة الشكوك والظنون حولي لدى الرفاق وخلق نوع من عدم الثقة نحوي لديهم ، اضافة الى تهيئة مستلزمات انهيار معنويات بعض الرفاق وتذليل الشخصية السياسية للبعض الآخر من الذين كان مهتما جدا بهم من بين الرفاق ، وهكذا يكون قد قتل عصفورين بحجرة واحدة ! لكن الرفاق كانوا على علم تام بما في جعبته مسبقا ، لذا فانه عاد من حيث أتى دون ان يترك حديثه ومناورته تأثيرا على احد ، وهكذا قبرت المحاولة اللئيمة .

١٩ شهريور ـ ١٠ سبتمبر (ايلول)

في الساعة العاشرة والنصف ، فتح باب الغرفة واندفع سجان داخلا وتلا اسمي بسرعة ، ولما عرفته بنفسي ، خاطبني قائلا :

ـ هيا ، هيا اسرع ، اتبعني ، ولم يسمح لي حتى باستبدال سروالي ولم يفسح لي المجال من كثرة الالحاح والدعوة الى الاستعجال ان اتفرغ لغير انتعال حذائي وسحبني من يدي من دون ان يغطي وجهي ، على غرار المرات السابقة . يا ترى ، ما الخبر ؟

نزلنا من السلالم ، وظل يسحبني بقوة وسرعة ، فاعترضت على اقتيادي بهذا الشكل مبينا بأن رجلي تؤلماني ... فتمتم بأن هناك امرا في غاية الاهمية ولم يلتفت اصلا الى ما كنت أقول واستمر يسحبني من يدي وراءه ... اجتزنا بابا حديديا ودخلنا فناء القسم الاول ، فرأيت ان المكان يغص بمختلف انواع السيارات بيكان ، شاهني ، مارسيدس بنز ، فاكسهول ... وهي على أهبة الاستعداد للتحرك وترسل محركات بعضها هديراً موحية بأن وراء الاكمة ما وراءها ... انتبه الجميع الى مقدمي وتقدم احدهم نحوي وساقني الى داخل احدى السيارات دون ان يؤنب السجان على احضاري من غير تغطية وجهي ، كما كنت اتوقع . وفي داخل السيارة ، احاط بي احد افرادهم من كل جانب واستقر الدكتور جوان وراء مقود السيارة ثم اخرج احد الساواكيين من جيبه قيدا وقيد يدي به

بعد ان امرهما من تحت قدمي بحيث احدودب ظهري تماما وامرت بأن احني رأسي بشكل لا أرى غير ارضية السيارة . اقلعت السيارة بنا ، وتبعتها السيارات الاخرى الواحدة بعد الاخرى ، وبعد مدة قيل لي ان بامكاني ان ارفع رأسي ان شئت فلما فعلت والقيت نظرة على الاطراف علمت اننا قد اجتزنا ساحة (وي) . التفت جوان الي وسألني : ـ

ـ هل تعرف « أ » ؟ فهمت من يقصد ، لكنني تظاهرت بعدم الفهم فسألته : ـ

ـ من تقصد بـ « أ » ؟

فقال :

ـ اقصد « ب » (١٦) . اجبته بصوت واطىء : نعم ، اتقصدون (...) بالذات ؟ فأجابني : نعم ، قل لي ما هي أوصافه لارى هل تنطبق على الشخص الذي اقصده ، ... يغلب على لون وجهه البياض ، أليس كذلك ؟

قلت : كلا ، انه اعتيادي .

ـ كلا ، ان لون شعره كستنائي فاتح وهو غليظ الشاربين كأهل التصوف .

ـ انه قصير القامة ، أليس كذلك ؟

ـ كلا ، الواقع لا اعرف طوله بالضبط ، لكنه في نفس طولي .

ألقى نظرة على ورقة كان يحملها وهز رأسه متمتما مع نفسه ببعض الكلمات المبهمة ، ثم توجه الي بالكلام قائلا : هذه لا تطابق المشخصات المثبتة لدينا ، ثم بدأ يتلو علي : شعر الرأس اسود وقصير ، لون الوجه مائل نحو الابيض ، لا يملك شاربا ... القامة قصيرة تقريبا . اعتراني نوع من الاغتباط الخفي اذ توصلت الى التناقض الموجود في المعلومات المتوفرة لديهم . كان قد دون على ورقة صغيرة ما بينته له ... ونقلت محتويات الرسالة باللاسلكي الى السيارات الاخرى فورا ...

كانت السيارة تسير بنا بسرعة ، وساد داخلها سكون رهيب أوحى الي بأننا اقتربنا من المكان الموعود . وقفت السيارة عند ملتقى شارع (خاني اباد) بشارع (مولوي) ، وترجل منها عدد من المأمورين . اطلق

---

(١٦) «أ» يرمز الى لقب شخص اسمه «ب» كان يعمل سابقا في نفس المعمل الذي كنت اعمل فيه ، ومن هنا كانوا يعلمون بأنني أعرفه .

جوان يدي واقتادني أحدهم الى داخل محل حلاقة صغير يقع في شرق شارع خاني اباد وطلب من صاحب المحل ، الذي كان مشغولا بحلاقة رأس احد الزبائن على الكرسي الوحيد الذي يملكه ، ان يسمح لي بالجلوس لديه لدقائق معدودات ، سحبت كرسيا وجلست قرب الباب وسمعت جوان يخاطب احد أفراد زمرته قائلا :ـ

ـ طلبت الى شرطي المرور المسؤول عن المرور في ساحة (خاني اباد) ان يقطع السير من الشوارع الاربعة ويوقف اية دراجة بخارية تمر من الساحة .

أظافري طويلة نسبيا ، وامتلأ تحتها بالاوساخ فالتقطت مسمارا من الارض وشرعت في تنظيفها ... كان الحلاق ينظر الي بين الفينة والفينة ، واوحى الي وجهه ان في خلده سؤالا يريد القاؤه علي ...

كان جوان قد ابلغني بأن أريه الشخص المطلوب عند مروره من امامي، ومضت عدة دقائق من دون جدوى ، وفجأة سمعت جهاز اللاسلكي في السيارة القريبة جدا مني يقول : لقد اخطأتم ... المقصود بـ (خاني اباد) هو (خاني اباد الجديد) ... وليس المكان الذي قصدتموه انتم ، فليس هنا مقهى باسم مقهى « سواق سيارات اللوري » . تحركنا مرة اخرى ، بينما سبقتنا السيارة الواقفة امامنا بسرعة نحو « خاني اباد الجديد » . وصلنا المكان المقصود ، اما اين يتوقع ان نرى الشخص المطلوب ومن أية جهة من الشارع سيقدم ، فذلك لا يعرفه احد ، كما ان المأمورين انفسهم لا يعرفون عن هذا المكان سوى اسمه ! المنطقة تتكون من بيوت مشتتة هنا وهناك وشوارع فرعية كثيرة التشعب من دون نسق ، اغلب البيوت مبنية حديثا وبعضها لا تزال في طور البناء ، تتصل المنطقة من الغرب بمنطقة (فلاح) وشوارع (ساوه) و (خلازير) و (نعمت اباد) ومن الشرق بالمدينة (١٧) ..

كنا ندرع الشارع بالسيارة جيئة وذهابا دون ان نعثر على شيء ، وعلى حين غرة انطلق صوت غريب من داخل السيارة ، صوت يشبه

---

(١٧) ادركت فيما بعد ان الساواكيين قد اهتدوا الى مقهى سواق اللوري بعد فوات الاوان حيث كان الرفاق الذين اكتشف موعد لقائهم قد غادروا المقهى . ولقد لعبت الصدف دورا كبيرا في اجتيازهم لخطر محدق بهم اذ كانت المقهى قد وضعت تحت المراقبة ونصب العدو كمينا لهم في اطرافها (نظرا لكون المنطقة مغلقة تقريبا من كل الجهات) الامر الذي يجعل الفرار مستحيلا .

استغاثة شخص يختنق ... صوت مبحوح كصوت من جثا على صدره الكابوس : تعالوا ... تعالوا ... النجدة ... سيبيدوننا جميعا .. اطلبوا النجدة من الشرطة العامة ... ايها السيد الدكتور ... لقد شاهدوهم ... لقد اشتبكوا مع رجالنا ... هيا ... اسرعوا ..

لما سمع جوان هذا الصراخ المتواصل ، صرخ في الجهاز : ماذا دهاك ... لماذا تصرخ بهذا الشكل ... قل لي الى أين اتوجه ... اين انت .. في أي شارع ، لكن الصوت لم ينقطع في الجهاز وظل يستغيث ويطلب النجدة دون ان يعطي جوابا شافيا ... فلقد استبد بصاحبه الخوف بشدة وانهارت اعصابه تماما ... لكن جوان كان بعيدا عن المأزق الخطر ، لذا حاول ان يبدي نوعا من الاهتمام المفتعل ويحافظ على برودة اعصابه امام رجاله وامامي كي يحتفظ بهيبته المزيفة ، فقطع الخط دون ان يفهم ما يدور هناك بالضبط ... وبعد اجتياز عدة شوارع ودورات هنا وهناك باتجاه الشارع الذي حدث الاشتباك فيه ، وصلنا تقاطع شارعين حيث شاهدنا سيارة (آريا) بيضاء اللون واقفة وليس فيها من احد غير السائق الذي طار الدم من وجهه فبدا اصفر باهتا مزرق الشفتين . اخرج يده من شباك السيارة واشار الينا ان نتجه شمالا وهو يصرخ : انهم هؤلاء ... هم ... فلقد قتلوا منا شخصا ... وظل يلوح بيديه مشيرا نحو المكان ...

حقا ان هذا السائق البائس الجبان اظهر بوضوح ماذا يعني الموت بالنسبة له ولزملائه ، وكان حتى الشخص الذي لم يجرب الخوف ، بوسعه ان يعرف معنى الخوف ! صرخ جوان في وجهه وقد استبد به الرعب : اسحب يدك داخلا ولا تلوح بها ، ما الخبر ... ما الخبر ... لقد افهمت كل الناس ، ومر بسيارته من جانبه بسرعة كاد ان يطير معها يد السائق ، اجتزنا مسافة خمسين مترا نحو الشمال ووصلنا الى محل الحادث واول ما لمحته كانت سيارة بيكان بيضاء اللون تهشم زجاجها الامامي بفعل صلية من العيارات النارية اخترقته ، وطلقة اخرى اخترقت الباب الجانبي الايمن في اسفل المقبض وبجانب السيارة دراجة بخارية زرقاء اللون حديثة ومن نوع كاوازاكي مطروحة ارضا واطارها الامامي مغرق في الوحل وبجانبها شاهدت قبعة عسكرية مقلوبة ... ثم شاهدت رجلين يطلقان النار باتجاه مأموري الساواك وهما ينسحبان خلفا نحو بستان يقع مقابل المحل الذي كان مسرحا للاشتباك ، فهمت فيما بعد انهما كانا من المناضلين وقد اكتشف العدو امر لقائهما . كان راكبو (البيكان) قد فقدوا رشدهم تماما ولم يكن بوسعهم السيطرة على أيديهم وارجلهم وهي ترتجف كمن ضربه البرد

القارس في البيداء ! وقد بحت اصواتهم وانتصب شعرهم هلعا ... أقترب احد الساواكيين وهو شخص قصير القامة من القبعة العسكرية وانحنى فرفعها ثم وضعها على رأسه ...

كان سائق سيارة الـ « بيكان » شخصا يدعى العقيد اعصار ، يشبه من مسك بتلابيبه الموت وقد فقد كل سيطرة على اعصابه ، فبات يقفز الى هنا ، ويهرول الى هناك وشفتاه ترتجفان وتتمتمان بعبارات متقطعة ومبهمة : سأ... أ ... قتلهم ... سأ ... بيدهم ... اين ... هم ؟

تقدم جوان نحوه وسأله : حسنا ، وكيف حدث كل هذا ؟ من كانوا ؟ لم يستطع احكام السيطرة على نفسه ، فظل يصرخ بصوت عال وانفعال بالغ : عرفت ... احدهم ... كان (...) (...) ، عرفته كان (...) ، وكرر هذه العبارة لاكثر من مرة وبشكل هستيري . التفت جوان الى الساواكي الذي طارت قبعته توا ثم التقطها ووضعها على رأسه ، والاخير يتقدم اماما شاهر السلاح وقد أدار ظهره لنا ليخفي الرعب الذي تملكه : قل لي ... ما الذي حدث ... فهذا لا يستطيع التوضيح لشدة ارتباكه . فأجابه الساواكي : دخلنا نحن بسيارتنا الى الشارع الفرعي وشاهدناهما وهما يغادران المكان فأمرناهما بالتوقف وطلبنا اليهما ان يرتدا خلفا نحونا ، وقبل ان نتريث ، اندفعنا بالسيارة اماما لنقطع عليهما طريق الفرار فانزلقت الدراجة وغرق اطارها الامامي في وحل الساقية ، فقفزا منها ، لكن احدهما تعثر ووقع ارضا وفي هذه الاثناء بالضبط اطلق رصاصتين نحو الاعلى وهو طريح الارض ولولا عون الله ولطفه لكان قد اصاب العقيد اعصار ... واطلقت انا فورا عدة عيارات باتجاههما فوقع احدهما ارضا وشرع يطلق النار باتجاهنا وهو يشير بيديه الى الجانب الآخر من الجدول... فتصديت له انا مرة اخرى واطلقت النار عليه ، ورأيته يتمرغ في الوحل ويتلوى لكنه نهض فجأة وهرب باتجاه البستان وعندما وصلاه افترقا وهرب كل منهما الى جهة وهما يشيران بيديهما الى الشمال والجنوب ... فتساءل جوان ساخرا ، وهو يستمع الى بيانات المأمور وعلى شفتيه ابتسامة باردة : اذا كنت قد أصبته فأين الدم ؟ أليس من الطبيعي في مثل هذه الحالة ان يجد المرء قطرات من الدم في مكان الحادث ؟ ان تلوية نفسه كان من فرط عهارة امه ليتفادى العيارات والافلات خارج مجال النار يا سيدي ، حقا لقد اصبته !! !احسنت !! ثم اقترب من الدراجة ورفع سرجها بحذر والقى نظرة على باطن السرج وما تحته فأخرج قطعة من ورق فوسفوري ابيض تستعمل لتثبيت الوان ارقام السيارات ملفوفة بقطعة قماش وقال وهو

يزيل عنها القماش : أيه ، يا اولاد العاهرات ، يصنعون بهذه ارقام السيارات والدراجات البخارية ، أليس كذلك ؟

تزاحمت حولنا سيارات المارة ، وشرع الناس يخرجون رؤوسهم من شبابيكها متسائلين عن الحادث ولكن المأمورين تصدوا لهم ودفعوهم وراء وهم يطلقون اقذع السباب والشتائم على مجهولين ! وامروا الجميع بمغادرة المكان فورا وعدم التوقف .

توجه حوالي سبعة من المأمورين المجهزين بالاسلحة الاوتوماتيكية نحو البستان ، لكن بأي حال ؟ حقا ، لم اتمالك نفسي من الضحك عليهم فلقد كانوا يتقدمون تماما كممثلي الافلام الفارسية الذين يمثلون بركاكة ادوار خبثاء يحاولون دخول احدى الدور خلسة ... تقدموا ببطىء وهم يقدمون اقدامهم بحذر شديد وتردد ، ينظرون يسارا ويمينا والذعر بـاد بوضوح على حركاتهم وهكذا .. دخلوا البستان .. حقا لقد كان مشهدا يبعث على الضحك حتى في مثل تلك الساعات الرهيبة ..

امر جوان بابعاد السيارة المصابة من محل الحادث فورا ، وامـر الآخرين بالصعود الى سياراتهم ومغادرة المكان ، ثم صعد هو الى سيارته ليساهم في محاصرة المنطقة ، تفرقت في اتجاهات مختلفة ، وكانت سيارة جوان تتحرك ببطىء بعيدا عن السيارات الاخرى وصادف ان مرت بالمكان سيارة مرسيدس بنز سوداء تبين ان صاحبها كان من اصدقاء الساواكيين فطلب اليه والى شخصين آخرين كانا معه في السيارة ان يتعاونوا ، ولم يبد هؤلاء أي اعتراض في بادىء الامر وتقدمت سيارتهم سيارة جوان بناء على طلب الاخير ضامنا بذلك لنفسه ستارا واقيا يحميه من خطر أي هجـوم احتمالي ... الا ان المخاوف سرعان ما استبدت بهؤلاء ايضا ، فشرعوا يقفون بين الفينة والفينة ويطلبون الى جوان ان يسمح لهم بالذهاب ان كان لا يملك مهمة اخرى يكلفهم بها لكن جوان كان يطلب اليهم في كل مرة التريث قليلا ... كان هؤلاء يبغون التخلص من الخطر خصوصا السائق فلقد كان منظره يبعث على الشفقة من فرط الخوف ، كان مرتبكا جدا ، يتمنى التخلص من هذا الصديق الثقيل بأسرع ما يمكن ، وفي هذه الاثناء صدر من جهاز اللاسلكي نداء بصوت واطىء ينم عن صيغة الامر من قبل احدهم في القاعدة : أيها السيد الدكتور... ما هي تصوراتك ؟ الا تتصور بأن الاشتباك سيطول ؟ اذا كنت تشعر بالحاجة فلنطلب النجدة من الشرطة ، انتهى . فأجاب جوان عابسا : كلا ، كلا ، من الشرطة ؟ كلا ، اذا دعت الحاجة

اصدروا انذارا الى قسم « الاستخبارات المضادة » للتهيؤ وسنستفيد من قواتهم عند الضرورة ، انتهى .

ـ حسنا ، سيدي ، هل لا تريدون شيئا آخر ؟... انتهى .

ـ كلا ... انتهى .

انتهت المكالمة ، وكان جوان يتمتم مع نفسه ببعض الكلمات فهمت منها انه يقول :

ـ هؤلاء الشرطة ، لا خير يرجى منهم ، لا يجدون نفعا الا للتظاهر ببزهم العسكرية والتباهي بها امام الناس !

وحالما خرجنا من منطقة الخطر ، كرر صاحب المرسيدس الرجاء من جوان ان يسمح له بالذهاب الى مقصده ، فوافق جوان ، وولى هذا مسرعا ...

وصلنا القسم الغربي من البستان ووقفنا امام احد ابوابه الرئيسية . فرأينا عددا من مأموري الساواك يخرجون من البستان فسألهم جوان : ما الخبر ؟ فأجابوا : بأنهم لم يعثروا على شيء ، غير انهم علموا من حارس البستان ان الشخصين المذكورين قد قدموا اليه طالبين منه واسطة نقل لنقل زوجة احدهما التي هي في حالة وضع وحيث انه لم يكن يملك ما يلبي طلبهما فانهما غادرا البستان الى حيث لا يدري . هز جوان رأسه ولم ينبس ببنت شفة .

استأنفنا السير تاركين وراءنا (خاني آباد الجديد) رويدا رويدا ، ولم اكن اعلم بالضبط ماذا يجري في المنطقة وما هو الهدف الحقيقي لهذه الغارة (باستثناء المعلومات التي تطرقت اليها سابقا حول الشخصين) ، غير انه بوصولنا منطقة خالية من المباني ، سهلية ، شاهدت وضعا يشبه تماما اشتباكا مسلحا بين جيشين كبيرين ، المنطقة محتلة على مرمى البصر بجنود الدرك ، والغبار الكثيف المتصاعد نتيجة تحركاتهم يطاول اعنان السماء ، قدمت سيارة جيب عسكرية نحونا بسرعة ولما وصلتنا ، ترجل منها ضابط درك يخفي عينيه بنظارات مانعة للتراب وعرف نفسه بأنه رئيس قسم الدرك لمنطقة (نعمة اباد) ، وقال له (جوان) وهو يلوح بعصاه : تحت تصرفكم مائة واربعون دركيا من قواتنا ولقد طلبت شخصيا المعونة الاضافية من المخافر الاخرى .. لم يكن هذا قد انهى كلامه ، حتى اقترب منا احد رجال الدرك ممتطيا دراجة بخارية تسير ببطء وسط الغبار الكثيف . ضغط بشدة على موقف دراجته امام الضابط الدركي وبعد اداء التحية العسكرية ابلغه بأن شخصين آخرين قد شوهدا في « حلازير » وان المأمورين

يتعقبونهما بدقة ... فلم يدع جوان الضابط الدركي يعلق بشيء على ما ابلغهم به الجندي ، اذ تدخل مستفسرا : ماذا تقول ، ماذا يعني ذلك ، ها ؟ فأجابه الدركي : —

— سيدي، ما اذكره هو عين الحقيقة، شوهدا في احدى القرى القريبة الواقعة خلف هاتين القريتين (واشار بيده الى الجنوب دون ان يستطيع احد من رؤية شيء وسط الغبار الكثيف) ، وعندما كنت في طريقي اليكم سمعت اصواتا للعيارات النارية ، فلقد حدث اشتباك بينهم وبين رجالنا ولا أتصور بأن الاشتباك قد انتهى بعد .

— شخصان آخران ، من هم هؤلاء ؟! فلم نبتعد بعد كثيرا عن موقع الاشتباك الاول ، والآن اشتباك آخر ... أيمكن ان يكونوا بهذه الكثرة ؟ كلا هذا الشخصان لا يمكن ان يكونا سوى الشخصين الاولين !

لم يعلق جوان ، وقد اعترته الدهشة والذهول ، بغير تلك الكلمات .

استأنفنا الحركة حتى وصلنا مفترق طرق تقع في الجنوب منه غابة صغيرة ، وشاهدنا من بعيد عددا من المأمورين داخل الغابة وآخرون على الطريق الخارج منها ، كأفراد جيش شتتهم العدو ففقدوا كل اتصال مع زملائهم وهم يجرون وراءهم اذيال الفشل ، وثمة شخص بدين يلبس ملابس ممزقة يسير امامهم وبجانبه عريف عسكري ، بدين هو الآخر ، ولما اقتربوا منا جيدا ، شاهدنا آثار جروح وخدوش على يدي احدهم ووجهه مما يدل على انه قد وقع ارضا بقوة ... وفي وسط الشارع يقف احد مأموري الساواك ، مطرق الرأس ، يفتش بقدمه بين التراب والاحجار كأنه أضاع شيئا .. اوقف جوان السيارة وترجل ووصل في نفس اللحظة العقيد اعصار على سيارة جيب يرافقه اربعة اشخاص وقد اصفرت وجوههم وانتصب شعر رأسهم . استفسر العقيد عما حدث ، فتقدم اليه احد مأموري الساواك واصفا الحادث على الشكل التالي : بعد ان غادر الشخصان اللذان اشتبكا مع افرادنا البستان ، اتجها نحو هذا الشارع وتنبها الى وجود هذا العريف الذي جاء الى هنا للصيد ، فباغتاه وسلبا منه بندقيته ثم (واشار هنا بيده الى صاحب الدراجة البخارية) اعترضا سبيل هذا المسكين وطرحاه ارضا وسلبوا منه دراجته واستقلاها الى جهة مجهولة (١٨) .

---

(١٨) الحادث كان مغايرا تماما لوصف هذا الساواكي . يراجع بهذا الصدد كتاب (شيء عن حرب الانصار في ايران) .

كان العريف العسكري يستمع الى هذا الشرح بغير اكتراث ، بينما انفرد جوان مستطلعا المنطقة ... ولقد سمعت احد الساواكيين يلقي سؤالا حول الحادث على زميله الذي قدم التقرير لـ (جوان) فأجابه الاخير ممتعضا : دعهم وشأنهم ، وحياتك رأيتهما داخل البستان بأم عيني وهما ينطلقان بسرعة مبتعدين عنا ، لكنني لم افعل شيئا وبقيت في مكاني الى ان ابتعدا تماما فقفلت راجعا ، ولقد فكرت في نفسي انني لو اطلقت النار عليهما ولم أصبهما فان مصيري محتوم ، قل لي من اجل من اضحي بحياتي ؟

ثمة غبار كثيف ، اثاره تحركات الجنود وسياراتهم ، تصعد الى السماء ، ولقد أساء أعصار تفسير هذا الغبار ظنا منه انه ناجم عن اشتباك جديد ، لذا هتف فجأة : ها هم ... انظروا ، انهم هناك .. لقد وقع اشتباك جديد .. ولم يستطع ان يضيف أي شيء آخر اذ اختنق صوته كليا ، لكنه لم يجد من يجاريه في ارتباكه الشديد هذا فاختار السكوت برهة متمتما مع نفسه بعض العبارات المبهمة ...

غير انه احتفظ بصفة (القيادة) ـ على أي حال ـ حيث تقدم اليه احدهم ليعرض بعض التوضيحات لسيادته ! قائلا : ان هذا الغبار ، سيدي ، تثيره اقدام الجنود، ولو كان هناك أي اشتباك ، فان صوت العيارات النارية كان يصلنا حتما وكما ترون فان الجنود واقفون في وضع طبيعي ..

ربما لم ير هذا العقيد العجوز ، الذي يستحق الشفقة قبل التحقير ، نفسه ابدا بهذا البؤس والضعف ! ان العقيد اعصار الذي كان يزأر كالاسد الكاسر في وجه هذا وذاك آمرا وناهيا ... ان العقيد أعصار الذي كان يتمتع باحترام خاص من لدن اقرانه بسبب شعره الاشيب ، قد تحول الآن الى فأر مذعور لا يدري أين يخفي نفسه ففقد توازنه تماما !

اما انا ، فان لساني ليعجز عن ان يصف بدقة السرور الذي كان يغمرني، كنت اشعر بلذة الانتصار ، واستطيع القول من دون تردد بأنني طوال عمري لم يسبق لي ان تمتعت بمثل هذا الوضع المزاجي الاستثنائي ولا أتوقع ان أصادف مثله ابدا في المستقبل . ما أشد تأثير ذلك الفرح الخفي الذي يجب ان لا يشاركك فيه شخص آخر ، وان عرف به العدو ، قد يكون ثمنه حياتك ! فرح كان يسري في لحمي وعظمي كالدفء الذي يتلذذ به المرء بعد ان يتعرض لبرد شديد ! كنت اعيش لحظة من تلك اللحظات

التي لا يصلها المرء الا في الخيال وكنت اشعر بأن كياني قد تحول الى جذوة نار !

تقدم جوان نحوي وطلب الي ان اترجل ، فقلت بأني لا استطيع لان يدي مقيدتان من تحت رجلي ، فأطلقهما وترجلت ثم اعاد تقييدهما من الامام .

رجعت الى داخل السيارة وكان العقيد اعصار هو الآخر قد صعد اليها . وبدا العجوز المسكين متوتر الاعصاب بشدة ، كان جالسا في مقدمة السيارة وقد اغلق الشبابيك كلها باستثناء منفذ صغير تركه لماسورة بندقيته الاوتوماتيكية سمعته يردد مع نفسه : تحرك ، هيا ، فلربما صادفناهم في الطريق ، يجب ان ابيدهم جميعا بيدي ، لا بد ان اذبحهم بيدي ، لا اعتقد انهم قد ابتعدوا كثيرا ... فأجابه شخص كان يجلس بجانبه :

ـ كلا ايها السيد العقيد ، انهما ابتعدا الآن تماما ، ليس من الصواب ان تفكر هكذا ادخل ماسورة الرشاش داخلا ، فلا يمكن اللحاق بهما بعد ...

ـ رجع العقيد قليلا الى رشده وشعر باطمئنان وارتياح غامرين . وكأن محدثه يبغي ازالة أي اثر للخوف في نفسه ، فقال له :

ـ ارجو ان تطمئن تماما ايها السيد العقيد ، فلا أثر لهما في هذه المنطقة بعد ، حقا انهم أنذال وليس للمرء الا ان يحتاط لنفسه !

وهكذا اطمأن العقيد ولم يبق أي اثر للتوتر على وجهه ، وتحركت بنا السيارة مرة اخرى . في الطريق صادفنا مارة يمشون بمحاذاة الحيطان الترابية المحيطة بالبساتين ... كانوا ثلاثة او اربعة اولاد وفتاة في حدود الخامسة عشرة من العمر تحمل طفلا ... ابطأ السائق في السير ، وسأل الاولاد : ألم تشاهدوا شخصين يمتطيان دراجة بخارية يمران من هنا ؟ لكن الاولاد ، وكأنهم لم يروا قط اشخاصا مدنيين تراجعوا خلفا نحو الحيطان وعلى أوجههم امارات الذعر والشك الشديدين وهم يتفرسون في وجوه مأموري الساواك بعيون ملؤها القلق ...

كرر السائق السؤال مرة اخرى ، لكنه لم يتلق أي جواب ، فضغط على المحرك وهو يردد : يا للبؤساء ، كأنهم لم يروا طوال حياتهم سيارة أرأيت كم كان خوفهم شديدا ؟

استعاد الجميع وضعهم الطبيعي شيئا فشيئا بعد ان امنوا الشر ، فشرعوا يطلقون التعليقات . قال احدهم : لم يسبق لي ان عدوت بهذا القدر طوال حياتي ، فلقد ركضت لمسافة ستة كيلومترات تقريبا على وجه الاجمال

... ان قطع مسافة ستة كيلومترات ركضا ليس بالشيء اليسير أليس كذلك ؟ وخصوصا في هذا الجو المغبر وبين هذه الحفر والعثرات .

وقال آخر : أي والله فلقد عدونا كثيرا ... يا الهي اراهما قد تحولا الى قطرة ماء التهمتهما الارض ، ليس غير .وقال آخر : ـ أرأيت راكب الدراجة كيف تحول الى وحش كاسر ، لست ادري كيف كتب لهما الخلاص من بين كل هذه القوات ؟!

كنت اجهل تماما المناطق التي مررنا بها اذ لم يسبق لي ان رأيتها قبل ذلك ! ولم اكن أدري اين كنا والى اين نتجه ... في الطريق صادفنا سياره جيب تعود لرئيس الدرك وهو على متنها مع عدد من المرافقين فسألناهم عما استجد ، وكان رئيس الدرك قد ادرك من خلال هذه العملية الفاشلة ان كل ما يثار عن بطولات الساواكيين الفذة وقابلياتهم الاسطورية الخارقة ليس سوى ضرب من اللغو الفارغ والادعاء الباطل ، لذا لم يعد يتصرف معهم كالسابق بشكل ينم عن الاحترام ! فأجاب ببرودة وهو يتأفف وينظف ياخته من التراب العالق بها : ـ

لم يكن هناك ما يستحق كل هذا الاهتمام ، شاهدناهما في شارع ساوه على مقربة من الجسر ، ترجلت من السيارة لكي اصطادهما ولما شاهداني لاذا بالفرار ولم استطع اللحاق بهما (١٩) .

استأنفنا السير ، وكان احد الساواكيين يحاور نفسه ساخرا :

ـ بالله عليك ، به وبأمثاله تسر الدولة ... من يختارون لمثل هذه المسؤوليات العظمى ، ترى من عين هذا رئيسا للدرك ؟

مرت بجانبنا سيارة ، غرقت في التراب وانتشر الغبار الكثيف في داخلها بحيث لم يكن في الامكان حتى رؤية من فيها !

واصلنا السير ، الى ان وصلنا مخفر (نعمت اباد) ... المخفر يعج بالدرك الذين ملؤوه ضجة وجلبة . كل هذا من اجل شخصين فقط ! الا فليحيا الثوار !

يقع مخفر (نعمت اباد) على تقاطع طريقين ، احدهما شارع ساوه والآخر شارع ترابي يؤدي الى نعمت اباد ، وقد احيط من الغرب والجنوب بالاسلاك الشائكة ، يحرسه مفرزة من رجال الشرطة اكثرهم برتبة عريف

---

(١٩) بين احد افراد الساواك من الذين حضروا الحادث شخصيا وشاهد بعينيه وقائعه قائل : ترجل السيد رئيس الدرك من السيارة بقصد اطلاق النار عليهما ، لكنهما تراجعا خلفا لخطوات والقوا على الرئيس نظرة غضب ! عاد هذا الى سيارته ولاذ بالفرار فورا دون ان ينتظر شيئا !

يحملون بنادق من نوع (M — 1) وتقع البناية الرئيسية للمخفر في القسم الشمالي من السياج الذي يحيط به ، ويتبين من هنا غرفة صغيرة ذات باب حديدي تقع في القسم الجنوبي الغربي من المخفر ، وهناك فنـاء يتخلله حوض وبعض الاشجار المنتشرة هنا وهناك . هذا هو المنظر العمومي للمخفر . تقف امام المخفر عدد من سيارات الجيب العائدة للساواك وبعضها تحاول الدخول الى داخل المخفر . كانت الساعة تشير الى الواحدة والنصف عندما ادخلت انا الى داخل المخفر ويداي مقيدتان واجلسوني ارضا في الفناء وبجانبي نفس المأمور ذو الشارب المغولي الذي جرح في حادث القاء القبض على كاظم سلاحي . يرتدي نفس القميص الاحمر القصير الردن ، يحمل في يده رشاشه وهو يلهو به وينظر الي بين الفينة والفينة شزرا ...

ـ كيف حالك ايها الغلام ؟ اقول لك مرة اخرى ، انا جلبت عبثا !

كان كل من خسرو خان واقارضا شديد الاضطراب ، واستطيع الحكم بدون تردد ، على انهما لم يسبق لهمـا ان مرا بمحن مثل التي مرا بها اليوم ... اراهما واقفين في جانب ، ينفضان ، كالآخرين ، الغبار عـن ملابسهما ، تغطي وجوههم جميعا واجسادهم طبقة كثيفة من التراب ، لكن التراب يأبى ان يطير من ملابسهم ! ولا يتجرأون الاقدام على غسل وجوههم بالماء خشية الا يكفي الماء القليل المتوفر في المخفر لذلك ويتحول التراب العالق بوجوههم الى طين ! كل يمسح بيده سرواله وكنزته ، فالتراب قد غطى كل شيء . الجنود يقفزون ، واحدهم بعد الآخر ، من السيارات دون ان يهتموا بتنظيف بزهم ، انهم منهمكون فقط في تنظيف بنادقهم ينفخون عليهـا بأفواههم ، وتنبعث من اسلحتهم قرقعة توحي الى المـرء وكأنهم رجعوا لتوهم من حرب العلمين ! ... كان خسروخان مرتبكا بشكل يعجز القلم عن وصفه وقد بح صوته غضبا وحنقا، لا ينكفيء يتمتم : واأسفاه، واأسفاه، لست ادري كيف حدث كل هذا بهذا الشكل ؟ حبذا لو وقعا في قبضتنا ! بخ ، بخ ، من كانا ؟ لو كنا قد قبضنا عليهما لكان كل شيء قد انتهى !... يا لخيبة الرجاء ...

كانوا جميعا يرددون هذه العبارات او ما يشابهها ، كل بطريقته الخاصة في التعبير مصحوبة بالحسرات والتأوهات العميقة خصوصا كبار القوم ! ويظهر لي بأنهم لم يستنفروا في أية قضية اخرى مثل هذه القوات : ١٣ ـ ١٤ سيارة ، ٥٠ ـ ٦٠ شخصا من الكماندوز المظليين الذين تدعي السلطة انهم لا يقهرون قط ! جميع المأمورين الفعالين والمتمرسين من رجال الساواك : الدكتور جوان ، طهراني ، آقا رضا ، العقيد اعصار، خسروخان،

برويز وعدد كبير غيرهم لا اعرفهم انا . على أي حال ، اني على يقين جازم بأن جميع المأمورين الكفوئين في نظر الساواك قد اشتركوا في هذه العملية اضافة الى عدد من المحققين والخفراء . هذا علاوة على القوات المساعدة و (١٤٠) نفرا من نواب عرفاء الدرك كما اشير اليه آمر مخفر نعمت اباد (٢٠) .

العوامل المساعدة على نجاح الرفيقين في الخلاص من براثن العدو وهزيمة العدو النكراء :

١ ـ العزيمة الفولاذية والمبادرة السريعة الى الصدام المسلح :

عندما وقف الرفيقان وجها لوجه مع العدو سحبا السلاح فورا واطلقا النار على العدو من دون تردد قبل ان تطأ اقدامهما الارض ، في حين لم يكن أفراد العدو يتوقعون مثل هذه المبادرة الفورية قط ، فلم يجدوا متسعا من الوقت في التفكير في شيء سوى تخليص انفسهم والافلات من مسارات العيارات النارية ، لقد اخذ الرفيقان زمام المبادرة من أفراد العدو الذين استبد بهم الهلع بحيث لم يقدروا على التحرك المضاد من فرط الذعر .

٢ ـ التحرك السريع والاندفاع الفوري في العمل :

لقد ساعد تغيير المواقع فورا وعدم الوقوف ولو لحظة واحدة وقطع مسافة طويلة نسبيا بشكل خاطف ، ساعد الرفيقين على الابتعاد عن مركز تجمع رجال العدو وتقليل الخطر الذي كان يهددهما فيما لو ظلا على مقربة من مركز تجمعهم وما يترتب على ذلك من احتمال توجيه النيران الكثيفة اليهما .

٣ ـ اليقظة الشديدة والاحتفاظ بقابلية التركيز حتى في احرج الاوقات :

تدل التجارب ، على انه لو استطاع النصير الاحتفاظ بقابلية التركيز في المواقع الخطرة وعند الاصطدام مع العدو والتصرف بهدوء ويقظة عند ازالة الحواجز عن الطريق ، فان النجاح سيكون حليفه بلا ريب . ان انتصار

---

(٢٠) يبدو ان مثل هذه الهزائم دفعت السلطة الى خلق نوع من التنسيق بين صنوف القوات المسلحة المختلفة ، ومن هنا جاء تشكيل « اللجنة المشتركة لمكافحة التخريب » .

الرفيقين بالذات في هذا الاشتباك يأتي تأييدا لهذا الاستنتاج فهما ، عندما كانا يطلقان النار نحو العدو ويغيران من مواقعهما وينتقلان من طريق الى آخر ، كانا يأخذان بالحسبان وجوب الانتفاع ، الى الحد الاعلى الممكن . من كل ما يقع في طريقهما من اشياء واماكن واذكر بهذا الصدد الانسحاب نحو البستان والقفز الى داخله والحصول على واسطة للانتقال والاستيلاء على دراجة الصياد الذي التقوا به صدفة ، ولم يكونوا ليقدرون على الاقدام على جميع هذه المبادرات لولا احتفاظهما بهدوء اعصابهما وقابليتهما على التصرف الواعي .

٤ ـ المعرفة التامة بمنطقة العملية

ان الانتفاع من جميع الاساليب المشار اليها سلفا كخطط جوهرية وغير قابلة للفصل عن بعضها البعض ، لا يكتسب الفعالية المطلوبة ولا يؤتي الثمار المرجوة قطعا ما لم يكن النصير على معرفة جيدة وتامة بمنطقة العملية ، مسالكها ودروبها ، ولقد اخذ الرفيقان هذه النقطة بنظر الاعتبار بشكل اساسي وكانا لا يقلان عن سكان المنطقة معرفة بها . ولم يكن يساورهما أي شك في ان ٥٠٪ من انتصارهما في أي اصطدام محتمل مع العدو متوقف على هذا العامل بشكل لا يقبل الجدل مطلقا : كانا يعرفان ، لذلك ، الشوارع الفرعية ، الشوارع الرئيسية ، الازقة المفتوحة والمسدودة ، الطرق الترابية الطرق الوعرة ، وكانا يعرفان حتى بعض اصحاب البساتين والمواشي والدواجن الساكنين في المنطقة ، لذا فانهما اجتازا الشوارع والطرق والمسالك كلها من دون الحاجة الى التفكير حول مسار أي منها ولو لدقيقة واحدة ، وانتقلا من طريق الى طريق ومن حي الى آخر ، ومن بستان الى بستان من دون الحاجة الى التفكير مطلقا ، وكانا قد اخذا بنظر الاعتبار مقولة الرفيق «ماريجويللا» القائلة بأن « خير رفيق للنصير المدني هو محيط عمله » واقتديا بهما في اشتباك (خاني آبادنو) فكان النصر حليفهما .

٥ ـ بطلان اوهام العدو حول امكان القاء القبض على الرفيقين أحياء

كان العدو قد اصيب بسوء تقدير بالغ للامر متصورا ، بفطرسة ، ان في مستطاع رجاله القاء القبض على الرفيقين وهما على قيد الحياة ، أي استسلامهما له ، وكان قد قدم الى المنطقة للمرة الثالثة بهذا الهدف محشدا امكانيات واسعة لذلك (٢١) ، وكانت قيافاتهم تدل بوضوح على انهم لم

---

(٢١) كان العدو قد اكتشف موعدا غير هذا ، وكان قد أتى للمنطقة مرتين اخريين قبل ذلك لكنه رجع خائبا دون ان يفوز بشيء .

يكونوا يتوقعون أي اشتباك مع الثوار ، لذا كانوا يتصرفون بشكل لا ينم عن أي حذر متيقنين في نفوسهم بأنهم سوف يوقعونهم في الشرك الذي لا خلاص لهم منه ، وكانت سياراتهم تطوف في الشوارع المحيطة بالمنطقة الى ان لعلع الرصاص وبدأ الاشتباك امام احدى سيارات الـ (بيكان) وحيث ان المباغتة جرت من جانب الرفيقين اللذين سيطرا على مسار المعركة خلافا لتوقعات افراد العدو وحساباتهم ، فانهم اخذوا على حين غرة واصيبوا بذهول شديد فقدوا بسببه كل قابلية على التحرك ، كما ان الاشخاص الموجودين على متن السيارة لم يسعهم سوى الاختفاء تحت المقاعد ولم يقدروا على الرد بحجة عدم حيازتهم على البنادق الاوتوماتيكية ، وعندما وصلتهم الامدادات كان كل شيء قد انتهى وكان الرفيقان قد تركا الموقع وتخلصا من الخطر تقريبا .

٦ ـ جهل العدو بمنطقة العمل وبعثرة قيادة قواته

خلافا لما كان عليه الرفيقان ، كان العدو يجهل تماما مسالك المنطقة ومواقعها ، ولم يكن افراده قد تعلموا من ترددهم سابقا على المنطقة لمرات سوى التعرف على الطريق المؤدي من (اوين) الى (خاني اباد نو) ! كما ان السواق الذين اشتركوا في المرات السابقة في نقل افراد العدو ، استبدلوا بسواق جدد لاسباب شتى ، فمنهم من كان في الاجازة ، ومنهم من كان في مهمة اخرى وهكذا ، وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على سوء التخطيط من جانب العدو مرجعه :

آ ـ الغرور بالذات وباستحالة « خلاص أي شخص امام هذه القوة الهائلة » ؟!.

ب ـ كثرة عدد الافراد العاديين وقلة العناصر القيادية والموجهة .

لكل ذلك فان توزيع القوى جرى بشكل مبعثر جدا ولم تحدد مواقع استراتيجية لهذه القوى لتتمركز فيها ، فمثلا ، عندما وصل الدكتور جوان ، وهو قائد العملية ، منطقة (خاني ابادنو) لم يكن يعلم اين تتمركز الاجزاء الاخرى من القوات ، في أي شارع ، في أي موقع ، وعندما حدث الاشتباك ، لم يستطع التركيز لدقائق لتشخيص موقعه بالضبط ، وكان على كل فرد منهم يبغي الوصول الى هذا الموقع الدخول في عدة ازقة خطأ ثم يرتد على أعقابه بعد ان يكتشف عدم صواب وجهته في كل منها ، هذا في (خاني اباد نو) بالذات ، اما عن الطرق التي تربط القرى القريبة بالمنطقة والطرق الترابية ،

فحدث ولا حرج ، ولولا استفاثتهم الفورية بقوى الدرك لكان الوصول الى مخفر (نعمت آباد) محالا عليهم ! ولقد أدى عدم الالمام بالمنطقة الى تشتت نصف قوات العدو وامكاناته (ذلك لان محل الاشتباك لم يعين من قبل العدو ولم يدخل هو المنطقة وفق مخطط معد مسبقا ، بل ان زمام المبادرة كان في كلتا الحالتين في يد الرفيقين) ، لذا فان استغلال نقاط ضعف العدو يفتح الطريق امام الخروج من نطاق الحصار الذي قد يفرضه، ولا بد من اكتشاف هذه النقاط وتحديدها ثم استغلالها على خير وجه والاقدام على الفرار .

٧ ـ تملص شرطة الدرك من المسؤولية والمساهمة في الاشتباك بنشاط :

بالنظر لعدم وجود أي اتفاق رسمي مسبق للاستفادة من القوات المسلحة الاخرى في مثل هذه الحوادث التي يكون الطرف الرئيسي فيها هو الساواك ، فانه يصعب الانتفاع الفوري من امكانيات هذه القوات ... لذا فان الدكتور جوان اضطر الى الاتصال بالمقامات العليا لتتصل هي بدورها بمخفر نعمت اباد وتأمر القوة الموجودة فيها بتقديم المعونة المطلوبة عندما تستدعي الحاجة ، وحتى بعد ان اعلنت هذه القوة عن الاستعداد للتعاون ودخولها فعليا الى ساحة العمل ، فانها تبعثرت بشكل غير منظم هنا وهناك بالنظر لعدم تبعيتها مسلكيا او تنظيميا الى الساواك وعدم وجود خطة موحدة ، ومرسومة بصورة مشتركة بين الطرفين مسبقا يتم بموجبها توزيع هذه القوات على نقاط ومواقع معينة ، لذا فانها تملصت من التحرك الفعال عند اول مجابهة لها مع الثوار لعدم معرفتها بجزئيات الموضوع والسبب الذي استنفرت من اجلها ومن سيكون هدفا لنيران افرادها واي مكان يجب ان يحاصروا ..

انهم يتشبثون بآلاف الذرائع والحجج للتملص من المسؤولية عندما تدنو الخطوب حتى وان كانوا تحت امرة آمريهم وقوادهم ، فكيف بهم في اشتباك بمثل هذه الخطورة وتحت قيادة اشخاص مدنيين من مأموري الساواك ؟!

ولا بد هنا من الاشارة بأن هذه الوضعية لا تنطبق على جميع الحالات خصوصا عندما تدخل هذه القوات ساحة العمليات وفق مخطط مرسوم ومدروس مسبقا (٢٢) . غير ان اشتباك (خلازير) جرى بالشكل الذي تم

(٢٢) خصوصا منذ تشكيل « لجنة مكافحة التخريب » ترسم مخططات خاصة لتنسيق العمل بين القوات الحكومية المختلفة مسبقا وقبل الدخول الى ساحة العمليات .

بحثه تفصيلا ، ولم تقم قوات الدرك كما لاحظنا بدور فعال او ذا تأثير مطلقا، وفيما لو تدخلت هذه القوات في الاشتباك بشكل مباشر لاصبحت مصدر خطر للرفيقين بفضل قابلية اسلحتهما على اصابة الاهداف البعيدة ... غير انهم لحسن الحظ لم يطلقوا حتى عيارا واحدا نحوهما، والعمل المشترك الاوحد الذي قاموا به مع الساواكيين هو الاستفادة الاجماعية من ساعتي الراحة التي منحوا للاستحمام والتخلص من الاتربة التي علقت بأجسامهم !

وحتى عند انتهاء العملية ، فان الحجة التي تمسك بها رجال الساواك المشتركون في المصادمة ازاء اللوم الموجه اليهم من القيادة ، أي من شخص جوان ! ، هي : « لو كانت مفرزتنا مجهزة بالاسلحة الاوتوماتيكية لكنا قد ابدناهما عن بكرة ابيهما » . او « ان سيارتنا لم تكن مجهزة حتى بجهاز لاسلكي حتى ننقل خبر مشاهدة هذين الشخصين الى القيادة ونطلب العون من المفارز الاخرى » ، بيد ان جميع هذه الاقوال ليست سوى حجج واهية، والسبب الكامن وراء عدم استدعاء المفارز الاخرى وطلب العون منها هو الحيلولة دون مشاركة هذه المفارز لهؤلاء الاربعة في الامتيازات والمكافآت التي كانوا سيحصلون عليها والاستحسان المنقطع النظير الذي كان ينتظرهم فيما اذا قبضوا على الرفيقين بأنفسهم !

وصل الساواكيون المشاركون في العملية الى المخفر الواحد بعد الآخر اما انا فلقد القي بي في احدى الغرف حيث التقيت هناك بشاب اعلمني انه معتقل بتهمة سرقة اموال صهره ، بقيت هناك لما يقارب ربع الساعة ، أقبل علي رأس عرفاء ، علمت انه معاون امر المخفر ، وبعد ان فتح الباب ، طلب الي الخروج ، ففعلت ، ولم أكن قد وضعت قدمي بعد على أول درجة في السلم حتى امرني بالوقوف فامتثلت للامر ، ثم أغلق الباب ووقف وجها لوجه امامي يتفرس في وجهي بعطف وحنان وابتسم لي ابتسامة ابوية ترك في نفسي أثرا خاصا ، وسألني بصوت واطىء : أأنت ايضا من هؤلاء ؟ فأومأت اليه بغمضة من عيني أن نعم ، فالتمعت عيناه وهو ينظر الي ، ثم مسكني من كتفي وشد عليها ، وهمس بصوت متهدج : ليكن النجاح حليفكم . واخيرا طلب الي ان أتقدمه وسلمني الى الساواكيين ، بينما توارى هو عن الانظار ...

× × ×

الساعة الثانية بعد الظهر – اشتدت حرارة الشمس بشكل بالغ ، وكانت رائحة العرق تنبعث من اجسام الساواكيين المنهوكين نتيجة الارهاق الشديد . نحن الآن في شارع (ساوه) ، تتوالى السيارات في الوصول الى ميدان (فلاح) والوقوف في القسم الشمالي منه امام احدى المقاهي ثم ترجل منها بعض افراد الساواك الذين سرعان ما امرهم (جوان) بالتفرق والتربص في الزوايا والاركان بحيث لا يمكن تشخيصهم ... انه يأمرهم للقيام بالمستحيل اذ كيف يمكن للمرء ان يختفي في الشارع في الساعة الثانية من يوم جمعة حيث تخلو الشوارع من المارة تقريبا ؟ .. جلس بعضهم امام المقهى ، ودلف البعض الآخر الى داخلها ، واثنان او ثلاثة منهم يتمشون ، على الرصيف بالقرب من المقهى ، بينما جلس الباقون بجوار الساقية منهمكين بأكل الرقي بشكل يوحي للناظر بأن لم يتذوقوا نعمة الله هذه طوال عمرهم! (حتى يضفوا على تجمعهم في هذه المنطقة صفة الاعتيادية) . اما انا ، فمضطرب جدا ! اتساءل في نفسي : « ماذا يعني كل هذا ، فأنا ايضا أعرف هذا المكان ! ولقد سبق لي وان تواعدت هنا مع الرفاق على اللقاء لعشرات المرات ، من ذا الذي، يا ترى كشف لهم هذا المكان ؟... هل يمكن ان يمر هذا الشخص من هنا ؟ وخلاصة القول ، فاني فقدت كل الهدوء وراحة البال التي اكتسبتها خلال الغارة الفاشلة التي شنها الساواكيون والدرك لالقاء القبض على الرفيقين ! وتضاعف ارتباكي شيئا فشيئا ، الى ان تحركت بنا السيارة وتركنا الموقع ، وتحسست صدغي فأبتلت اصابعي من العرق الذي فرزه رأسي خلال هذه الفترة الحرجة !

ابتعدت بنا السيارة ، وتنفست الصعداء ، وشيئا فشيئا عادت الي الطمأنينة وراحة البال ، لكن الى اين نتجه الآن يا ترى ؟ لست املك جوابا لهذا السؤال الملح في الوقت الحاضر ... واصلنا السير ، مررنا بـ (قلعة مرغي) ، المنصة العسكرية ، جسر الجوادية ... ميدان محطة القطار ... وفجأة وقفت سيارتنا في غرب الميدان حيث موقف واسع للسيارات واصطفت السيارات الاخرى بجانبها . وقع نظري على طهراني، واقفا على الرصيف الواقع امام الصالة الخاصة لاستراحة المسافرين والمودعين والمستقبلين ، ينظر الى هنا وهناك ويتفرس في الوجوه كأنه يفتش عن شخص ، وحوله ، جمع كبير من الساواكيين يجوبون المنطقة كأسراب الجراد ، ترى عم يبحثون هنا وبمثل هذا الاهتمام ؟ حتما اكتشفوا موعدا هنا ايضا !. لم يترجل من ركاب سيارتنا احد باستثناء (اعصار) ، وتعالت على حين غرة صرخة من الثلاثة الباقين معي : رباه ! انظر الى

هناك (وما اسرع اكتساب وجوههم لون الزعفران عندما يداهمهم الخطر !) ... اخشى انه قد يطلق النار ... قد يقتل ... كم هو بدين !. ورأيت شخصين وقد تأبطا شخصا آخر بقوة وسمعتهما يقولان له :

– نرجوك الا تتصرف بشكل لا يليق بك وان ترافقنا بكل هدوء الى السيارة، نريدك لشيء في غاية البساطة وسوف لن نؤخرك الا قليلا ، وصعدوه الى داخل احدى السيارات ... والآن لنر ما السبب في اعتقاله ؟ الجواب يكمن في هاتين النقطتين :

١ – هو شخص طويل القامة ، قصير الشعر ، وخصوصا قميصه التريكو الازرق يتدلى على السروال ، كل ذلك كان امرا يسترعي الاهتمام .

٢ – ... كان قد ذرع الميدان لعدة مرات جيئة وذهابا دون ان يظهر ان له عملا او مقصدا معينا .

ولدى الساواكيين ، مميزات شخص مطلوب ينطبق على مميزات هذا الشخص كما ان تجواله في الساحة امر يثير الشكوك !

كان المسكين ، على رغم هيكله البدين ، يرتجف خوفا وقد اصفر وجهه بشدة ! وبعد ان استقر في داخل السيارة عرّف نفسه واخرج من جيبه هويته الشخصية وتبين بأنه يعرف فلانا وعلانا ! فأطلقوا سراحه بعد ان القوا عليه عدة اسئلة تبين لهم على ضوء اجوبتها انه ليس ذلك الذي يبحثون عنه !

هنا ايضا خاب ظنهم ولم تصب سهامهم أي هدف ، فاضطررنا الى مواصلة السير ، كان جوان هو الذي يقود سيارتنا . التفت الي في الطريق ونظر الي وعلى شفتيه ابتسامة ثعلبية رافعا حاجبيه، لم افهم قصده، فسألني بكل جدية : – ألم تتناول طعام الغداء بعد ؟ قلت : كلا ... فالتفت ثانية وقال : – حسنا ، نحن ايضا لم نتناول طعامنا بعد !. أحب البائس ان يداعبني ، لكن أية مداعبة سخيفة !!

في السجن ...

فتح الباب بوجهي ودخلت الزنزانة وكان الرفاق ينتظرون عودتي بفارغ الصبر ، فأحاطوا بي من كل جانب بمجرد دخولي، وانهالوا علي بالاسئلة . مسكني احدهم من يدي في هذه الاثناء واقتادني الى احدى الزوايا واجلسني ثم التفت الى الباقين قائلا : ماذا دهاكم ... دعوه يرتاح قليلا . ثم استفسر مني ان كنت قد تغديت بعد ام لا ، فأجبته بالنفي فأتاني

بالطعام .. ثم شرحت لهم ما جرى لي جملة وتفصيلا مبينا لهم اني استدعيت من دون داع .

كان احد الرفاق قد نقل الى قسم آخر ، وكنا قد ألفنا وجوده بيننا لذا ترك فراغا كبيرا بيننا جميعا ، هذا كان التغيير الوحيد الذي حصل اثناء غيابي .

٢٠ شهريور – ١١ سبتمبر

كانت الرياضة احدى البرامج اليومية التي تجري بشكل اجماعي ، وتبدأ اجراء التمارين الرياضية قبيل العشاء بساعة واحدة (كان العشاء يقدم بين الساعة ٦½ – ٧) ، غير ان حسين كان قد منع على السجناء هذا الحق البسيط منذ مدة ، وحيث انه لم يكن من الممكن الاستغناء عن هذا الحد الادنى من متطلبات الصحة في ظرف كالذي نعيش فيه ولا نملك قابلية التحرك الا القليل . لذا فلقد كلف بعض الرفاق بمراقبة مجيء الحراس ورواحهم من ثقب الباب بشكل دقيق بينما يمارس البعض الآخر التمارين الرياضية ويوقفونها عندما ينذر المراقبون بمقدم الحراس ! ويتظاهر كل واحد بالانشغال بعمل ، فالبعض يشرع بالتمشي داخل الغرفة ويجلس البعض الآخر ، يتظاهر البعض الآخر بالنظر الى البستان والحدائق المحيطة بالسجن من خلال الشباك الصغير ، وعندما يذهب الحراس ثانية ، تستأنف التمارين الرياضية مرة اخرى بحذر وهدوء .

لسوء الحظ ، كانت غرفة الحراس تقع تحت زنزانتنا مباشرة وكان هؤلاء يقضون اوقات راحتهم في هذه الغرفة ... ويظهر ان وقع اقدام الرياضيين وهم يمارسون التمارين اليومية كان ثقيلا عليهم ويسبب لهم الازعاج ولا يدعهم ينامون في كل الساعات وحيث يشاؤون ، لذا رفعوا الشكوى الى شعباني متذرعين بأن « سقف غرفتهم قد تشقق نتيجة اجراء التمارين الرياضية المختلفة في الردهة رقم (٥) » ولم يكتفوا بهذا بل صعد احدهم الينا واخذ معه عددا من الرفاق ليروا الشقوق ، لكن الرفاق ، على خلاف ادعاء الحراس ، لم يشاهدوا أية شقوق في السقف باستثناء شقوق صغيرة في الطلاء فقط ولم تكن هذه الشقوق بسبب التمارين الرياضية قط . ثم تبين لنا فيما بعد ان الحراس لم يكتفوا بهذا الاعتراض بل انهم اوصلوا الامر الى حسين زادة ايضا . وفي حوالي الساعة الرابعة قدم الاخير الى زنزانتنا ، يرافقه حسيني وعدد آخر من افراد الزمرة .

دخل علينا بغرور ويداه في جيبه وصرخ : ـ انهضوا جميعا ، هيا ، ... يبدو انكم تقضون احسن الاوقات هنا ، كان بعضكم يحصل بالكاد على الخبز والبصل ، والآن يقدم له الرز والمرق يوميا ، حقا انه لافضل فندق! ان ساواك قد اسمنكم ، انهضوا ، لارى ... نهضنا جميعا .. كان حسيني، متكئا على الحائط بظهره ، وقيافته التي تشبه جسم العنكبوت تثير الضحك، في حين كانت عضلات وجهه القبيح ترتجف خوفا وهو يستمع الى الكلب الاكبر الذي لم يكف عن النباح الشديد بعد ! كما ان عددا من رجال الساواك المختصين في ملاحقة الوطنيين والذين لا يملكون من صفات الانسان سوى مظهره الخارجي ، كانوا شهود عيان لهذا النباح ! كان حسين زاده ذو القامة القصيرة والوجه الاسود والرأس الاصلع يشبه احدى تلك الدمى التي تمثل عجوزا يملك خصلة شعر صغيرة في اعلى رقبته ، رفع نظارته الشمسية بغطرسة وبعد ان نظر الى الرفاق فردا فردا ، خاطبنا قائلا : يظهر انكم قد نسيتم اين انتم الآن ، ولاي سبب اعتقلتم ؟ يظهر ان هذه الغرف الفارهة والشبابيك المفتوحة ونور الشمس ، وتجمعكم حول بعضكم انساكم من انتم . ثم اضاف وهو يضرب بقدميه الارض صائحا بأعلى صوته : هنا اوين ... اوين افهمتم ... وانتم تعيشون داخل هذه الحيطان الاربع بعيدين عن العالم الخارجي وليس هناك ما يوصلكم بهذا العالم غيرنا ، انكم عناصر هدامة شخصتم كأناس مضرين بالمجتمع لذا يجب عزلكم داخل هذه الحيطان الاربعة منقطعين تماما عن الخارج حتى يستطيع الشعب الوقوف على اقدامه ويقرر هو مصيركم الاسود ونحن الآن في سبيلنا الى بناء اسس ايران عظيمة الشأن ، وستغرق اجسادكم وعظامكم في أعماق اساس هذا البناء ، وليس ببعيد ذلك اليوم !! ثم خفف عربدته قليلا واستمر : انتم الآن تتصورون بأن لا فرق بين هذا المكان وبين الخارج ، متى شئتم ورغبتم تعملون ما تشاؤون . اني احذركم للمرة الاخيرة : ان أقل خرق للتعليمات والنظام سيواجه بأخشن رد فعل ، تصورتم عبثا ان هنا دار امكم فأخذتم تلهون ، استهدفتم تخريب السجن ايضا ، أليس كذلك ؟ ثم سكت قليلا واعاد النظر الى الرفاق فردا فردا وكأنه يستقصي تأثير اقواله عليهم ، ثم سأل بصوت واطيء : ـ حسنا ، من هم محافظو الامس واليوم ؟ ولما لم يجب احد من الرفاق كرر السؤال بصوت عال : ـ قلت من هم محافظو الامس واليوم ؟ فتقدم اربعة اشخاص بينهم عاقلي زادة ، ثم نظر مرة اخرى الينا وطلب اثنين آخرين منا ، وتوجه الى حسيني بالكلام قائلا : خذ هؤلاء واضربهم مائة جلدة ، حتى لا ينسوا مرة اخرى عندما يصبحون

محافظين تنفيذ تعليمات السجن بدقة ، فتدخل احد الساواكيين في مسعى توسطي طالبا اليه عفو عاقلي زاده ، فاستجاب لطلبه وخاطب عاقلي زاده قائلا : ايها السيد عاقلي زاده ، بالنظر لتقدمكم في العمر واحتراما للحيتكم البيضاء وماضيكم الجيد خلال السنوات الماضية فاني اعفو عنكم فقط بل اكلفكم بمسؤولية هذه الغرفة وسوف تصبح انت بهذا مسؤولا عن أي ازعاج يسببه هؤلاء للحراس او لغيرهم ، ثم قال (وهو يشير الى الشخصين الآخرين) : انتما ايضا عودا الى مكانكما فلقد صفحت عنكما من اجل السيد عاقلي زادة ، والتفت الى حسيني قائلا : اما الباقون ، فاجلد كل واحد منهم خمسين جلدة . ساقوا الرفاق الاربعة امامهم ... وبمجرد انفلاق الباب، تمدد جميع الرفاق – ومن جملتهم عاقلي زادة – ارضا وشرعوا باجراء تمارين البطن التي يحبونها كثيرا .

هنا يطرح سؤال ، ينطوي على جانب كبير من المنطق، نفسه : لماذا لم يختر السجناء الصمت ازاء الاهانات التي وجهها هذا المرتزق اليهم فحسب بل اهملوا حتى ممارسة ابسط حقوقهم ، أي عدم الانصياع للاوامر التي كانت على الاكثر ذات طابع شخصي ؟. ان العوامل المتعددة التي تقف وراء هذا الموقف يمكن تشخيصها على الشكل التالي : –

كنا جميعا نمضي الايام الاول من التحقيق والتوقيف ولم نكن نعرف بعضنا البعض معرفة جيدة ولا تجمعنا قضية او قضايا موحدة ، كان أغلبنا شبانا حديثي العهد بالعمل السياسي والنضالي ولم نكتسب بعد التجربة الكافية ولم نمر بعد بميادين الكفاح الساخنة التي تفولذ المعنويات والروح الصدامية ، وكنا اضافة الى ذلك ، على الاغلب اناسا لم نتخلص بعد من التعذيب والاستنطاق المتواصل ولم يقرر بعد مصيرنا بشكل نهائي . كنا نمضي اياما كان اكثرنا فيها قد اخفى شخصيته الحقيقية وتشرنق في قالب آخر ، واضافة الى ذلك ، كان هناك بيننا افراد لم يجتازوا امتحان التعذيب والتحقيق بنجاح، لذلك فان جو الغرفة على رغم هدوئه الظاهري ، كان متوترا فيما يخص الوضع النفسي الذي كان يعيشه بعض نزلائها ، كما كان هناك خلاف فكري واضح بينهم ، وكانت كل فئة – على رغم عدم وضوح الهوية الفئوية او الفكرية بجلاء لهذه الفئات بعد ، تعكس رأيها المتميز حول القضايا المختلفة الامر الذي افقد الغرفة اية وحدة بكامل معناها ، وبالرغم من انه كان بيننا افراد على جانب كبير من الجرأة في مجابهة الساواكيين لكنهم لم يستحسنوا مجابهة المحقق بخشونة ، هذا اضافة الى ان العناصر المنظمة الموجودة معنا لم تكن هوياتهم وسوابقهم قد توضحت بعد لدى

الساواكيين ، وهناك سبب آخر وهو ان حسين زاده بالذات كان قد تحول الى شيء مخيف او بالاحرى الى بعبع خصوصا لدى الاشخاص الذين لم يتعاملوا معه بشكل فعلي بعد . وتؤكد وقائع سابقة ومنها دفاع شكرالله بآنشراد (٢٣) ، ان حسين زاده هذا كان وحشا ضاريا ، ولهذا السبب فانه عندما تجرأ ووقف في وسط القاعة مهددا ومتوعدا بكل وقاحة وصلافة ، فانه لم يثر أي رد فعل اعتراضي لدى السجناء ، وان لم تترك تهديداته اي أثر لديهم ، في حين كان عضدي قد تصرف مرة بهذه الطريقة لكنه كان قد جوبه بتحقير السجناء واهمالهم له وتصديهم له بالاستهجان والاحتجاج ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان الامر كان قد اوصل الى المسؤولين الاعلى منه رتبة ، وتلقى عضدي توبيخا من لدن هؤلاء باعتبار ان تصرفه هذا من شأنه اثارة الفتنة بين السجناء ودفعهم الى العصيان .

على أي حال ، عندما تم اصدار القرارات في القضايا المختلفة وتقرر مصير الجميع وعندما اصبح في امكان الكوادر المجربة والمتقدمة من السجناء ان يلعبوا دورهم علنا ، ولم تعد هناك حاجة الى اغواء العدو او تمثيل الادوار ، فان الرد الوحيد على أقل صلافة من جانب العدو ، كانت المقاومة البطولية وتوجيه الكلمات القاسية والبصق في وجوههم وتحقيرهم ، وكان الرفاق الآخرين وابعاد الخطر حتى عن اضعف المعنويات الموجودة بيننا ، الايراني » و « آمال الشعب » قدوة هذه المقاومة ولقد لعب هؤلاء دورا بالغ الاهمية في تقوية الوحدة والتضامن بين جميع السجناء واكتساب الوحدة الفكرية بينهم القوة المنطقية ، وغدا بسببهم التصميم على مجابهة وقاحة العدو اكثر حزما .

بعد ذلك ، كان قدوم حسين زاده الى الردهات وعدم التفات احد اليه وتجاهل وجوده قد غدا شيئا مألوفا ، بل ان ثابتي ومقدم لم يكونا يحظيان بأي اهتمام من لدن الرفاق ولم يكن احد منهم يقوم احتراما لهما او يترك عمله بسببهما . وكان رد الفعل الوحيد الذي يستطيع العدو ابداءه تجاه هذه المعاملة هو بعض التصرفات السخيفة كالاطفاء المبكر للانوار والاقلال من مرات السماح للذهاب الى المرافق ، وعدم السماح بالتمشي خارج الردهات ، وفي بعض المرات ، الهجوم الاجماعي المباغت على الردهات وسلب الحاجيات والامتعة ، وكانت هذه التصرفات تقابل دائما باحتجاج السجناء وصيحاتهم الاستنكارية وتحديهم ... واخيرا تعبت الادارة حتى

---

(٢٣) ورد اسم حسين زاده في دفاع بآنشراد كـ (الجلاد حسين زاده) .

من هذه التصرفات ، واقتنعت بشرعية ما يقوم به السجناء كرد فعل عليهـا ...

٢١ شهريور – ١٢ سبتمبر

اليوم ، اخذ فريبرز سنجري الى التحقيق ، وعندما عاد ، كان وجهه قد احمر ، اذ كانوا قد اعادوا تعذيبه مرة اخرى ، لكنه دخل علينا وعلى وجهه بشاشة وعزيمة ، بحيث يصعب على المرء التصور ، عند اول نظرة ، بأنه قد لاقى ما يعكر صفو المزاج ! لكن الحقيقة هي انه ، كما قلت ، قد عذب خلال تلك الفترة بشدة ولم يكن يخفي هذا الواقع سوى لتهدئة خواطر الرفاق الآخرين وابعاد الخطر حتى عن اضعف المعنويات الموجودة بيننا ، غير ان البعض الح عليه بالاستفسار عما جرى له ، فكشف عن الحقد الذي كان الجلادون قد زرعوه في قلبه نحوهم ، واحمرت عيناه واصفر وجهه ، وكانت هذه اشارة كافية للجميع الى ما لاقاه من .... وكان يصاب ، فيما بعد ، بما يشبه النوبة العصبية كلما دار الحديث حول العدو واساليبه الفاشية ... وذات مرة ، استفزه احد المأمورين في (قزل قلعة) ، ولقد شاهدته بأم عيني وهو يصرخ في وجه هذا المأمور ويهجم عليه ويشبعه ضربا ، وكان هذا سببا لابعاده فيما بعد .

٢٥ شهريور – ١٦ سبتمبر

الساعة هي الآن الحادية عشرة ، وقد حان وقت خروجنا . لا أثر للجنود في الممر في هذه الساعة عادة ، لذا يستغلها الرفاق للاتصال ببعضهم ، وتبدأ الاحاديث بين الغرف المجاورة . يقف شخص في أعلى السلم وآخر في اسفله لكي يخبرا الرفاق بمقدم الجنود . مغلاق باب القاعة الرابعة معطوب لذا من السهل فتح الباب ، فتقدمت انا وفتحت الباب وادخلت رأسي الى الداخل وحييت الجميع باشارة من يدي ثم سألت عن احوالهم فردا فردا ، أشار الي أحد الرفيقين بأن جنديا قادم ، فأغلقت الباب الى ان مر بسلام . رجعت مرة اخرى ، فصادفت اربعة آخرين من الرفاق وراء الباب وكل منهم يبحث عن صديق له ، وآخرين منهمكين في الحديث . من الطريف ان زميلي العامل المشار اليه في بداية هذه المذكرات هو الآخر هنا . ولقد ادهشني وجوده هنا حقا . اقتربت منه وحييته ثم سألته عن سبب اعتقاله ؟ فقال لي بأنه كان يظن ، لحد الآن ، بأني انا الذي اعترفت

عليه ! فقلت باستغراب : أنا !؟ وكيف ؟. فلقد كان قد مضى على انقطاعنا عن بعضنا البعض مدة غير قصيرة . قال : حسنا ، اذا كان الامر كذلك فان اعتقالي جرى بحثا عن زيد . سألته عما استفسروا منه حولي وبماذا اجابهم . فقال : طلبوا الي ايضاح نوعية علاقاتنا وكيفية تعارفنا مع بعضنا، فقلت لهم بأني قد تعرفت اليك في المعمل واثناء العمل وبأنك كنت تتردد علي لتتعلم اللغة الالمانية وذكرت اسماء ثلاثة كتب استعرتها منك ، سألته : ـ اي كتب ذكرت لهم ؟ قال : ـ المبادىء الاولية للفلسفة ، الام لمكسيم جوركي ومنتخبات لينين . قلت مندهشا : ـ لكنني لا اذكر بأني قد اعرتك مثل هذه الكتب قط . قال : ـ صحيح ، ألحوا علي كثيرا، فلم يبق امامي سوى الاختلاق . قلت معلقا : ـ انا بالذات لم اطالع بعد منتخبات لينين ولقد سمعت عنه انه كتاب ضخم ... حسنا ، لا تأبه ، ولا ضير فيما قلت وان سئلت ، فسأؤيد اقوالك ... والآن ما اخبارك ؟ كيف حالك ؟ لم يدر بخلدي في يوم من الايام بأنك ستنزل في هذا المنزل قط ! انه مكان طيب. أليس كذلك ؟! كان قد مسكني من يدي ويشد عليهما بقوة وقد تسمرت عيناه في وجهي ، اذ لم يكن يصدق ان يراني بهذه المعنويات القوية ... اخطرته بأن جنديا قادم نحونا فسحبت يدي بسرعة وحييته مودعا ... اغلق الباب خلفي ... وتوجهت نحو السلالم مطرق الرأس بحجة النزول .

كان هذا اللقاء مع زميلي العامل ذا فوائد لي ، فلقد عرفت انه الآن رهن الاعتقال ، كما لم اتسبب في الاتيان بالتعذيب على نفسي من اجل ثلاثة او اربعة كتب .

٢٨ شهريور ـ ١٩ سبتمبر

طلبت اليوم مرة اخرى . اقتادني احدهم الى الطابق السفلي بعد ان غطى رأسي ووجهي ... مشينا نحو الطرف الجنوبي من البناية رقم (١) وانتهينا بباب حديدي يؤدي الى سلالم تؤدي الى سرداب كبير ... لاول مرة أصادف هذه السلالم ، وتبلغ عدد درجاتها ٤٠ ـ ٥٠ درجة ... وبعد ان دار بي داخل السرداب لعدة دورات ادخلت ممرا يشبه غرفة كبيرة نسبيا تؤدي الى غرفتين تقابلان بعضهما ، وفي اقصى الممر منضدة تحيط بها عدة كراسي . جلست على احدى الكراسي .

ان اقتياد المرء معصوب العينين الى مثل هذه الاماكن ومن خلال كل هذه المسالك والممرات الملتوية حيث يسود سكوت مريب ورهيب ، من

الطرق الجهنمية التي يتبعها الساواك بهدف ادخال الرعب والهلع في قلوب الاسرى وبالتالي ايجاد ثغرة في معنوياتهم وشل عزائمهم الفولاذية عند بدء التعذيب ... وتجري قبل بدء عمليات الاستجواب والتعذيب تهيئة الجو لخلق مستلزمات الانهيار والتردد والشكوك ويعملون بكل ما في وسعهم رسم صورة لهذا المحيط في ذهن الضحية ، فمثلا ، كثيرا ما يرددون : « ـ اتدري أين انت الآن ؟ انك الآن في الفردوس !، والجحيم يقع في السرداب الاسفل اذ لم ننزل من السلالم بعد ! » وعبارات مماثلة اخرى تكرر ليوم او يومين على مسمع الاسير حتى يتجسم المكان له محلا للاشباح والوحوش ... ثم يبدأ بالتفكير عن الجحيم الذي يقع في السرداب التحتي ، والسلالم المؤدية اليه وعدد درجاتها وهلم جرا . وبعد انقضاء هذه المدة ، وعندما ييأسون من استجابة الضحية يقولون له :

ـ حسنا ، « لا تقل شيئا ، لا تذكر شيئا ، انهض اذا لننزل الى الاسفل » ، ثم يخاطبون شخصا آخر : « بلغ حضرة الدكتور ان يتهيأ ! ويتبعنا الى السرداب » . انهم كثيرا ما يرددون اسم السرداب ، في حين لا سرداب هناك مطلقا .. كل ما هنالك ، سلم حجري ذو ٣٠ ـ ٤٠ درجة يؤدي الى بناية اخرى تقع تحت المكان الذي انت فيه ، كما ان الغرف لا تختلف عن الغرف الاعتيادية الموجودة في الاقسام الاخرى من العمارة ، والجلادون ، هم نفس اولئك الذين يشتركون في التحقيق والتعذيب وعمليات الاعتقال . هناك فقط احتمال واحد هو استبدال الوجوه وقد يكون بعضهم ممن تلتقي بهم لاول مرة ... تركوني وشأني لمدة تقارب ربع الساعة (طبعا ليفسحوا مجال التفكير لي ولتبدأ الهواجس والاوهام بالتحرك في مخيلتي) .

تساءلت في نفسي : ترى ما الذي حدث مرة اخرى ؟ لعلهم اعتقلوا شخصا آخر ذكر لهم بعض المعلومات عني ! لعلهم .... لعلهم ... وهكذا تتابعت الاسئلة في ذهني واصطدمت الاحتمالات ببعضها .

تقدم احد المأمورين نحوي . شخص بدين خشن ، يرتدي ملابس من أحدث طراز . ربت على كتفي متسائلا : ألست (...) ؟ قلت :

ـ نعم .

ـ حسنا ، هل تعرف (...) (وكان الشخص الذي ذكر اسمه هو زميلي العامل) .

ـ نعم .

ـ كيف تعرفتما على بعضكما .

اعدت ما كنت قد ذكرته سابقا حول هذه المسألة .

ذهب ، وبعد برهة قصيرة ، عاد حاملا تحت ابطه شيئا من الاوراق وبيده قلم حبر ازرق اللون . ناولني اياهما قائلا : اشرح طبيعة نشاطاتك مع (...) و (...) مع ذكر كافة التفاصيل . شرعت اكتب مراعيا مبدأ (قل ولا حرج) ذاكرا ، من بين ما ذكرت ، ما سبق لزميلي العامل ان ذكره لي عند التقائي به ، لكنني لم اذكر شيئا عن منتخبات لينين وسلمت الاوراق اليه فأخذها ، وما لبث ان عاد وقال لي : أليس لديك شيء آخر نسيت ذكره في حقل علاقاتك معه ؟

قلت : لا اذكر شيئا غير ما كتبت ، باستثناء انني اعرته اثنتين او ثلاثة اعداد من مجلة « العالم الجديد » ولا اذكر شيئا غير ذلك .

وحيث انه لم يكن يستطيع تلفظ عبارة « منتخبات » قال : كنت تملك كتابا عن لينين ايضا ، أليس كذلك ؟ هيا ، خذ الاوراق واذكر ذلك الكتاب ايضا .

كنت ، اضافة الى ما سبق ، قد تحدثت ضمن ما كتبت ، شيئا عن زميلي العامل معرفا اياه بأنه انسان ساذج ، متزوج حديثا ، لا علم له اصلا بطبيعة علاقاتي مع زيد . وكانت هذه نوعا من التسهيل لاطلاق سراحه .

عندما افرغت من الكتابة ، كان شخص آخر يقف خلفي ، وبعد ان تفرس في وجهي بدقة لثوان ، سألني : ـ

ـ قل لي ، اين وزعت بيانات سياهكل ؟. كان لهذا السؤال وقع الصاعقة علي وكدت أقع في الفخ ، لولا اني تمالكت اعصابي فورا (٢٤) فقلت متسائلا : ـ وماذا تعني ببيانات سياهكل ؟ فقال :

ـ ألم تستلم مثل هذه البيانات من (...) (ذاكرا اسم احد الرفاق في المجموعة) قلت : كلا ، لا علم لي بمثل هذه الاشياء ، ولم يسبق لي طوال حياتي ان قرأت بيانا ، ناهيك عن توزيعه ...

فاكتفى بالقول : « كل شيء سيظهر على حقيقته الآن .. » . وولى من حيث أتى . كان هذا ايضا من احدى حيلهم التي لو كتب لها النجاح لتسببت في ادانتي وانزال الضربة القاضية علي ... فتساءلت في نفسي : ماذا دهاكم ، ايها الملاعين ، بعد كل هذا ، تعودون فتسألونني عن بيانات

---

(٢٤) كنت قد وزعت ذات مرة في السوق حوالي (١٠٠) نسخة من بيان مساندة لحركة سياهكل .

سياهكل ؟ ولقد ظل هذا السؤال يدور في فكري دون ان اجد له جوابا (٢٥)، ذلك لانه ، لم يكن احد غيرنا (انا والرفيق المسؤول) يعرف بموضوع البيانات . على أي حال ، انتهى التحقيق ... ولم أر مرة اخرى ذلك الشخص الذي هددني بأن « كل شيء سيظهر على حقيقته الآن ... » وارجعت الى الردهة الخامسة غانما قلم حبر المحقق في هذا السفر النفيس!

مضت الايام بهذه الصورة ، وفي التاسع من شهر (اكتوبر) نقلت من معتقل « اوين » الى سجن قزل قلعة . وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف عندما ادخلت من الباب الخشبي الرئيسي للسجن الى داخل السجن . فناء السجن ، ساحة تبلغ مساحتها ٢٤٠٠ متر مربع (٢٠×١٢٠) ويتكون السجن نفسه من اربعة قلاع . ثلاثة قلاع منها تقع في جهة الغرب والقلعة الرابعة تقع في الشمال الشرقي . هناك صفان من الغرف الانفرادية على الضلعين الطوليين للفناء تطل شبابيك الصف الامامي على الفناء مباشرة ... تتخلل الفناء حديقة صغيرة يتوسطها حوض ماء محاط بصف من اشجار (الصفصاف الباكي) وقد تدلت اغصانها الى داخل الحوض وحديقة صغيرة اخرى تتوسطها صفصافة فتية ... هذه هي الصورة الحقيقية لفناء سجن قزل قلعة .

السجن يغص بالسجناء البالغ عددهم حوالي (٢١٠) اشخاص، لا توجد اسرة وبطانيات كافية لمثل هذا العدد بل ولا مكان لهم ... باستثناء فصل الصيف ، حيث يسمح لعدد كبير من السجناء بالنوم في الفناء ... على أي حال في وسع المرء ان يضطجع في الممرات والنوم الى ان يحل الصباح !! تعتبر هذه الايام موسم خير بالنسبة لقزل قلعة ومزيدا من الازدحام ، فلقد كان رجال الساواك قد اعتقلوا كل من اثار لديهم ادنى شك او استفسار والقوا به في هذا السجن . طلبة جامعيون اشتركوا في المظاهرات ، اكثرية اعضاء منظمة تبريز ، كوادر سفلى ومؤيدون لمنظمة « فدائي الشعب » ولمجموعة « مجاهدي الشعب الايراني » واعضاء في المجموعات والتنظيمات السياسية المختلفة ... عدد من الفلاحين ، عدد من مزيفي الوثائق ، عدد كبير من الاشخاص البعيدين عن السياسة اصلا اعتقلوا لمجرد علاقات

---

(٢٥) توصلت فيما بعد الى نتيجة انه ، بالنظر الى ان ابرز نشاطات اكثر الجماعات والفئات السياسية في تلك الفترة كانت تنحصر في نشر وتوزيع بيانات من هذا القبيل وان هذه البيانات وزعت على نطاق واسع ، فان العدو ذهل من سيل البيانات التي أخذت الايدي تتلقفها من اكثر من مصدر واحد ، فلم يستطع التوصل الى منشئها ، لذا التجأ الى هذه الحيلة مع جميع المعتقلين دون استثناء لعله يتوصل الى شيء ما بشأنها .

شخصية بعيدة او قريبة مع بعض العناصر السياسية !! نعم ، كان هذا الخليط يشكل نزلاء قزل قلعة ، لذا لم يكن الجو المهيمن في السجن جوا سياسيا بمعنى الكلمة ، وكانت الجهود موجهة قبل كل شيء نحو تأمين مستلزمات الحياة الاولية : كيف الحصول على المكان ؟ كيف يجري تقسيم الطعام والمواد الغذائية ؟ كيف تقسم السكاير بنسب عادلة ؟ وقضايا اخرى من هذا القبيل . ومع كل ذلك ، ورغم هذه الظروف الصعبة ، كان هناك عدد قليل ، لا يتعدون اصابع اليد من حيث العدد ، يتجمعون في احدى زوايا السجن وينهمكون بشغف وتلهف لا يوصفان في بحث ومناقشة القضايا السياسية . كانت طرق واشكال التفكير والتناول تختلف من شخص لآخر ، وكانت هناك اختلافات في وجهات النظر ، اذ لم تتوضح مصائر المعتقلين بعد وكان هناك حتما بيننا أفراد يعملون لحساب العدو . حتى الاشخاص الذين كانوا ، بسبب قابلياتهم الذاتية والادارية ، يستطيعون ان يخففوا من هذه الفوضى السائدة كانوا يتهربون من الالتزام بأي شيء ، لذا فقد طلب الينا انتخاب اربعة اشخاص (كمحافظين) لادارة الامور في قزل قلعة .

وثمة سبب آخر يدعو الانسان الى عدم التفكير في التوحيد السياسي للسجناء ، الا وهو كون السجن بالذات في حالة تحول وتغيير دائمين في نزلائه ، كانوا يجلبون (١٥) نزيلا ويأخذون (٢٠) منا ، ثم يجلبون (٢٠) آخرين وهكذا ... وكان عدم الاستقرار هذا من جهة وكثرة عدد السجناء من جهة اخرى يشكلان اسباب استمرار الفوضى داخل السجن . لم نكن نواجه مشاكل تذكر فيما يخص الطعام ، والفواكه والتنقلات داخل السجن لاننا كنا نملك يومي مواجهة اسبوعيا ، لكننا كنا في ضيق كبير من ناحية الكتب والجرائد والراديو حيث كنا جميعا محرومين منها . كانت هناك نسخ قليلة جدا من « كتاب الاسبوع » ونسخ من « القرآن » تتداول بشكل خفي للغاية ومن تحت الملاحف والاغطية وكان الحصول عليها صعبا للغاية ، لكل ذلك فان اكثر وسائل اللهو لنا كانت تنحصر في لعب كرة السلة ، كرة القدم الشطرنج ، لعبة الداما وغيرها ، وكنا نستفيد من خميرة الخبز في صنع بيادق الشطرنج ، طاولات النرد ، نفاضات السجاير ، السبحات ، وكانت هذه الصناعة ! قد انتشرت بين السجناء بحيث احترفها البعض وبرع فيها وكان قسم كبير من انتاجهم يصدر الى خارج السجن ايضا وكانت هناك ميزانية خصوصية لشراء الاشرطة والكركم ونثارة القند وصبغ النيل التي تدخل كمواد اولية فيها !

كان هذا الوضع توأما لوضع آخر صعب للغاية خلقته العناصر

الضعيفة والمعترفة والواشية ، وضع يؤثر بشكل كبير في الجو العام للسجن ، يمتد تأثيره حتى الى البرامج العادية للحياة اليومية كالاجتماعات اللاسياسية التي يعقدها السجناء لمناقشة احدى المواضيع العامة ، فمثلا كان احد طلبة الكليات ، وهو شخص ديني ، يتحدث في احد الايام حول موضوع علمي بحت هو « اينشتاين والنظرية النسبية » لجمع من السجناء، فوصل الخبر الى رجال الساواك المسؤولين عن السجن ، واقتحم جمع منهم القلاع على حين غرة باحثين عن الطالب المذكور ولما وجدوه انقضوا عليه كالنسور الجائعة واشبعوه ضربا ، ولم تقف اعتداءاتهم عنده، بل تجاوزت الى زملائه في القلعة الذين لم يسلموا ، هم الآخرون ، من الاهانات والضرب. وذات يوم آخر ، هجموا على مراقب القلعة بغتة واشبعوه ضربا وركلا ، ثم اخذوه للجلد ولما رجع ، لم يكن بالامكان تبيان تقاطيع وجهه من آثار الكدمات ، ولم يكن يستطيع الحراك لايام متتالية ثم القي به في القسم العام، وبقي السبب خافيا على السجناء لعدة ايام ، عرفوا بعدها بأن السبب هو ان اخبارا وصلتهم عن وجود كتاب يتداول بين السجناء بسرية تامة وان المراقب قد (قصر !) في اخبارهم عن هذا الكتاب ! وخلاصة القول ، لم يمض يوم من شهري مهر وآبان (اكتوبر ونوفمبر) دون ان تحدث مثل هذه الحوادث والاعتداءات ، وكنا نضطر كل يوم الى تدليك أرجل عدد من الرفاق واجسامهم بالمروخات والمراهم !

والواقع ، فان هذه الحوادث كانت ذات اثر ايجابي من جهة ، حيث يتشارك السياسي وغير السياسي في لمس وحشية السلطة واجهزتها وكان هذا من شأنه ، تقريب هؤلاء من بعضهم في السجن ، وترك الخلافات الجزئية والجانبية جانبا ، ولقد شهدنا في اواخر شهر آبان (نوفمبر) اضرابات عن الطعام وصيحات استنكار واحتجاج اطلقها سجناء غير سياسيين واعتقلوا من دون أية تهمة واضحة ارتكبوها .

واخيرا ، تحسن الوضع بالتدريج . كنا ننظم حتى اجتماعات خاصة لقراءة الاناشيد ، وكانت برامج الرياضة والغناء الجماعي والاجتماعات الاسبوعية الموسعة حول القضايا المالية وقضايا الحياة اليومية مجالات جيدة وخطوات اولية نحو تعويد السجناء على التضامن والائتلاف . والاستماع الى الآراء المختلفة ، وتبادل وجهات النظر حول مختلف القضايا، وتهيئة الجو من اجل خلق نوع من الوحدة السياسية حول الخطوط الاساسية للنضال .

عند غروب احدى ايام شهر آذر (ديسمبر) طلبوا الي ارتداء ملابسي

والتهيؤ للنقل بناء على طلب مديرية السجن . لم أكن في حاجة الـــى أي (تهيؤ) اذ لم تكن لي امتعة، حتى بالمفهوم السجني الدارج . فاقتادني أحدهم بنفس الملابس التي كنت ارتديها ، قميص طويل وسروال عسكري، الى مكتب ساقي وهناك طلب الي المكوث في الممر والانتظار ... اتكأت على حائط الممر ، وشرعت الاستفسارات تتوالى في دماغي عن سبب استدعائي مرة اخرى ؛ هل حدث شيء آخر يا ترى ؟. طرق سمعي صوت صراخ واستغاثة يصدر من غرفة ساقي (او بالاحرى مقهى ساقي ـ كما كـان مشهورا بين السجناء) . فتح احدهم باب الغرفة المجاورة والقى نظرة علي ثم ذهب وفتح باب المقهى !! لكي استطيع مشاهدة عملية التعذيب بوضوح، وكان الضحية احد الاشخاص الذين القي القبض عليهم في تلـك الليلة . كانوا قد ربطوه الى المصطبة ويضربونه بالسياط بوحشية ويطلبون اليه بالحاح ان يتكلم ويعترف ... يا للمسكين ، كان وجهه ملطخا بالدم ومتورما من عدة اماكن من أثر اللكمات ، لا يستطيع المشي من أثر الفلقة ، كان شابا في مقتبل عمره قوي البنية ... ومع كل التواءة له من شدة الالم تنقلب معه المصطبة ، وفي احدى هذه الانقلابات المتكررة انقطع الحبل الذي كان يربط رجليه الى المصطبة ، فانهال احد الجلادين ركلا ورفسا على صدره وفخذه والاقسام الحساسة من جسمه ... كنت انظر خلسة الـى هـذا المنظر الرهيب ، ويمر الجلادون من امامي وقد شمروا عن سواعدهم . كان المكان أشبه بمسلخ ، حقا انه مسلخ بشري !. اقبل علي ، على حين غرة ، المدعو هوشنك افهمي وقال مسرعا : ـ حسنا ، ايها السيد (...) ، والآن ... هل لا زلت تمتنع عن ذكر جميع الحقائق ... هه ؟ انه لعبث ان تتصور بأن وضعك في القسم العام يعني ان كل شيء قد انتهى ، واننا اقتنعنا بأن لا شيء في جعبتك ! غير ما قلته لنا ، عبثا تتصور بأننا سنسمح لـــك بمواصلة الارتخاء في قزل قلعة والنوم ملء جفنيك في راحة بال! تريث قليلا، فسيأتي دورك ايضا !. ثم تركني وتوارى عن الانظار ... وبقيت علـى هذا الوضع لنصف ساعة من الوقت .. كم صعب هو الانتظار وخصوصا هذا النوع منه ، تتزاحم في مخيلة الانسان آلاف الغوائل والاسئلة والشكوك، ولكن ماذا في وسع المـرء ان يعمل في مثل هذه اللحظات العصيبة ؟ هناك شيء واحد في مقدوره اجتثاث جذور اليأس والقلق والتخاذل وهي المعنويات القوية والارادة الفولاذية التي لا تقهر والتصميم الحازم على المقاومة ... كما ان السكوت ، كلما امكن ، ازاء كثير من الاستفسارات هو الآخر مفيد في مثل هذه الحالات ، فلا شيء واضح لديك او لدى المحقق ، وفي الامكان

ابقاء جميع القضايا في ظلام تام دون ان تسلط النور الا على جوانب قليلة لا يستفيد منها العدو .

ظهر افهمي مرة اخرى ، وعاود التهديد والوعيد وثرثر كثيرا ونطق بالكثير من الالفاظ الخشنة والفظة ، لكن دوري لم يكن قد حل بعد ! فقال : « ليبق كل شيء لحينه ، فلا وقت لي الآن ، وسيكشف لك المستقبل القريب ، الاقرب من ارنبة انفك الى عينك ، كم سيكون الحساب عسيرا ان واصلت هذا العناد ، ستلتقي غدا !! وان غدا لناظره قريب » . ثم امر أحد الجلادين بأن القى في احدى الغرف الانفرادية في القلعة رقم (٢) ، ففعل . كان مكاني الجديد مريحا وجيدا ، يقع مقابل المرافق ، وبالامكان مشاهدة الرفاق عندما يترددون عليها . كان قد مضى هزيع من الليل وانا واقف بالباب ، اذ شاهدت احد السجناء متوجها نحو المرافق ، عرفته ، كان شخصا اشتاق لرؤيته كثيرا . ناديته وفتحت الباب (يمكن فتح ابواب اكثر الغرف الانفرادية في قزل قلعة باليد) ، وبعد ان نظر الي مليا ، عانقني بحرارة . كم كانت فرحتنا عظيمة بهذا اللقاء ! تحدثنا طويلا ، وقلنا ما قلنا ، وعند الافتراق ، قال لي وهو يحرك قبضة يده حماسا : لا تخف ، هؤلاء ليسوا سوى نمور ورقية ، قد يضربونك مائة جلدة او مائتين كحد اعلى ، ولتكن اكثر فأنت تدفع ثمن هذه الجلدات بآلام في جسمم قد تقاسي منها ليوم او يومين ، لكنك مقابل ذلك تصون راحة في الضمير دون ان تشعر الى الابد بوطأة اثام ثقيلة على كتفك لجرك رفيقا آخر الى هذا المكان ! تخرج شامخ الجبين كأبطال المعارك الدامية المنتصرين . وخرج وهو يلوح بقبضة يده .

في اليوم التالي ، حوالي الظهر منه ، استدعيت وطلب الي ان اجمع امتعتي استعدادا للنقل ، لم أقل بأنني لا امتلك اية امتعة حتى أتمكن من رؤية الرفاق مرة اخرى قبل الافتراق . لذا اخذني مرافقي الى القلعة الثالثة . ثقلني الرفاق بما شاؤوا من السجاير والفواكه والحلويات لانهم كانوا يتوقعون ان يكون النقل الى سجن (أوين) ...

صعدت سيارة كانت تنتظرني عند الباب ، ثم اوتي بأحد الرفاق من الردهة رقم (٣) ، كنت على معرفة سابقة به وكان قد جلب من آوين لمواجهة اقاربه ، فاقترحت عليه ان يأخذ ما كنت احمله الى الردهة رقم (٥) اذ كان من الممكن ان يلتقي بي هناك ، فلم يرض مبينا بأن اقوى احتمال هو انه سيلقى بي في الردهة التي هو فيها مع جمع من الرفاق ، واذا حصل وان الغي بي في ردهة اخرى ، فهناك ايضا اناس آخرون لا يختلفون عنا في

العقيدة والقضية ، اما نزلاء الردهة (٥) فانهم جميعا من منظمة « فدائي الشعب » .

بعد الوصول الى (اوين) ادخلت الى الزنزانة مباشرة ومن دون أي كلام سواء مني او منهم، زنزانة انفرادية في الطابق العلوي تحمل الرقم (٦) . ماذا يعني هذا ؟ لماذا الانفرادي ؟ لم أجد اي جواب لهذين السؤالين ومضت على الايام الثلاثة الاول بصعوبة شديدة ، لكني كنت بعد في اول الطريق وكان علي ان أتوقع الكثير من العثرات والاشواك ... وبعد هذه الايام الثلاثة ، كنت الح على الحارس ، كلما فتح الباب لتزويدنا بالسجاير او لتفقدنا ، ان يطلب من المحقق عن لساني ان يقرر مصيري ...

كانت الزنزانة حديثة البناء ، بالغة الرطوبة ، ولم يكن يكسر السكوت الرهيب الذي يخيم عليها ، غير الوقع الثقيل لاحذية الحراس وهم يذرعون الاروقة جيئة وذهابا ، لقد كان هذا الوقع الرتيب اكثر ايلاما من وخز الابرة في القلب ، وكذلك قرقعة الابواب حين تفتح وتغلق ، والصوت المزعج المنبعث من مدفأة معطوبة ... وبمرور الايام ، غدت حتى هذه الاصوات المزعجة اشياء اعتيادية لنا ... وكانت التمارين الرياضية ملاذنا الوحيد للتهرب من التفكير في مصائرنا المجهولة ، وكذلك التمشي ، والبحث في الحيطان والابواب عن عبارات واسماء واشارات كتبها سجناء آخرون سكنوا هذه الزنزانات قبلنا : ابيات شعرية ، كلمات ، اسماء ... كما كنا نمضي جانبا من وقتنا بالنظر في حذر واحتراس من خلال ثقب الباب الى الخارج ، وصنع التماثيل الصغيرة من خميرة الخبز وتنظيف الصحون والمواعين بقطعة قماش . هذه كانت وسائل الترفيه عندنا ونحن نقضي هذه الايام الطويلة في الزنزانات الانفرادية الرهيبة .

في اليوم الخامس ، وحينما كنت انظر الى الخارج، كالعادة ، من ثقب الباب ، شاهدت الحراس يقتادون شخصا نحو زنزانتي ومن الحديث الذي كان يدور بينهم ، فهمت بأنهم يبغون نقل احد السجناء الى جانبي ففرحت فرحا شديدا لذلك . واخيرا فتح الباب وادخل السجين الى الزنزانة وغادر الحراس بعد ان اغلقوا الباب خلفهم ... كان الرفيق القادم، احد الكوادر المتقدمة للمنظمة الثورية ، مندفعا شديد الحماس يفيض نشاطا وحيوية وحرارة ، لكنني كنت اخشاه واتردد في اطالة الكلام معه خشية ان يكون احد رجال الساواك وان يكون في الامر حيلة من حيل ساواك التي لا تعد ولا تحصى ... ومع اني بقيت متشبثا بالحذر الشديد ، غير اني بدأت أشك في تصوري بعد جلسة او جلستين معه .. لم أكن قط انسانا

هادئا طوال حياتي ، وحتى في داخل هذه الزنزانة الضيقة ، كنت لا أكف عن الحركة والتمشي والانتقال من هذه الزاوية الى تلك ، لا أكف عن ممارسة التمارين الرياضية ، عن الضحك ، عن الكلام والمداعبات ، بحيث قال لي شريكي في الزنزانة ذات يوم : انت لست الشخص الذي تتكلم عنه اضبارتك! كنا لتونا قد أنشأنا علاقات وثيقة وصميمة ولم يكن قد مضى على سكناه معي في الزنزانة سوى تسعة ايام ، اذ نودي علي في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التاسع ، وكان المنادي حارسا ، امرني ان آتيه بسترتي ، ففعلت ، واخذها مني وسحبها على وجهي بحيث لا أرى شيئا واقتادني الى غرفة التحقيق . مكثت مدة في احدى زوايا غرفة التحقيق انتظر ، وفجأة ظهر افهمي ، وكان وجهه يدل بوضوح على انه منزعج بشكل كبير . توجه الي بالخطاب قائلا : ـ

ـ حسنا ، هل صممت على الكلام وافراغ ما في جعبتك تماما ام لا ؟

قلت :

ـ أي كلام ؟ أي شيء ؟ هل ابقيت شيئا لم اذكره ؟

قال :

ـ فكر جيدا ، فكر مليا ، وافتح اذنيك لتسمع جيدا ما اقول ، ما ستلاقيه هذه المرة لن يكون مشابها قط لما لاقيته سابقا ، هل تتصور بأني من الغباء بحيث نسيت بأنك كنت في نفس هذه الغرفة تسخر من المحققين وتهزأ بهم وشرعت تطلق النكات ، هل تتصور بأني قد نسيتك ، ونسيت منظرك عند ذاك ؟ كلا لم أنس اهاناتك مطلقا !! فوالله ، لاجعلنك عبرة لمن اعتبر الى يوم الدين !.

قلت :

ـ لماذا ؟ هل ارتكبت جرما ؟ هل ابقيت شيئا ؟ قولوا لي ارجوكم .

فصرخ في وجهي قائلا : اخرس ، يا اخ العاهرة . ثم صفعني بشدة على اذني وهو يقول : والله لاجعلن منك شيئا يبكيك العالم كله ، سأحكم عليك ـ يا ابن العاهرة ـ بعشرة سنوات من الاشغال الشاقة ، وسأضربك في كل يوم من هذه السنوات العشر مائة جلدة . قل لي ـ يا ابن العاهرة ـ ماذا تتصورنا ؟ حفنة من الحمير ؟

غير انه عندما لم يجد مني غير الانكار والعناد وليس غيرها ، نادى على احد الحراس قائلا : ـ خذه الى الاسفل .

لم يكن هذا « الاسفل » شيئا مخيفا لدي بعد ، فلقد كنت أعلم انه ليس سوى النزول من خلال السلم الى الطابق السفلي ، الى المكان الذي

اشرت اليه في مكان سابق من هذه السطور . نزلنا انا والحارس ودخلنا سوية نفس الغرفة السابقة لكن لم تكن هناك اية منضدة ـ كالسابق ـ بل كان فيها مصطبة واحدة ولفات من الحبل وسلك معدني غليظ عاري الطرف وعدد من الكراسي الصغيرة . كان الديكور قد تغير قليلا ! وقفت عند الحائط لوحدي وانتظرت لمدة من الزمن ... الانتظار ينخر في قلبي ... في مثل هذه اللحظات الحاسمة على المرء ان يركز التفكير في ما يقوي المعنويات ويعززها ... قراءة قصيدة ثورية مثلا ، تصوير المناظر والمواقف التي تتأتى من قوة المعنويات ورفض الاستسلام والتخاذل ... حتى نطح الحائط بالرأس او ضربه بقبضات محكمة واثارة الغضب الذاتي ... هذه كلها تقف بوجه محاولات العدو لتعريض المرء الى الانحطاط المعنوي ثم التهيؤ لقبول حالة اليأس والاستسلام ... انتهى هذا الانتظار الممل بقدوم هوشنك خان بقده القصير وهيكله المثير للضحك ... قال من دون تردد : ـ

ـ اضطجع ، هيا .

لم امتثل لامره من باب بيان الغبن والاجحاف ، وشرعت اورد التبريرات ، لكنه لم يقتنع بأية واحدة منها بل شرعت السباب والشتائم المقذعة تنهال من فمه مدرارا ثم تناول السوط وانهال علي ضربا بوحشية وهو يردد : هيا ، امتد ، هيا ... مسكت السوط من يده عدة مرات ، فاهتاج لهذا ، وسدد الى رأسي اثنين او ثلاثة وهو يقول : والآن ... حسنا ، تتجرأ على سحب السوط من يد مأمور الساواك ، ها ؟ نعم ... والآن تسحب السوط منا ايضا ... كرر هذه العبارة لعدة مرات وهو يوجه ضربات شديدة من سوطه الي مشفوعة بأقذع السباب والشتائم ... واخيرا ، لم اعد اقوى على الوقوف على قدمي فوقعت على المصطبة وربط هو رجلي ويدي باحكام واستأنف الضرب بوحشية وقساوة اكبر ... كان السوط ثقيلا جدا وموجعا ، وحيث كان احد طرفيه عاريا فانه جرح رجلي من عدة اماكن وسال الدم من الجروح ... وفجأة توقف عن الضرب وحل وثاقي وامرني بالنهوض فورا والسير على قدمي ... فهمت بأن هذا الامر بالسير ، ليس سوى تكرار للعملية السابقة ، فتملصت من السير متأوها ، او بالجلوس على الارض ، واظهار الانهيار الجسدي التام ، فاهتاج من هذا وانهال علي لكما ورفسا ولطما الى ان افرغ ما في قلبه من حقد لكنني اصررت على عدم السير . مسكني من يدي ولواها بقوة وسحبها الى الاعلى وهي ملوية ، لكنني بقيت على اصراري ، لوى كلتا يري مرة واحدة وسحلني بهذا الشكل على الارض ، فلم امتثل ، القى بي على المصطبة مرة اخرى وهم

بربط رجلي ويدي اليها ، الا ان دخول مصطفوي في هذه الاثناء حال دون اكمال الربط . سأله مصطفوي قائلا : ماذا حدث ؟ هل من جديد ؟ فاجابه : يدعي بأنه قد ذكر كل مايعرفه ، يمتنع عن الكلام ، يتصور بأننا نقاسي كل هذه المتاعب عبثا ، ثم انقض علي كالحية الجريحة مطبقا فكيه على بعضهما واخذ يضربني بوحشية صفعا ولكما يوجهها من دون تحديد وهو يقول : ـ قل لي ، يا ابن العاهرة ، من هو (...) ؟ اتعرفه ؟ فتدخل مصطفوي وتوسل اليه ان يكف عن ضربي ، ثم توجه الي بالكلام قائلا : انظر ايها السيد فلان ، نحن ، يدعونا الناس مأموري منظمة الامن والاستخبارات الايرانية ويسمى هذا المكان بـ « ساواك » (٢٦) ، هل تتصور بأنك قد ضللت الساواك بهذه الترهات والسفاسف التي تفبركها ؟ ان مثل هذه الحيل لا تمر علينا قط ، هناك شيء واحد ، نأخذه بنظر الاعتبار وهو ان اطلقنا سراحك بهذا الشكل فانك سرعان ما تعود الى عاداتك القديمة وتسلك نفس السلوك الذي القيت نفسك بسببه في هذا السجن . أتتصور ، بأننا اغبياء الى حد نسيناك وانت تقضي احسن اوقاتك مع السجناء الآخرين في الضحك والنوم والحديث وتتمتع بهواء قزل قلعة النقي ؟! كلا ، اننا نتابع سلوكك ، يوميا وبكل دقة ، على اعتبار ان التحقيق لم ينته معك بعد وارجو ان تثق بأن لا حيلة يمكن ان تمر على رجل الساواك !.

قلت في نفسي ، تبا لكم ولاكاذيبكم ، الا يكفيني مثلا شريكي في الزنزانة المناضل (ايزديناه) الذي سايركم لثلاثة اشهر وتمكن من اغوائكم الى ان وجد سبيلا للفرار من براثنكم والتحق بالكفاح المسلح واصبح من الكوادر البارزة للمنظمة ؟ هذه العملية التي لا يمكنكم نسيانها ابدا ... لكنني بقيت ساكتا مطرق الرأس لا انبس ببنت شفة ، ويبدو ان مصطفوي فسر هذا السكوت برضاي مما قاله واقتناعي به ، لذا التفت الى افهمي قائلا :

ـ دعه الآن ، ايها السيد افهمي ، ليذهب ويفكر قليلا ...

ثم توجه الي بالكلام قائلا : ـ ستعود الآن الى زنزانتك ، دعني أر هل انت تسكنها لوحدك ام لك شريك فيها . قلت : لست وحدي . قال : ـ حسنا ، سأرسلك الى مكان آخر تفكر فيه لوحدك بذهن صاف ! اعلم انه ليس امامك سوى ساعتين تحدد خلالهما موقفك ، وبعد ذلك يبقى تقرير مصيرك من شأنك ، فأما ان تتكلم لنا بالتفصيل عن جميع المعلومات المتوفرة لديك وتعطي جوابا شافيا ومقنعا لكل سؤال يلقى عليك وتخلص نفسك من

---

(٢٦) يطلق هذا المختصر لاسم منظمة الامن على مقراتها ايضا ـ المترجم .

هذا الوضع ، واما ان تظل مصرا على هذه السخافة ، وفي هذه الحالة فانه سينتظرك ما لم تقرأه حتى في بطون كتب التأريخ او في الاساطير افهمت ؟. ثم نادى على الحارس وأمره بأن يأخذني الى الغرفة الانفرادية رقم (١٣) المواجهة للباب الرئيسي المؤدي الى القسم الانفرادي ، وسحبني الحارس من يدي وقذف بي هناك ثم اغلق الباب خلفه ومضى ...

جلست في زاوية من الزنزانة ، تذكرت اشعارا لشاعر ثوري وتمتمت بها مع نفسي : « انه من غير المروءة ان تجر الى ميدان التعذيب رفيقا آخر تخلصا من مائة او الف جلدة.. اياك ان تفشي السر العظيم ... وحتى لو مت ضربا بالعصي ، فانه اشرف لك من ارتكاب الخيانة » .

كان صراع عنيف يدور في داخلي . « علي ان اخرج من هذه المعركة الفاصلة عالي الجبين » ، رن هذا في مسمعي عدة مرات ، كأن صوتا ينبعث من أعماق قلبي ، يلح علي ان اقاوم واقاوم فقط . خاطبت نفسي : ألم اكن من وقف بوجههم وقاوم كل مخططاتهم واحابيلهم لاشهر ثلاث دون ان أدعهم ينفذون الى مكامن قلبي ؟! تحملت كل ذلك العذاب والضرب والايذاء ، وبقيت في الميدان اقارعهم دون ان استسلم . هل لي الآن ان اتخاذل بكل هذه السهولة ؟ كلا .. كلا .. لن اخون رفاقي لن اخون القضية قط . لن يذكر لساني اسما لاحد من الرفاق ... لكن ما السبب في جري الى هذا الوضع مرة اخرى ؟ ماذا يعني « الا تعرف (...) ؟ الم يبلغني المواجهون (الاشخاص الذين يأتون لمواجهة السجين) بأن (...) هذا يعيش حياة اعتيادية ومنشغل بعمله الاعتيادي ؟ هل هناك ، يا ترى ، احتمال لوقوعه في قبضة العدو ؟ كلا ، فلو كان قد اعتقل واكتشف العدو شيئا ، لكان العذاب غير هذا العذاب ولكانت وجوههم غير هذه الوجوه ولكنت انا الآن في غير هذا المكان في (رخصة) للتفكير ، بل كنت مضطجعا على مصطبة التعذيب ولا يعلم احد ماذا كان قد جرى لي .. اذا فما الذي حدث على وجه التحديد ؟ هل ان اسمي ورد على لسان شخص آخر ولو من بعيد ؟ قد يمكن ان احدا من رفاقي في السجن قد ادلى بشيء عني ، او انهم حصلوا على بعض المعلومات عني بهذه الوسيلة او تلك ... لكن هذه كلها لا تعتبر مستمسكات ضدي ، ولو كان الامر كذلك لقالوا بصراحة ان هناك معلومات جديدة عني ... اذا فالاحتمال الاقوى الكامن وراء هذه الضغوط هو الاطمئنان بصورة نهائية على حقيقة موقفي ، وظلت هذه الحسابات والتحليلات والمقارنات تدور في فكري الى ان استقرت قناعتي على ان السبب هو اكمال الاضبارة وغلق القضية ليس غير . تذكرت بأنهم سيقبلون

الآن فالساعتان في سبيلهما الى الانتهاء ، وسيعاودون تعذيبي حتمـــا . اخرجت زوجين من الجوارب من جيبي ولبستهما معا ... هكذا سأقلل قليلا من آلام الضربات على الاقل ... لم يدخل احد بعد ، فتناولت قليلا من التبغ والتهمته حتى يغمى علي بأسرع وقت ممكن عند التعذيب ، اضطرب وضعي قليلا اثر تناول التبغ ... لم آكل شيئا بعد حتى أظل جائعا ... الانتظار يقلقني وينهش اعصابي ويأكلني اكلا ! لماذا لم يأتوا يا ترى ؟ بدأ الظلام يخيم على السجن ، لكن لا اثر لهم بعد ... يبلغ سمعي صوت صحون الطعام وهي ترص على الصواني ، هذا الصوت الذي نسمعه ثلاث مرات يوميا... اذن لقد حان وقت طعام العشاء... ففتحت البوابة وشرع التعداد ثم فتح الباب الكبير وسلمني الحارس الطعام ... الجوع قد انهك قواي ومع ذلك فلقد نهضت ومشيت قليلا ، ضحكت على نفسي مـــن الاعماق ! لكن الانتظار الثقيل لا زال ينهشني نهشا ... تريثت شيئـا آخر ... طرقت الباب ليسمح لي بالخروج الى المرافق ، اشعر بمرارة شديدة في فمي وبلعومي وغالبني التقيؤ والدوخة . قدم الحارس وفتح الباب وتوجهت رأسا نحو المرافق ففسست فمي وغرغرت بالماء وغسلت وجهي ورقبتي ، شعرت بتحسن حالي قليلا .

لا فائدة من الانتظار بعد ، هكذا يبدو لي الوضع ، يبدو انهم نسوني ... سحبت الطعام امامي وتناولت لقمتين او ثلاثا بصعوبة بالغة ، الافراط في الانتظار قد خدر اعصابي وقتل شهيتي ... بلغ الوقت ساعة متأخرة من الليل لكن جفوني تأبى الانطباق ... صمت رهيب يلف السجن بأكمله، حتى أصوات اقدام الحراس لا تصل الاسماع ... يؤذي نور المصباح عيني كثيرا ويضاعف من وطأة الارق على اعصابي .. اخرجت كنزتي وعلقتها مقابل المصباح لتقلل من شدة الضوء وتظلم الزنزانة ... يبدو ان هذه الحيلة نجحت اذ سرعان ما غرقت في نوم عميق ولم استفق منه الا عند الصباح . نهضت على صياح الحارس وهو يقول لماذا لم تستفق بعد ؟ هيا انهض .. انهض . .واكنس الغرفة ! يبدو ان وراء الاكمة ما وراءها ! نهضت وجمعت الفراش وبدأت بكنس الزنزانة ... أتاني بالفطور : ملعقة مربى ، قطعـة من الخبز كوب من الشاي وثلاث حبات قند ثم اغلق الباب وراءه وغادر ... تناولت الفطور ثم طرقت الباب ليسمح لي بالخروج الى المرافق وتنظيف الكوب . اجاب الحارس بخشونة : ــ ماذا دهاك ؟ من قال لك ان تطرق الباب ؟

قلت : ــ افتح الباب ، انوي الذهاب الى المرافق ، فلم اخرج منذ

الصباح والى الآن . فأجاب : تريث ، هناك شخص آخر قبلك .. تريثت قليلا ثم عاودت طرق الباب مرة ثانية فتح الباب على اثرها حارس آخر وقال : ماذا دهاك لتصر بهذا الشكل ؟ ماذا تحتاج ؟. قلت : اطلب الخروج فأجاب : لا اسمح لك ! واغلق الباب بعصبية وبقوة وولى ...

ماذا يعني كل هذا ؟ هؤلاء لم يكونوا بهذه الفظاظة سابقا !. عاودت الطرق مرة اخرى ، ففتح احدهم الباب وقال بعصبية : ماذا بك ؟

فقلت متهورا : ما بالكم ؟ كل يأتي ويقول لي ماذا بك ؟ ماذا بي؟ لم أخرج منذ الصباح الباكر ، افهمتم ؟ اتريدونني ان ابول في داخل الزنزانة؟. اغلق الباب هو الآخر ، لكنني لم اكف عن طرق الباب، واخيرا اضطروا الى فتح الباب وناداني احدهم قائلا : ـ هيا اخرج واغسل بسرعة وعد ، فانك مطلوب لامر ما . خرجت وغسلت وجهي وملأت كأسي بالماء ورجعت الى الزنزانة ، لكن احدا لم يأت لغلق الباب كالعادة !... بعد دقائق رجع الحارس من المرافق وفي يده ماسحة كاشي من نوع (T) ، فخاطبني :

ـ هيا ، تعال ... اين انت ؟ اخرج وخذ هذه الماسحة واغسل الممر كله ثم امسحه بها . سألته باستغراب : ماذا ؟ اغسل الممر ؟ لماذا ؟ اجابني : لا « لماذا » في الجيش، خذ الماسحة فورا ولا تؤخرني، والا احلتك بتقرير واحد على حسيني ، الذي تعرفه جيدا ..

فكرت في نفسي ان غسل الممر ثم مسحه بهذه الماسحة يشكل نوعا من الانشغال وقضاء الوقت ، اضافة الى انه ينطوي على السير لمدة من الزمن داخل الممر وانا منشغل بالعمل ... لذا تناولت الماسحة من يده ، وشرعت بالعمل ، وكلما مررت من امام الزنزانات الواقعة على الممر تنهال علي التحيات من الرفاق : النصر لك ، كيف حالك ؟ وهكذا .

وقفت برهة عند الزنزانة رقم (٦) ، اقترب شريكي السابق في الزنزانة من الباب وقال : ماذا حل بك ؟ قلت : لا شيء ، ضربوني قليلا ، لكنني لا ادري لهذا الضرب سببا ؟ قال : ليس هناك من سبب ، انهم يبغون امتحانك، كن قويا وقاوم ، فديتك بنفسي ..

بارحته ، انتهى الغسل ومسحت الممر كله ثم رجعت الى زنزانتي، حيث كان الحارس ينتظرني ، وقال لي : لا تدخل ، لنا عمل آخر ، بلّغت ان اكلفك بعمل آخر ، لكن هذا العمل لن يتعبك كثيرا ... طلبوا ان تغسل الخلاء بيدك ! لم اصدقه في اول الامر ، ساورني الضحك من هذا الطلب السخيف ، لكن المظهر العابس للحارس اوحى الي بأن علي الرجوع الى الزنزانة مصدقا ما يقول . ففعلت واغلق هو الباب وراءه وذهب . مساحة

الزنزانة (٣) امتار فقط (٥ر١×٢ متر) ، تحيط بي اربعة حيطان صغيرة ... داهمتني الهواجس الناشئة عن الانتظار مرة اخرى ... : « يجب ان تفسل الخلاء بيديك » . ماذا يعني هذا ؟ من اصدر هذا الامر ؟... لكنني فكرت في الامر بعمق اكبر ومنطقية ، فتوصلت الى نتيجة مفادها انه لا يستحق كل هذا الاهتمام الكبير . فتح الباب ثانية وامرني الحارس بالخروج ، ففعلت ، بينما تقدمني هو طالبا الي ان اتبعه ... في الطريق هززت رأسي بعنف ـ كما تفعل القطة عندما تحاول نفض الماء عن جسمها ـ خروجا من الاضطراب الفكري والقلق اللذين استبدا بي ، وتذكرت قولا كان احد الرفاق يردده كثيرا في قزل قلعة : « كذا من اللعنات على المائة او المائتي ضربة سوط ، سأتخلص بها من عذاب روحي الشديد وهذا بحد ذاته شيء لا يقدر ثمنه » .

نزلنا من السلالم ، مررنا بالممر ، السلالم ثانية ثم الباب الحديدي الكبير ، مشينا شيئا آخر ، سلالم مرة اخرى ، أدت بنا الى ممر صغير ثم صالة التعذيب العتيدة ! اوقفني الحارس في زاوية من الممر .. رفع احدهم السترة عن رأسي ، انه طهراني ، قال لي : حسنا ، هل فكرت ؟ هل قررت شيئا ؟ الم تعد ان لا تخفي عنا شيئا ؟. اجلس ، لا تتكلم . جلست دون ان اجيب على أي من أسئلته.. تركني طهراني، ذهب ولم يعد، خمس دقائق، عشرة ، نصف ساعة ، ساعة كاملة لكنه لم يعد وداهمتني الوساوس والهواجس القاتلة مرة اخرى ، وانهالت علي الاسئلة الذاتية ، اسئلة مجننة . مضت ساعة ونصف . عاد عندها مرة اخرى متأبطا بعض الاوراق وقال لي : ها ؟ أفكرت ؟ خذ الآن هذا القلم وهذه الاوراق واكتب الحقائق، كل الحقائق ... انظر ! الويل لك ان تركت شيئا غير مذكور ... ثم ولى ... تناولت القلم ، وشرعت اكتب ، دون ان اضيف شيئا على ما سبق ان كتبته في المرات السابقة .. انتهت الكتابة ، لكن احدا لم يأت لتسلم الاوراق مني .. قضيت نصف ساعة اخرى بعد اتمام الكتابة في اضطراب نفسي وقلق شديدين ... أقبل مصطفوي ، وتناول الاوراق واخذها دون ان يقول شيئا .. وبعد لحظات اعادني احد الحراس الى زنزانتي ... كان كل فكري يدور حول تكرار التحقيق ، والتعذيب الذي قد ينتظرني ، والاسباب التي ادت الى جري الى هذا المكان الرهيب مرة اخرى ... ولكن الى متى يجب علي ان افكر في سبل الفرار عن الهواجس ! والتخلص من الاوهام الفارغة التي لا تؤدي الى غير الصداع والاضطراب الفكري القاتل ؟. ومع هذا كان لا بد من التفكير في وسيلة للتخلص من هذه

الهواجس ... فيما مضى ، كانت احدى وسائل الهروب هذه ، هي الخميرة، خميرة الخبز التي كانوا يوزعونها ، وجمع حبات القند ... كنت اصنع حبات السبح وبيادق الشطرنج ... وكانت عملية اعادة عجن الخميرة وتهيئتها بالذات رياضة للاصابع اضافة الى انها كانت تستغرق شيئا لا بأس به من الوقت .. اتخلص خلالها من الملل والفراغ .. ثم احدثت نوعا من التطوير في هذه الحرفة اليدوية ! شرعت اصنع التماثيل منها ... وكانت ادوات العمل عبارة عن أعواد الثقاب او نتف المكانس ... ويجب الا يفوتني ان اذكر بأنه حتى هذا العمل كان يمنع من قبل الحراس بمختلف الحجج .. فتارة كانوا يقولون بأن صنع هذه التماثيل من العجين يعني عدم احترام الخبز ! وذنبا وهو يعني جحودا وكفرا بالنعمة ! وكان العرفاء يقولون : ما هذه ؟ من اين اتيت بها ؟ ألم يفتشوك ؟ ألم تبلغ بأنك يجب الا تحمل الى داخل الزنزانة شيئا باستثناء ما يسمح به من قبل ادارة السجن ؟

نعم ، حتى هذه التماثيل البسيطة التي تقلل شيئا من شعوري بالملل والفراغ ، كانت تعتبر اشياء محظورة لدى هؤلاء ، ويسلبونها كلما وجدوها لدي ويمنعوني من صنعها ..

في احدى مرات مسح الممر ، جمعت اثناء العمل علب الثقاب (٢٧) في زاوية من الممر واخذتها بعدئذ الى داخل الزنزانة اذ كان اللعب بهذه العلب هو الآخر نوعا من اللهو بسبب تعدد اشكالها والوانها ، وفي احدى الايام ، عثرت في المرافق وفي سلة المهملات على قطعة من الكارتون تحمل اعلانا تجاريا عن احدى البضائع ، باللغة الانكليزية ، فأخذتها الى الزنزانة ولكي لا يدركوا بوجودها عندي كنت مضطرا الى قراءتها وانا تحت الملحفة ... كان تهجي الكلمات الانكليزية والبحث عن معانيها هو الآخر نوعا من الانشغال ... لكن قلة وسائل الانشغال هذه ومحدوديتها والبحث عن السبل التي تقف في وجه الهواجس والوساوس السوداء حول التحقيق واحتمالاته كان يدفع بالانسان الى البحث عن اشياء اخرى ... كانت معاملة الحراس معي تزداد سوءا .. فمثلا كانوا ينقلونني من هذه الزنزانة الى تلك لعدة مرات من دون ذكر أي

---

(٢٧) العادة الجارية هي، ان على السجين المدخن الذي يرغب في التدخين ان يطرق الباب فيطلب من الحارس ان يولع له سيجارته من البوابة ، لذا كانت اعداد الثقاب المستعملة تتجمع تحت الباب .

سبب ، كانوا يضعون علب التنك امام الباب ويجلسون عليها ويحدثون قرقعة متواصلة بها عند الجلوس ، يفتحون باب الزنزانة بقوة ويدخلون علي فجأة، يتمنعون عن السماح لي بغسل الملابس او الاستحمام .. يتحججون لماذا كتبت شيئا على حائط الزنزانة .. كانوا يدخلون علي ويشرعون بتفتيش الحيطان دون ان يخلعوا احذيتهم . كانت هذه الاعمال مبعث تعذيب نفسي شديد لي بحيث كنت اتمنى في كثير من الاحيان ان تعود ايام التعذيب فأتخلص من هذه الوساوس والتعذيب النفسي القاتل ... لكن كل هذه الصعوبات كانت مكتوبة علي وكان علي ان أكون صبورا وصبورا فحسب ... كنت احسب ، في بعض الاحيان ، ان الانزعاج هو بمثابة الخوف من العدو وكان هذا يعقد من المشكلة اكثر فأكثر ... وكان ملاذي الوحيد هو التمشي داخل الزنزانة واية ساحة واسعة كانت هذه الزنزانة !! كان هذا التمشي منفسا لهمومي .

فتح الباب على حين غرة ، واقتادني احدهم الى غرفة التحقيق والتعذيب ، بقيت مدة من الوقت انتظر ، الى ان رفع طهراني الستـــرة العتيدة عن وجهي ، وشرع يتحدث الي ، نفس الشريط السابق ، نفس الكلمات السابقة ، نفس الوسائل السابقة .. انواع الحيل والالاعيب ... من التهديد الى التشويق والاغراء ... تكلم كثيرا وتقمص شخصيات كثيرة، ذهب في مظهر ، وعاد بلحن آخر مكررا نفس الاقوال التي تكررت على مسمعي مئات المرات ... ذات مرة ، وقف امامي وجها لوجه وفي يده قلم .. قال : ـ انظر الى هذا القلم ، أترى اين هو اصبعي ؟! هذا الاصبع يقسم القلم الى قسمين كما ترى ، قسم منه يستقر امام اصبعي والقسم الآخر خلفه .. لنعرف ان القلم بأكمله يمثل المعلومات المتوفرة لديك وعنك ، نحن الآن نعرف فقط القسم الذي يقع امام اصبعي ونعرف تفاصيلها . لكننا لا نعرف شيئا عن القسم الذي يقع خلف اصبعي ، وكما ترى فان هذا القسم يمثل شيئا كبيرا من المعلومات لا تزال غامضة علينا يجب عليك تسليط الضوء الكافي عليها ، وابعد عن رأسك هذه الخيالات الفارغة المبنية على انك تستطيع التخلص من دون تبيان المعلومات بأكملها ... انت اعطيتنا بعض المكاسب في اولى ايام التحقيق وحصلت منا مقابلها على بعض المكاسب ..

ونحن لم ننس ذلك .. وانا لست اذكر هذه الاشياء الا لكي تعرف بأننا لم ننس شيئا وبأننا نعرف كل شيء ونفهم كل شيء !! ولن ننخدع مطلقا وفي أي وقت والآن ... فالقرار من شأنك . اما انا ، فلست سوى نفس (طهراني) الذي تتذكره جيدا ، وكما كنت في السابق ، فانني الآن ايضا استطيع ان اعمل بك ما لم تتصوره مطلقا واجعلك تقاسي طوال حياتك ، وفي نفس الوقت ، بأني (طهراني) من نوع آخر ايضا (طهراني) الذي دلك رجلك بالمرخم ، وانهمرت الدموع الحارة من عينيه !! عطفا عليك وتأسفا لك عندما كان موقفك ايجابيا !! والآن ، مرة اخرى ، انت الذي تقرر ، فأما ان تقول لنا كل ما تعرف وكل ما نريد وهذا طريق خلاصك الوحيد ... اذهب .. اذهب وفكر مليا ، وامامك الاوراق والقلم وابدأ بالكتابة .

كان الرفاق في قزل قلعة قد طرحوا مسألة في غاية الاهمية حول موقفنا من الساواكيين ، كانوا يقولون : ان هدف الساواكيين الوحيد من التعذيب الجسدي والنفسي ، من الحيل والفبركات ، من الرعب والهلع والاساليب الجهنمية المختلفة هو شيء واحد : ان نسمح لهم « بفتح ادمغتنا وقراءة ما يبغون » لكن ما هي مهمتنا ؟ ماذا يجب ان يكون موقفنا ؟ نحن ، يجب ان لا ننسى لحظة واحدة اننا أناس ثوريون فيجب ان لا تضعف معنوياتنا قط ، يجب ان تظل مقاومتنا فولاذية كمبادئنا ، كلنا يعرف ار الطريق الذي اخترناه يمر عبر آلاف الصعاب والمشاكل ، لذا يجب ان نكون دوما على أتم استعداد للتضحية بأرواحنا في سبيل تحقيق اهدافنا السامية ، اذن يجب ان نتصرف على عكس رغبة الساواكيين ، أي يجب ان نسعى نحن ، وبكل السبل الى « فتح ادمغة الساواكيين وقراءة ما نبغي » . والآن حان الوقت لي لكي اطبق هذا المبدأ الثوري ... الآن وهنا، لا يعترف السيد طهراني بتلونه بآلاف الالوان وتمثيله لآلاف الادوار فحسب، بل انه يقدم هدف (الساواك) بكل وضوح وصراحة : « طلب طهراني والانقياد له يعني نقضا صريحا للمبدأ الذي اخطتناه لانفسنا بأيدينا عندما سلكنا هذا الطريق المحفوف بالمخاطر ، لذا كنت ازاء جميع الادوار التي مثلها طهراني افكر بما يمكن ان يصبح طريق الخلاص الواقعي المبدئي ، « انه من غير المروءة ان تجر الى ميدان التعذيب رفيقا آخر تخلصا من مائة او الف جلدة ، اياك ان تفشي السر العظيم ، وحتى لو مت ضربا بالعصي فانه اشرف لك من ارتكاب الخيانة » .

مضى ذلك اليوم ايضا ، دون ان ينفذوا تهديداتهم ، ولم اكن قد كتبت

في المرة الاخيرة سوى خلاصة لما كنت قد كتبته في المرات السابقة ...
اعدت الى الزنزانة وبعد عدة ايام تخلصت من السجن الانفرادي (مضت علي هذه الايام العشرة من السجن الانفرادي بمثابة عشرة سنوات !)

نقلت بعد ذلك الى القسم العمومي الرابع من البناية رقم (١) ومنذ ذلك الحين والى ان اطلق سراحي لم ينقطع التحقيق وقضيت في السجن احدى عشر شهرا على وجه الاجمال ...

لم يكن سندي الوحيد خلال هذه الفترة العصيبة ، سوى الايمان الثابت بعدالة القضية التي دخلت من اجلها حلبة النضال ، وبانتصارها الحتمي .

ليتعزز نضال طلائع الكفاح المسلح للشعب الايراني .

فهرست

شيء حول المؤلف	٥
فكرةٍ موجزة عن منظمة فدائي الشعب الايراني	٧
مقدمة	١٥
البداية	١٩
في المعتقل	٣٥

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU13459449